السلسلة الحسينية

٨

فوزي آل سيف

قضايا الموسم والمنبر الحسيني

دار الحجة البيضاء

قضايا الموسم والمنبر الحسيني

فوزي آل سيف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بين يدي القراء الكرام هذا الكتاب من المجموعة الحسينية التي تحتوي على جملة من قضايا كربلاء، أقدمه للخطباء الكرام والمثقفين الفضلاء وعموم محبي الحسين (عليه السلام).

يحتوي هذا الكتاب على رصد عام لدور الموسم الحسيني ومنافعه في أتباع أهل البيت (عليهم السلام)، والحركة التي يصنعها في هذا المجتمع بل ومنافعه في عموم الأمة الإسلامية، لكون إحياء ذكرى الإمام الحسين (عليه السلام) فيها من البركات ما لا يخفى على المتأمل.

وهو بهذا ينضم إلى باقي كتب المجموعة، والتي تناولت بالتحليل؛ أنصار الحسين بعنوان «أصفياء الله»، ونساء كربلاء بعنوان «السيدة زينب ونساء النهضة الحسينية»، وواحدًا وستين سؤالا في ما يرتبط بثورة الحسين (عليه السلام) وظروفها ونتائجها وشعائرها، بعنوان «من قضايا النهضة الحسينية»، وكذلك حول « زيارة الناحية المقدسة للإمام الحسين» وشرحها وربما يلحق بها زيارة وارث، ولم تغفل هذه المجموعة قتلة الحسين وأصحابه، فكان هناك كتاب بعنوان « عصبة الإثم»، وربما يضاف إليها كتاب « أنا الحسين بن علي» وهو يتناول تلك السيرة الرائعة للإمام والتي تم تغييبها عن الأمة بوسائل مختلفة.

وهـذا الكتاب مع أنه يتناول قضايا المنبر الحسـيني بالإضافة إلى الموسـم، باعتبـار أن المنبـر والخطابة الحسـينية أهـم ما يميز هذا الموسـم، وأبرز ما فيه، وأكثـر مـا ينبغـي الاهتمـام بـه، إلا أنـه ليـس كتابًـا تخصصيًّـا في فـن الخطابة أو أسـاليبها وطرقهـا، فمثـل هـذا الأمـر ينبغـي البحـث عنـه فـي الـدورات والمعاهـد الخطابيـة والتـي انتشـرت ـ بفضـل اللـه سـبحانه ـ فـي الحواضـر العلميـة، وأصبـح لهـا مناهـج مكتوبـة، ودروس مرتبـة، وصـدرت كتـب فـي هـذا الاتجـاه، وهـذا يبشـر بمسـتقبل رائـع عندمـا تتخـرج هـذه المجاميع من الخطبـاء، بـإذن اللـه. شـكر الله سـعي القائميـن عليهـا ووفقهم فـي مهمتهم.

لا يفوتنـي أن أشـير إلى أن شـيئًا مـن التداخل بين موضوعـات هذا الكتاب وأفـكاره وبيـن الكتـب المذكـورة، وهـذا في قسـم منـه طبيعـيٌّ باعتبـار وحدة الموضـوع، بالإضافـة إلـى أن تاريـخ تأليف هـذه الكتب مختلف ولـم تتم في وقـت واحـد بحيـث يمكن ملاحظـة التداخـل، والفرز بنـاء على ذلك.

يضـاف إليـه أن بعض المواضيع هـي ألصق بكتاب جاء متأخـرًا من الكتاب المتقـدم، ولهـذا فقـد نقلنـا من كتـاب « قضايـا النهضـة الحسـينية» والذي تم تأليفـه منـذ أكثـر مـن عشـرين سـنة، موضوعيـن أكثـر ارتباطًـا بالكتـاب الذي بيـن يديـك، وهـذان الموضوعـان همـا؛ دور المنبـر فـي المجتمـع الشـيعي، والمنبـر الحسـيني بيـن التطويـر والتكلس.

أسـأل اللـه سـبحانه أن ينفـع القراء بـه وأن يتقبله عنده، وأن يرسـل من ثوابه لوالـديّ رحمهمـا اللـه، وأسـرتي الفاضلـة، كمـا أسـأل اللـه سـبحانه أن يثيب مـن سـاعد فـي إنجاز هـذا الكتـاب حتى صـار بيـن أيديكم.

فوزي بن المرحوم محمد تقي آل سيف

فـي ليلة الجمعة ٢٧ / ربيع ٢ /١٤٤٦ هـ.

الموسم الحسيني

مع اقتراب شهر محرم وهو بداية السنة الهجرية في العالم الإسلامي، يلحظ الناظر حركة واسعة فيه، ضمن إطار أتباع أهل البيت (عليهم السلام)، تحتشد فيها الجهود المختلفة لتبدأ فعاليات متنوعة سنأتي على ذكرها.

وسنطلق على تلك البرامج والأعمال عنوان «الموسم الحسيني» ونعني بذلك جملة الفعاليات والنشاطات التي تحتضنها عشرة أيام (من أول محرم إلى نهاية يوم العاشر غالبًا) وإن كانت قد تمتد إلى الثالث عشر منه والذي يصادف تاريخيا يوم دفن جثمان الإمام الحسين (عليه السلام) وأصحابه الذين استشهدوا معه.

يصعب علينا أن نتتبع كل النشاطات والفعاليات، لكننا سنشير إلى بعضها المهم وإلى أثرها في نفوس وسلوك القائمين بها والمؤمنين.

١/ فمن ذلك ما يحصل في أكثر البيوت والمساجد والحسينيات وأماكن التسوق حتى، والشوارع من إلباسها بالسواد تعبيرا عن موسم الحزن. هذا ما يحصل أمام الأعين وأما ما لا تراه الأعين فلا شك هو أكبر![1]

(١) لا نريد من هذا الكلام الإشارة إلى ما ذكره بعض المؤلفين المتأخرين من أنه « إذا هلّ هلال المحرّم نشرت الملائكة قميص الحسين مخضّباً بالدماء، فنراه نحن وشيعتنا بالبصيرة لا بالبصر» فإن العلماء يقولون بأنه لم يرد في مصادرنا الروائية، ولم يثبت بنقل صحيح، وإذا كان له من معنى فالمقصود هو المعنى المجازي الذي ينتهي إلى تأثر المعصومين (عليهم السلام) وشيعتهم مع حلول الموسم الحسيني. نعم يوجد في كامل الزيارات لابن قولويه =

وقد أفتى علماؤنا باستحباب لبس السواد[١] وكتبوا الرسائل[٢] التي استدلوا فيها على ذلك، مع أنه توجد روايات تثبت الكراهة في لبس الأسود، وسواء حملت على أنها إشارة إلى زمان خاص (زمان العباسيين)[٣] الذين كانوا يسمون بالمسوِّدة في أوائل خلافتهم وكان هذا شعارهم،[٤] أو قيل بأنه مكروه حتى في هذه الأزمنة، أو في خصوص الصلاة، فإن تلك الروايات خصصت[٥] بما هو أوضح منها في استحباب ذلك إذا كان

= حديث فيه: أَنَّ مَلَكاً مِنْ مَلائِكَةِ اَلْفِرْدَوْسِ نَزَلَ عَلَى اَلْبَحْرِ فَنَشَرَ أَجْنِحَتَهُ عَلَيْهَا ثُمَّ صَاحَ صَيْحَةً وَ قَالَ يَا أَهْلَ اَلْبِحَارِ اِلْبَسُوا أَثْوَابَ اَلْحُزْنِ فَإِنَّ فَرْخَ رَسُولِ اَللَّهِ (ﷺ) مَذْبُوحٌ..

(١) التبريزي؛ المرجع الديني الميرزا جواد: الأنوار الإلهية في المسائل العقائدية ص ١٥٣. في جوابه عن سؤال كراهية لبس السواد وخصوصا في الصلاة، وكيف يجمع بين الروايات؟ قال: لم يثبت كراهية لبس السواد لا في الصلاة ولا في غيرها. نعم، ورد في بعض الروايات ما يستفاد منها كراهية لبس السواد، ولكنها ضعيفة السند، ومع الإغماض عن ضعفها فالكراهة في الصلاة بمعنى كونها أقل ثواباً. ولبس السواد في عزاء الحسين والأئمة (عليهم السلام) لأجل إظهار الحزن وإقامة شعائر المذهب مستحب نفسي وثوابه أكثر من نقص الثواب في الصلاة.

(٢) مثل: إرشاد العباد إلى استحباب لبس السواد، للسيد ميرزا جعفر الطباطبائي الحائري، ورسالة في لبس السواد للمرحوم الميرزا التبريزي.

(٣) الكليني؛ محمد بن يعقوب: الكافي ٤٤٩/٦، عن حذيفة بن منصور قل: كنت عند أبي عبد الله (عليه السلام) بالحيرة فأتاه رسول أبي جعفر(المنصور العباسي) الخليفة يدعوه فدعا بمِمْطر(ما يتوقى به المطر) أحد وجهيه أسود والآخر أبيض فلبسه ثم قال أبو عبد الله (عليه السلام): أما إني ألبسه وأنا أعلم أنه لباس أهل النار.

وفي الرواية إشارة إلى أنه يلبسه تقية، وأن الحاكمين العباسيين هم أهل النار.

(٤) الكوفي؛ أحمد بن أعثم: الفتوح ٨/ ٤٢٤، فإن المأمون بعدما بايع لعلي بن موسى الرضا بولاية العهد « أسقط لبس السواد، ولبس الخضرة وأمر بذلك. فلما ورد كتابه إلى بغداد وشق ذلك على العباسيين فخلعوا المأمون» وبعد سمه للإمام الرضا (عليه السلام) وقدومه إلى بغداد سنة ٢٠٤ هـ، ولأجل إرضائهم بعد قتل أخيه الأمين وطلبهم منه التبديل إلى الأسود الذي هو شعار العباسيين استجاب لهم بعد دخوله بغداد، يراجع تاريخ الطبري ٥٧٥/٨.

(٥) السبزواري؛ السيد عبد الأعلى: مهذب الأحكام في بيان الحلال والحرام ٥/ ٣٤٨: نقل =

بعنوان إعلان الحزن على مصاب سيد الشهداء (عليه السلام).

وكذلك رفع الأعلام ولافتات القماش التي تنطق بأسماء شهداء الواقعة وأبطالها، وتمثيل مشهد النساء المسبيات، وكأنها بذلك تريد أن تجعل الناظر يعايش الحدث، فيسمع نحيب النساء المختلط بأصوات النياق، وجلبة العسكر المعادي!

٢/ ومن ذلك ما يتم بذله من الأشربة ولا سيما الماء البارد تذكرًا للعطشان الذي تلفت أحشاؤه من شدة العطش حتى يعطي للدين ماء الحياة، ويروي بدمه شجرة الرسالة! وكذلك إطعام الطعام على حبه لمن يحتاج، ولمن لا يحتاج تبركًا.

لو قدر لأحد أن يحسب مقدار الوجبات التي تُعد وتُقدَّم، والمياه العذبة التي تُصرَف في هذا الموسم، في أنحاء الدنيا حبًّا في الحسين، وتقربًا إلى الله (عزّ وجلّ) به صلوات الله عليه، هذا على فرض أن بالإمكان حسابها أو تقديرها من البشر، لرأى شيئًا أعجب من العجب!

ويدخل في هذا أعلى مستويات الإطعام، والقليل اليسير منه، فكما تتسابق الحسينيات الكبرى وأهل الخير وأرباب المال إلى تقديم أطيب المأكولات (كمًّا ونوعًا)، فكذلك لا يقصر الفقراء في هذا الجانب حتى لو كان بمستوى بعض التمرات!

= عن الشيخ يوسف في الحدائق قوله: لا يبعد استثناء لبس السواد في مأتم الحسين (عليه السلام) من هذه الأخبار(الدالة على الكراهة والمنع) لما استفاضت به الأخبار من الأمر بإظهار شعائر الأحزان، ويشهد له تقرير الإمام (عليه السلام)، ففي خبر عمر بن عليّ بن الحسين قال: « لما قتل الحسين بن عليّ (عليه السلام) لبس نساء بني هاشم السواد والمسوح، وكنّ لا يشتكين من حرّ ولا برد، وكان عليّ بن الحسين (عليه السلام) يعمل لهنّ الطعام للمأتم».-

ونعتقد أن هذا هو من عطاء الله سبحانه لشهيده، وثاره، وصَفيّه كما ورد التعبير عنه في بعض الزيارات.

٣/ ومن ذلك ما يتضمن هذا الموسم من المحاضرات الدينية والأحاديث التربوية، وهي أشبه بمدرسة عظيمة يدرس فيها أتباع أهل البيت (عليهم السلام) على مدى عشرة أيام، معارف كثيرة؛ منها ما يرتبط بالعقائد في معرفة الله سبحانه ونعمه وصفاته، ومنها ما يتعرض لسيرة رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، وتاريخ دعوته وتضحياته، وكذلك أخلاقه الكريمة، ومعجزته الخالدة « كتاب الله الناطق، والقرآن الصادق، والضياء اللامع، بينة بصائره، منكشفة سرائره» ثم العترة المقترنة بالقرآن والشارحة له والدليل عليه من أهل بيت النبي المصطفى، لتنتهي إلى التذكير باليوم الآخر ترغيبا للناس في جنة الله، وتحذيرا لهم من غضبه وعقابه.

وإذا كان هذا يأخذ مساحة كبيرة مستحقة، فإن المساحة الأكبر هي ما يرتبط بالمناسبة، وهي نهضة والد التسعة من العترة الطاهرة، وخامس المعصومين، الإمام أبي عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام). فإن هذه المجالس بل بقاء الدين لم يكن لولا تلك التضحية السخية، والشهادة العظيمة التي أقدم عليها مع أهل بيته وأنصاره.

فتقوم هذه المجالس بإعادة الحديث عن واقعة كربلاء وظروفها والأسباب التي أدت إليها، والنتائج التي ترتبت على تلك الشهادة الدامية للإمام وأصحابه. وسيأتي في ذكر آثار هذا الموسم أن الأجيال تنشأ من الصغر متعلقة بالحسين (عليه السلام) وعارفة ـ بالتدريج بقصته ـ وتسعى لأن تحتذي حذوه وتسير على منهاجه في تقديم أمر الدين على كل ثمين.

٤/ لقد كان تعبير الإمام الصادق (عليه السلام) مركّزًا في قوله «أحيوا أمرنا، رحم

اللَّـه مـن أحيـا أمرنـا»، [١]وعندمـا سـمع عبـد السـلام بـن صالـح الهـروي أبا الحسـن علـي بن موسـى الرضا (عليه السلام) يقـول: رحم اللـه عبدًا أحيـا أمرنا فقلت لـه: وكيـف يحيـي أمركـم؟ قـال: يتعلم علومنـا ويعلمهـا الناس فـإن الناس لو علمـوا محاسـن كلامنـا لاتبعونـا![٢] فإنـه ركّـز علـى الهـدف المطلـوب وهـو إحيـاء الأمـر، وحينها سـئل عـن الوسـيلة فأجاب.

وهـذا يختلـف عـن الخطـاب بذكـر الوسـائل حتـى يتحقـق الهـدف، فإنـه يسـتطيع أن يقـول: أحيـوا المجالـس لكـي يحيـا أمرنـا. ولكـن التعبيـر الأبلـغ هـو الآخـر فهـو، يطالـب بالهـدف، وإذا سـئل عـن الوسـيلة أجـاب، ولـو لـم يُسـأل كان ذلـك الهـدف هو المحـدد الدائـم للوسـائل والهادي إلـى الطرق!

وإذا كان المطلـوب هـو إحيـاء الأمـر، بحسـب الهـدف فإنـه بـه تكـون الحيـاة. ولـو أردنـا أن نعبـر عـن هـذه الفكـرة بصـورة أخـرى لقلنـا: إن أتبـاع أهـل البيـت (عليهم السلام) فـي هـذا الموسـم لا يُحيـون أمر أهـل البيت بل هـم يَحيون بـه، أمـر الأئمـة هـو الـذي يُحييهـم، يُحيي مـا مـات مـن عزائمهم، وينشـر ما تكلـس مـن أرواحهـم، ويبعـث مـا قبرتـه الدنيـا مـن عواطفهـم، نحـو دينهـم وعقيدتهـم وأئمتهـم!

والحقيقـة أن كلا الأمريـن حاصـل، فأمرهـم وإمامتهـم، وتعـرف العالـم عليهـم يحتـاج إلـى من ينشـره ويعلـن عنه، ويبشـر به، « فـإن الناس لـو عرفوا محاسـن كلامنـا لاتبعونـا» ومـن هنا كان دور الشـيعة فـي إحياء أمرهم، بنشـره وتوضيحـه وتطبيـق أسـاليب التعامـل والعشـرة الحسـنة مـع النـاس منطلقيـن مـن مبـادئ أئمتهـم وتوجيهاتهـم.. فهـذا ينتهـي إلى إحيـاء الأمر.

---

(١) الحر العاملي؛ محمد بن الحسـن: هداية الأمة إلى أحكام الأئمة (عليهم السلام) ٥/ ١٣٧.

(٢) الصدوق؛ محمد بن علي بن الحسـين بن بابويه: عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ١/ ٢٧٥.

وهم أي الشيعة عندما يتفاعلون مع هذه الأفكار، يستمعون إليها تارة وينشرونها أخرى، ويدعون الناس إليها ثالثة، حالهم أشبه بالماء الزلال الصافي كلما مر على ثوب قلوبهم طهّره ونظّفه ونضّره، ومثال داينمو السيارة التي تبدأ في الحركة فتشحن السيارة بالكهرباء، وتنشحن هي أيضًا.

الموسم الحسيني فرصة مناسبة في كل سنة للطائفة لتنشحن، ولتتطهر، ولتنبعث، وفي البعض منهم يستمر تأثير الموسم فيها وما حصل منه، إلى سنة كاملة وبعضهم دون ذلك..

منافع الموسم الحسيني

نعم الله سبحانه على الإنسان كثيرة، ولا تحصى كما أخبر في كتابه ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾،[1] ولكن إحدى مشاكل الانسان أنه يتعود على رؤية هذه النعمة والتعامل معها، فلا تعود مثيرة له أو منبهة لعقله. ومن هنا كان اللازم على المؤمن أن يعمل بما خاطب الله به رسوله الكريم ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾.[2] هل رأيت أحدًا يقوم من الصباح فيتفكر في نعمة الشمس التي تشرق عليه وما تصنعه من حياة فيه وفي العالم؟ ثم يتجه لله قائلا: الحمد لك يا رب على أن متعتنا بنعمة الشمس المشرقة؟ لعل من النادر أن يحصل ذلك! لماذا؟ إنه للتعود والتكرار فالشمس تشرق عليه يوميًّا فلا يستشعر هذا الأمر. ولذا يوجه الله سبحانه وتعالى في عملية إيقاظ للغافل إلى بعض هذه النعم ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ (*) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾.[3]

---

(١) النحل: ١٨.

(٢) الضحى:١١.

(٣) القصص: ٧١- ٧٢.

ومن النعم التي أنعم الله تعالى علينا بها ـ في مذهب أهل البيت (عليهم السلام) ـ ذكرى شهادة الإمام الحسين (عليه السلام) وبتبعها صارت أيامه العشرة، بل وما بعدها، موسمًا حسينيًّا، سبق أن تحدثنا عنه ونتحدث في هذه الصفحات عن منافعه وفوائده.

يتحقق في هذا الموسم ببرامجه المختلفة منافع كثيرة، نشير إلى بعضها على النحو التالي:

✿ المنفعة الأولى:

إن في هذا الموسم إعلان شيعة أهل البيت (عليهم السلام) هويتهم للعالم.

نحن نعلم أن قضية الهوية والإعلان عنها اليوم في العالم، هي من القضايا الأساسية للمجموعات البشرية، سواء كانت دينية أو قومية أو اجتماعية. فإن هذه المجموعات تخوض صراعات مختلفة لإثبات هويتها[1] وتفردها وامتيازها عن سائر الهويات، وهذا العامل « إثبات الهوية» لعله يكون العامل المشترك في أكثر الصراعات السياسية بل والعسكرية. وهو الذي يفسر غالبًا حروب الأقليات مع الأكثرية الحاكمة في البلدان، حيث تحاول الأكثرية « صهر» باقي الأقليات ضمن بوتقتها بالقوة، فتواجَه بالمقاومة.

وربما كان يمكن القضاء على تلك الصراعات أو على عنفها ودرجتها

(١) هوية الجماعة تعبر عن السمات والخصائص المشتركة التي تميز مجموعة من الأفراد وتجعلهم يشعرون بالانتماء إلى نفس الكيان. يمكن أن تشمل القيم، والمعتقدات، والأعراف، والتقاليد، والتاريخ المشترك، واللغة، والأهداف. وهوية الجماعة تساعد في تعزيز الشعور بالوحدة والانتماء بين أفرادها، وتمنحهم شعورًا بالتميز عن المجموعات الأخرى./ بالاستعانة بالذكاء الاصطناعي على شبكة الانترنت.

على الأقل لو قبلت الأكثرية بالتنوع والتعدد، وأيضًا لو كان تعبير الأقلية عن هويتها سلميًّا هادئًا.

والموسم الحسيني بالنسبة لشيعة أهل البيت (عليهم السلام) هو أفضل إعلانٍ سلميٍّ عن هويتهم، فإن هذا الإحياء بالنحو المخصوص لا يشاركهم فيه أحد من المسلمين فضلا عن غير المسلمين، وبإمكان أي إنسان أن يستدل على وجودهم الاجتماعي بل وحجمه من خلال إحيائهم هذا الموسم.

فتراهم بالإضافة إلى بلادهم المسلمة الأصلية، يعلنون فيها وجودهم بهذه الطريقة، وفي غير بلادهم الأصلية كبلاد الاغتراب كذلك، بل حتى الشيعة الجدد والذين اهتدوا إلى مذهب أهل البيت بعدما كانوا في أديان أخر، تراهم يسلكون نفس المسلك.

وهو إعلان سلمي فلا هو يحارب الآخرين ولا يعارض مناسكهم، ولا شأن له بهم، بل ربما استفاد هؤلاء من منافعه (من طعام وشراب وما شابه). هو بما يتضمن من بكاء على الحسين (عليه السلام) وعلى المظالم التي حصلت لعترته وأهله من نساء وأطفال، يثير العواطف النبيلة والمشاعر الإنسانية.

إذا كانت بعض الفئات لكي تحقق وجودها وهويتها، لا بد أن تأخذ من امتيازات سائر الهويات أو الجماعات، أو تخوض صراعًا مع غيرها، وربما بالقوة. فإن شيعة أهل البيت (عليهم السلام) في هذا الموسم، يبكون في حسينياتهم ومجالسهم، ويعزون بالضرب على صدورهم وما شابه، وينفقون من أموالهم الخاصة على مراسمهم هذه، فلا يكلفون سائر الفئات شيئًا. ولا يأخذون منهم حقوقًا.

ومن العجيب أن تقوم بعض الجهات ـ في السابق واللاحق ـ باتخاذ

موقف سلبي من هذا الموسم مع ما سبق، بل ومواجهة هذه المراسم بالمنع والتقييد، مع أن الشيعة فيه لا يعتدون على غيرهم ولا يطلبون شيئًا سوى هذا العزاء والبكاء وأمثاله. ولو أنها سلكت سبيل أنظمة أخرى في بلاد المسلمين بل وفي الدول الغربية من إعطاء الفرصة للتعبير عن هذا الموسم بشكل سلمي وحضاري لكان خيرًا لها ولمن يكون في ضمن دائرتها من شيعة أهل البيت.

❖ المنفعة الثانية: حركة في داخل أبناء الطائفة الشيعية:

من الواضح أن للإنسان في مرحلة شبابه، قدرات بدنية وغير بدنية وحماسًا واندفاعًا نحو ما يؤمن به، وفي الوقت الذي تسرق بعض الاتجاهات السياسية والحزبية، أو الاتجاهات المبتذلة والمنحرفة، تلك القوى والقدرات، والاندفاع والحماس، حين توجهها اتجاهًا خاطئًا، فإننا في الموسم الحسيني نلاحظ خلاف ذلك. فيوجه الشباب حماستهم واندفاعهم في أمر ديني يتعلق بنهضة الإمام الحسين (عليه السلام)، كما يسخرون جهودهم وقواهم ـ وهي بالفعل جبارة ـ في القيام بمهمات هذا الموسم.

فمن بركات الموسم الحسيني ومنافعه أنه قادرٌ على استيعاب طاقات الشباب، فمن مواكب العزاء المتعددة الأشكال والأعمار، إلى تفاعلهم في مصائب الإمام الحسين (عليه السلام) حين قراءتها، وإلى القيام بالخدمات المتنوعة، وكل ذلك بنحو تطوعي قربي، لا يرجون فيه جزاءً ولا شكورًا إلا من خالقهم العظيم ثم شهيده الكريم.

إن إقامة مأتم واحد يحتاج جهودا كبيرة، وارتباطات، وتخطيطًا مستمرًا لكي يكون ناجحًا ومثمرًا، ولا تخلو قرية من القرى الصغيرة في أي مكان يعيش فيه شيعة أهل البيت من عشرات المآتم الحسينية، وكل واحد منها

كما قلنا هو مكان يحتضن طاقات شباب هذه القرية أو المنطقة، وبمقدار ما ينمو العمل هذا، تنمو معه تجارب هؤلاء الشباب وحكمتهم في الحياة، وقدرتهم على التعامل مع معادلاتها.

فهو بالإضافة إلى استيعابه تلك الطاقات الشبابية هو عامل تنمية وبناء لشخصياتهم.

قد يخاف الوالدان من انغماس ابنهم في حركة سياسية ليس معلومًا أين تصل به، أو في جماعة مبتذلة أخلاقيًا تفسد شبابه بالسعي وراء الشهوات، أو بأمور عبثية أخرى! أو بأمور ليس من ورائها عائد أخروي أو حتى دنيوي واضح كما نشاهد في مئات الآلاف من الداخلين في المعارك والتعصب الرياضي لهذا الفريق ضد ذاك.

إن القائمين على هذه الأمور يدركون حماسة الشاب، واندفاعه، وطاقاته ورغبته في أن يحقق شيئا يبرز شخصيته بين أقرانه. فيستغلون هؤلاء في أهدافهم.

ونعتقد أن ما يرتبط بالنشاط الحسيني من خلال المشاركة في الموسم الحسيني وما بعده، هو الطريق الآمن الذي يحفظ الشباب من جهة ويطلق طاقاتهم الدفينة من جهة أخرى.

✿ المنفعة الثالثة:

أن الموسم الحسيني يوفر من خلال البرامج التي تنعقد فيه، من مجالس حسينية ومواكب عزائية، وندوات دينية، واستضافة وإطعام، يوفر فرصةً رائعة للتلاقي بين أبناء البلدة والمنطقة الواحدة، في شكل يسير وتلقائي لا يحتاج فيه الانسان في لقاء أخيه إلى مواعيد مسبقة ولا بروتوكولات معقدة. فهذه المجالس وتلك الحسينيات مفتوحة في الأوقات المختلفة،

ومناسبة حضور المرء فيها واضحة، والفئات المختلفة ـ من حيث العمر والمستوى الاقتصادي والاجتماعي ـ تجد هذا المكان مكانها. فكأنّه حج يشهد الناس فيه منافع لهم، من دون قيود الحج وأحكامه.

إن نظام الحياة الحديث يسير بشكل طردي مع التباعد والتفاصل في العلاقات والارتباطات الاجتماعية، فلا غرابة أن تجد أشخاصا في محلة واحدة ولا يعرف بعضهم بعضها، أو جيرانا في شارع واحد ولا يتزاورون، بل في بعض الحالات أرحام، لا يتواصلون.

وما يطلق عليه وسائل التواصل الاجتماعي من حيث العنوان أصبحت من أوضح وسائل التفاصل. وهذا بالتدريج يؤدي إلى ضعف النسيج الاجتماعي.

يوفر لنا الموسم الحسيني بالنحو الذي قلناه فرصة لتغطية هذا النقص، وإصلاح هذا الخلل الاجتماعي، فيعرّف الناس بعضهم ببعض، كلٌّ في منطقته، مع جيرانه وأهل محلته. ويلم شملهم قدر الإمكان في أماكن يفترض فيها غلبة الجانب الروحي والقيمي، وعلى قاعدة أن الحسين(عليه السلام) يجمع الجميع.

✿ المنفعة الرابعة:

وهي المنفعة العلمية والمعرفية، فإنه يشهد الموسم الحسيني مهرجانا ثقافيا عظيما ـ في مجموعه ـ لا يمكن أن يصل إليه أي موسم آخر في أي مكان في الدنيا.

ولو أردنا أن نحسب حسابا تقريبيًّا حيث لا يستطاع الحساب الدقيق، فلنقل أن شيعة أهل البيت (عليهم السلام) يصلون إلى نصف مليار في الحد المتوسط بناءً على أن عدد المسلمين يتجاوز المليار والنصف ويقترب من المليارين.

فلو فرضنا أن ثلث هؤلاء يشهدون الموسم، ويحضرون في مجالس الإمام الحسين (عليه السلام)، فإن معنى ذلك حوالي مائة وخمسين مليونًا من

الناس، فإذا كان هؤلاء يحضرون في كل ليلة برنامجًا واحدًا من ساعة واحدة من المجالس والمواكب وما شابه ذلك، وهو يعتبر قليلاً للغاية خصوصا في بعض البلدان حتى لا يكتفي الأكثر فيها إلا ببرامج متعددة. وكان ذلك على مدى عشر ليالٍ فإن معنى ذلك أن هناك مليارا وخمسمائة مليون ساعة من المعارف والتوجيهات والارشادات في كل موسم من المواسم.وهو شيء لا نظير له في الدنيا.

إن ما تحتويه المجالس الحسينية ومنابرها ـ كما سيأتي ـ من محاضرات وأحاديث بمختلف مستويات الخطباء من فقهاء مجتهدين وفضلاء متمرسين وخطباء بارعين إلى آخر المستويات، يتناولون ـ وكلٌّ بمستواه ـ مواضيع متنوعة في العقائد الدينية والأحكام الشرعية والمبادئ الأخلاقية، وتناول القضايا والمشاكل الاجتماعية، والموعظة بما يتناسب مع الحاضرين، وسيرة المعصومين (عليهم السلام) وتاريخ الإسلام، وتذكير المستمع بقضايا كربلاء وجهاد الإمام الحسين (عليه السلام)، وأنصاره ونسائه.. كل ذلك ليشكل موسوعة كبيرة من المعارف والمعلومات. ودعوة صريحة إلى التأسي بالنماذج العليا في الإسلام.

مليار ونصف من الساعات إذا أقللنا التقدير والحساب هو حجم العمل الثقافي والعلمي والتربوي الذي يحصل في هذا الموسم، وهو يتكرر ويتنامى في كل سنة، ولا يقتصر على سنة دون أخرى. هي من بركات الإمام الحسين (عليه السلام) في هذا الموسم. ولا تجد لذلك مثيلاً أو نظيرًا.

ونقول لو أقللنا التقدير، وذلك لأن الموسم في كثير من المناطق لا يقتصر على الأيام العشرة الحسينية بل يستمر فيها إلى نهاية شهر صفر ومناسباته، وهو يعني ستين يومًا، أي ستة أضعاف ما ذكرناه! نعم يقل الحماس كمًّا ونوعًا

بعد العشرة الأولى والنشاط بتبعه كما هو ملاحظ فلا يكون في فترة ما بعد العاشر من محرم إلى خمسين يومًا هو بنفس ما شهدناه في العشرة الأولى.

وبطبيعة الحال فإن ذلك يستوجب التخطيط والتفكير للاستفادة من هذا الحجم الهائل من الوقت والزمان، ويُحمّل القيادات الدينية والاجتماعية مسؤولية أكبر في كيفية الاستفادة منه.

❖ المنفعة الخامسة:

وهي التي ترتبط بخارج المذهب، من مذاهب إسلامية أخر، أو أديان غير دين الإسلام.

وفي هذا المعنى نقول: لا ريب أن الله سبحانه وتعالى قد جعل الإمام الحسين (عليه السلام) « مصباح هدى»،[1] إلا أن هذا المصباح لم يطلع على أصل نوره أكثر الناس من غير المسلمين، كما لم يطلع أغلب المسلمين على نور هدايته، وإن عرفوه بالاسم والنسب، وببعض الصفات. لكنهم على أثر « تغييب قضيته وسيرته»[2] من قِبَل الظالمين وتابعيهم جهلوا الجانب المهم في سيرته، وحين جهلوها فمن الطبيعي أن لا يقتدوا به فيها.

وأما غير المسلمين فالأمر أوضح فإن من يجهل النبي المصطفى ورسالته، فهو للحسين الشهيد أكثر جهلاً.

---

(١) الصدوق؛ عيون أخبار الرضا (ع) ٦٢/١. عن الإمام الرضا (عليه السلام)، ناقلا الحديث عن جده رسول الله(صلى الله عليه وآله) « إن الحسين بن علي في السماء أكبر منه في الأرض وانه لمكتوب عن يمين عرش الله (عز وجل): مصباح هدى وسفينة نجاة وإمام خير ويمن وعز وفخر وعلم وذخر».

(٢) شرحنا بشكل مفصل كيف تم تغييب سيرة الحسين (عليه السلام) في الأمة والوسائل التي اتبعها الاتجاه الأموي في ذلك قديما وحديثا في كتابنا: أنا الحسين بن علي في سلسلة النبي والعترة، وبشكل مختصر في كتابنا عصبة الإثم؛ قتلة الحسين.

إن الموسم الحسيني بما يرافقه من مظاهر تلفت النظر، من اجتماعات عظيمة، ومن اتشاح بالسواد للأفراد والأماكن، ومن رايات وأعلام، ومواكب عزائية، ومظاهر شعائرية حسينية، لا شك أنها تلفت نظر الناظرين، وتثير سؤالاً في أذهان المتأملين، ومن خلال السؤال يتطلب العقل الجواب، وتليه مرحلة من البحث عن الأجوبة، فيتم بذلك التعرف التدريجي على دين الإسلام من البعيدين عنه، والتعرف على المذهب الحق من المسلمين الذين ينهجون غير منهج أهل البيت (عليهم السلام).

والناظر في حياة المستبصرين والمهتدين إلى مذهب أهل البيت من القسم (خارج الإسلام، وخارج المذهب) يجد أن قادح شعلة البحث والتحول كان القضية الحسينية.[1]

وإن الاستمرار على هذه المراسم وتطويرها وتكثيرها، يزيد من تعرف الناس على منهاج الحسين (عليه السلام)،[2] ويفسر لنا بشكل واضح أحد أوجه ومعاني الأحاديث التي تصف الحسين (عليه السلام) بأنه « مصباح هدى وسفينة نجاة».

(١) فانظر إلى كتاب « لقد شيعني الحسين» (عليه السلام) للكاتب ادريس الحسيني. وبالإمكان الرجوع إلى موقع مركز الأبحاث العقائدية على الانترنت وقد نشر ١٤ مجلدًا وثّق فيه انتقال المئات إلى مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، وطبع باسم « موسوعة حياة المستبصرين» وكان أثر قضية الإمام الحسين (عليه السلام) ومأساة كربلاء واضحا وملموسًا في إيجاد التحول في نفوس هؤلاء، وكان بداية الالتفات عند بعضهم ما يجري في الموسم الحسيني. فراجع ج١/ ١٨٢ وما بعدها من الصفحات.

(٢) الشهرستاني؛ السيد صالح: تاريخ النياحة على الإمام الشهيد الحسين بن علي ٢/ ٣٣، قد نقل عن بعض الباحثين الغربيين «ويمكن القول بأنه لا يمضي قرن أو قرنان حتى يزيد عدد الشيعة على عدد سائر فرق المسلمين. والعلة في ذلك هي إقامة هذه المآتم التي جعلت كل فرد من أفرادها داعية الى مذهبه، اليوم لا توجد نقطة من نقاط العالم يكون فيها شخصان من الشيعة إلا ويقيمان فيها المأتم، ويبذلان المال والطعام، رأيت في ميناء « مارسال » في الفندق شخصاً واحداً عربيًّا شيعيًّا من أهل البحرين، يقيم المأتم منفردًا، جالسًا على الكرسي، بيده الكتاب يقرأ ويبكي، وكان قد أعد مائدة من الطعام فرقها على الفقراء».

خطط الأعداء في تخريب الموسم

بقدر ما لهذا الموسم الحسيني المبارك من فوائد ومنافع على مستوى الأمة والطائفة، وقد تقدم بعضها في صفحات سابقة فإن هناك الكثير من المحاولات والخطط في تخريبه وتحجيمه وحتى لو أمكن لأعداء الأمة إلغاؤه لفعلوا وقد سعوا في ذلك ولا يزالون.

والمعول عليه هو بعد نصر الله ودفاعه عن الذين آمنوا، كما وعد سبحانه، وعي المؤمنين ومعرفتهم، المرتبطين بشكل مباشر بهذا الموسم.

إنه لن يهدأ لأعداء الأمة بالٌ، ولا يقر لهم قرار وهم يرون الخط الحسيني يكتسب في كل سنة زخمًا وقوة، وانتشارًا، ويؤثر في مناطق كانت بعيدة عن تأثيره، ويستقطب من الرجال والنساء أصحاب العقول والكفاءات، ويضم إليه الشخصيات المهمة في عالم المسلمين، بل في غيره.

هم يعلمون أن من أهم نقاط قوة التشيع والمنهج الحق هو امتلاكه بالإضافة إلى المرجعية الدينية العادلة، والاستقلال الاقتصادي المتمثل في أداء المؤمنين الحق الشرعي، الموسم الحسيني والشعائر الموجودة فيه،

فكيف لا يعملون في صراعهم مع هذا المذهب على إفساد عنصر القوة هذا؟

سوف نشير إلى بعض تلك الخطط والمحاولات، ضمن النقاط التالية:

الأولى: إننا لا نعتقد أن هؤلاء سيتوقفون عن محاولاتهم، بل هم مستمرون فيها، وفائدة ما نحن فيه من الحديث هو أن يعي المؤمنون بعمق، بمختلف درجاتهم أن بعض ما يكون في أثناء الموسم من مشاكل وأمور سلبية، ليس بعيدا عن تخطيط العدو، ومتى تنبهوا وتنبهنا إلى هذه الأمور، فإنها لا تكون مؤثرة، ولكن عندما لا يتم الالتفات إليها والوعي بها فمن الممكن أن يكون المؤمن قد دخل فيها بكل حماس، وهو يظن أنه ينصر الخط الحسيني في الوقت الذي هو يفسده! وما ذلك إلا لعدم وعيه ومعرفته بخطط الأعداء.

الثانية: إن أول ما يقوم به أعداء الدين والمذهب هو « **محاصرة الموسم الحسيني**» وتسوير بقية المجتمعات المسلمة (غير الشيعية) لكيلا تصل تأثيراته إليها، وهم في ذلك يعملون على درجات، فلا غرابة حينئذ عندما تجد الاحتفالات الصاخبة، ومناسبات الأفراح والأعياد (ولو بعنوان أول السنة الهجرية، أو هجرة النبي ـ مع أنها كانت في شهر ربيع ـ) إن الغرض أن يعيش باقي المسلمين الفرح والابتهاج بمناسباتهم، بينما يعيش شيعة آل محمد في حزنهم على الحسين (عليه السلام)، ومن الطبيعي أن لا يلتقي الفريقان!

لقد وجدنا في بعض بلدان الخليج كيف أن مراكز معروفة التوجه ترفع لافتة بطول وعرض مبنى المركز بحيث يراها كل من مرّ على أن يوم عاشوراء هو يوم فرح وسرور! وهذا بالإضافة إلى أن فيه ايلامًا لرسول الله والعترة التي جعلت يوم عاشوراء يوم حزنها[1] هو استفزاز لشيعة أهل

(١) ابن بابويه؛ محمد بن علي بن الحسين الصدوق: الأمالي، ص ١٩٠: عن الإمام علي =

البيت (عليهم السلام) المتواجدين في ذلك البلد ويشكلون النسبة المهمة فيه، وهو كذلك يفصل بين المسلمين بفاصل واسع!

بل إن الأعداء يقومون في درجة تالية أسوأ، بالإيحاء عبر شياطين كتابهم وخطبائهم، إلى أن ما يمارسه الشيعة من أفعال وما يرفعونه من أقوال ولافتات إنما هو موجه ضد أبناء المجتمع المسلم من سائر المذاهب، فإذا رفعوا راية للحسين عليها « يا لثارات الحسين» زعم هؤلاء الكَذَبة أن الشيعة يقصدون أخذ الثأر من سائر المسلمين. وإنهم يتجهزون للقتال مع جيرانهم المسلمين! مع أن هذا كذب محض ولا يفكر فيه أي من شيعة أهل البيت إلا إذا كان أولئك القائلون يصنفون أنفسهم أنهم هم قتَلة الحسين (عليه السلام)!

وإذا لعن المؤمنون يزيد بن معاوية، وبني أمية، ومن سار على دربهم وهو وارد بلا ريب لأن بني أمية أعداء الله والدين، شن هؤلاء هجمة مرتدة على شيعة أهل البيت أنهم يقصدون باللعن أتباع المذهب الآخر!

وفي مرحلة ثالثة أسوأ يقوم هؤلاء الأعداء (وقد يكونون من خارج المسلمين لكنهم يحركون أدواتهم في بلاد المسلمين) باستعداء الأنظمة السياسية على الموسم الحسيني وفعالياته، وأنه لا بد من منعه! وقد نجحوا بالفعل في كثير من المناطق، باستثناء تلك التي فيها حضور كبير للشيعة اجتماعيًّا أو سياسيًّا.

والعجب أنك ترى في بعض بلاد المسلمين، تسرح جواسيس الأعداء وتمرح فيها، وتخطط وتنفذ بينما أجهزة تلك البلاد غارقة إلى أذنيها في

= بن موسى الرضا (عليه السلام) « إنّ يوم الحسين أقرح جفوننا، وأسبل دموعنا، وأذل عزيزنا، بأرض كرب وبلاء، وأورثنا الكرب والبلاء، إلى يوم الانقضاء».

مطاردة مجلس حسيني يحضر فيه عشرة أشخاص أو مضيف متواضع يوزع فيها الماء على حب الإمام الحسين!

إن بعض هذه البلاد التي اتسعت مساحة حريتها لتحتضن الأديان (غير السماوية) والاتجاهات المنحرفة حتى (المثلية) وغير ذلك، ضاقت حتى صارت كسَمّ الخياط، عندما يكون الأمر مرتبطًا بالإمام الحسين (عليه السلام).

وما ذلك إلا نتيجة من نتائج سوء الفهم لدور الموسم الحسيني، والتحريض المستمر من الأعداء على هذا العمل المبارك!

بالطبع لا مانع عند هؤلاء من اللعب على الوتر الطائفي بصراحة، فإن هذا الموسم وما فيه إنما هو للشيعة! وأما « المسلمون» كما يقولون فلا يفعلون هذه الأفاعيل، والغرض من كل ما سبق هو تسوير باقي المجتمعات وتسييجها من تأثير أمواج الإمام الحسين (عليه السلام).

الثالثة: في نفس هذا الإطار وجدنا الانتصار للظلم في مقابل الإمام الحسين (عليه السلام)، وما يسمى بالأموية الجديدة، فهناك توجه ثقافي وسياسي وإعلامي يتحرك في اتجاه « إعادة الاعتبار للأمويين» وإظهار دورهم « المشرّف!» في الأمة. وأُلفت كتب في هذا الشأن « لرفع التشويه الذي طال الدولة الأموية»! فتم إبراز « الفتوحات الإسلامية» وما سمّوه « النهوض العلمي» في الدولة، وكأنّ ذلك كان حصيلة جهد الحكام العابثين السكارى!

كتبوا عن أمير المؤمنين (!) يزيد بن معاوية! وبرروا له ما استطاعوا، ولن يستطيعوا فهل يمكن إقناع الناس أن الفحمة السوداء قطعة قشطة من لبن الجاموس؟[1]

(١) لتفصيل هذا المبحث يمكن مراجعة كتابنا، عصبة الإثم، وكيف صنع عبيد هذا الاتجاه لتطهير يزيد من إثم قتل الحسين (عليه السلام).

وقد نسوا بهذه الحركة أو تناسوا ما جاء عن رسول الله(ﷺ) من أن هؤلاء هم الذين « ينزون على منبره كما تنزو القردة»!

إن الموسم الحسيني يرفع لافتة عريضة بكل ممارساته تقول: لا للظلم! وهؤلاء يقولون ـ بالنتيجة ـ نحن عبيد الظالمين! ويريدون من الأمة أن تكون كذلك. إن الحسين يرفع كلامه عاليًا: هيهات منّا الذلة! وهؤلاء يقولون نحن رضعنا الذلة مع حليب الأمهات وكرسناها مع ضغط الشهوات!

وهذا الجهد منهم وإن كان لا يختص بوقت الموسم الحسيني، وإنما يعملون فيه طوال العام، لإنتاج الكتب وتوزيعها إلا أن المستهدف به هو تأثير الموسم الذي يشحن الأمة في وقتها بالرفض للظلم والظالمين.

الرابعة: ما سبق يستهدف في الغالب خارج الدائرة الشيعية، ولكنهم لا يقتصرون في جهودهم عليها، وإنما يعملون أيضا في الداخل الشيعي، ويحركون أياديهم وخطوطهم، فمن جهة يوحون إلى بعض المتحمسين ممن لا يمتلك الوعي الكافي ولا يلجأ إلى ركن مرجعي وثيق، لابتداع أمور في الموسم والعزاء والتمثيل والمواكب، مخالفة لفتاوى العلماء والفقهاء وهي بالإضافة إلى ذلك تسبب وهنًا في القضية الحسينية، وهتكًا لصاحبها المقدس (عليه السلام). وقد لا تخلو من الأمور المحرمة.

من هذه الجهة يقومون بتحريك وتشجيع بعض هؤلاء على هذه الأعمال المرفوضة من الناحية الفقهية، ومن جهة أخرى يقومون بتحريك « مثقفين» مرتبطين بهم، لانتقاد هذه الحالات والمراسم، والهجوم عليها باعتبارها أمورًا خرافية ولا تنتمي إلى عصرنا الحاضر.

وبالطبع ليس كل من ينتقد تلك المظاهر الباطلة هو من أيادي الأعداء

وأهل الباطل، ولكن هؤلاء يختلطون بالمخلصين ويريدون استغلال هذه الظواهر لتشويه كل مظاهر العزاء والارتباط بالحسين، فليس غاية هؤلاء إصلاح ما يجري في الموسم، وتنظيفه من الظواهر الباطلة، وإنما يقصد هؤلاء إبراز هذه الظواهر على أنها هي الموسم كله، فينفرون الناس من كل مظاهر الارتباط والولاء للإمام الحسين (عليه السلام).

والذكي هو من يفرق بين الفئتين: المخلصة التي تريد تطهير الموسم من كل ما يشينه، وإبقاءه قويًّا عارمًا متواصلاً، وقطع « الحشائش الضارة» عن أرضه، وبين تلك المنافقة المرتبطة بالأعداء التي تريد بالتدريج إضعاف الموسم وشعائره بأي وسيلة، وتحت كل عنوان! (وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ) وإن كان كل منهما ينتقد هذه المظاهر.

الخامسة: تشديد الخلافات بين الفئات الاجتماعية الحسينية، بل بين الخطوط المرجعية! إن هؤلاء يعلمون أن الحسين (عليه السلام) يجمع الطائفة بطبيعة شعائره ومنابره ومواكبه. وهذا لا يروق لهم! فيقومون بالتصنيف قدر الإمكان ومع التصنيف يحصل الفرز، ويشعر الشخص أنه ليس من هؤلاء. فإذا وجدوا موكبًا عزائيًّا عظيمًا مرتبًا، قالوا: لكنه من الفئة الفلانية، وكأنهم بذلك يقولون: إذن لا تستحسنوا فعله! ما دام ليس من فئتكم!

وإذا رأوا رادودا ومنشدًا متمكنًا وبارعًا يمتلك القلوب، أشاروا إليه بأنه إنما يقلد المرجع الفلاني، وهو ليس مرجعكم! إذن لا تعتنوا به ولا تؤيدوه!

وإذا لاحظوا أن الجمهور قد انشدّ إلى خطابة خطيب رسالي هادف، قالوا فيه ما لا يصح، واتهموه بتهم لا يمكن إثباتها! ولكنها في الحد الأدنى تكبح جماح الإقبال عليه! والاستماع إلى توجيهاته. وهم في كل

ذلك يظهرون أنفسهم بمظهر الحريصين على قداسة المنبر الحسيني، وعلى حرارة الموكب، وعلى التحاق الناس بركب الحسين. ولكنهم في خلواتهم يظهرون لساداتهم الحقيقيين أنهم في خطة الغي، وفي برنامج الباطل، وكأن الآيات من سورة البقرة تتحدث عنهم تمامًا ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (*) فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (*) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (*) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ (*) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ (*) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾.[1]

(١) البقرة: ٩-١٤.

الحسينيات والأوقاف الحسينية

الدنيا في نظر الإسلام هي مزرعة للإنسان، يزرع فيها ما يريد أن يحصده في الآخرة، فيزرع فيها البر والخير والصلاح والعبادة لكي يحصده في الآخرة حسنات ودرجات ورضوانًا من الله أكبر. ومن المؤكد في هذه الرؤية أنها « دار مجاز والآخرة دار قرار، فخذوا من ممركم لمقركم».[1] كما يقول مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام).

وحيث أن مدة الإنسان العاقل ـ كغيره ـ في هذه الحياة محدودة، وعمره منتقصًا بينما طموحاته في الخير واستمرار عمله الصالح غير محدود، فقد أُتيح له ضمن الرؤية الإسلامية إمكانية أن يبقي عمله مستمرًا وخيره ممتدًّا. ومن هنا تم تشريع حكم الوقف.

إن العاقل الحكيم يطمح في الخلود الدنيوي، لكن ذلك غير ممكن بعدما كتب الله سبحانه على عباده الفناء والموت فقال مخاطبًا نبيه وهو أشرف خلقه وأعزهم عنده ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[2] وقال ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ(*) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ

(١) الشريف الرضي ؛محمد بن الحسين الموسوي: نهج البلاغة، خطب الإمام علي (عليه السلام) ص ٣٢٠.

(٢) الزمر:٣٠.

الْمَوْتِ﴾[١]. فلم يعط البشر الخلود بهذا المعنى ولكنه فتح له بابًا آخر، ولنسمه الخلود المعنوي، والخلود بالعمل، وخلود الأجر، فقال النبي «إذا مات ابن آدم، انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به من بعده، أو ولد صالح يدعو له».[٢]

فكان من ذلك تشريع الوقف في الاسلام،[٣] و «الوقف هو: تحبيس الأصل وتسبيل المنفعة.

وإذا تمّ بشروطه الشرعيّة خرج المال الموقوف عن ملك الواقف وأصبح ممّا لا يوهب ولا يورث ولا يباع، إلّا في موارد معيّنة».[٤]

ومن خلال هذا التشريع انطلق المؤمنون ليوقفوا بعض أملاكهم حال حياتهم في سبل الخير والعبادة، فأوقفوا على المساجد والمشاهد والمدارس وسبيل الماء ومساعدة الفقراء وغيرها.

---

(١) الأنبياء: ٣٤- ٣٥.

(٢) الزيلعي؛ عبد الله بن يوسف بن محمد: نصب الراية لأحاديث الهداية ٣ / ٣٠١.

(٣) بحسب بعض المعلومات على شبكة الانترنت؛ فإنه: « توجد أوقاف في العديد من الديانات الأخرى بجانب الإسلام. مفهوم الوقف، أو تخصيص أصول معينة لأغراض خيرية أو دينية، موجود في عدة تقاليد دينية حول العالم:

المسيحية: في المسيحية، يُعرف الوقف غالبًا باسم « ترست» أو « الوقف الخيري». الكنائس والمؤسسات الدينية المسيحية تمتلك أوقافًا تُستخدم لدعم الأنشطة الدينية والخيرية، مثل بناء الكنائس، المدارس، والمستشفيات.

اليهودية: في اليهودية، يُعرف الوقف باسم «هكديش» وهو تخصيص ممتلكات لأغراض دينية أو خيرية. تُستخدم هذه الأوقاف لدعم المعابد اليهودية، المدارس الدينية، والمشاريع الخيرية.»

ولم يتسن لي تأكيد هذا المعنى من مصادر هذه الديانات.

(٤) السيستاني؛ المرجع الديني السيد علي: مسألة ١٢٧٤: منهاج الصالحين.

وكان مما تقرب المؤمنون به إلى خالقهم، ووصلوا به أئمتهم الوقف على مشاهدهم، وعلى مناسباتهم وذكرهم، وعلى المآتم والحسينيات التي يقام فيها ذكرهم.

وقد أصدرت إحدى هيئات الأوقاف في دول الخليج تقريرًا عن الأعيان الموقوفة في تلك البلاد، فكان نسبة ما وقف على الحسين (عليه السلام) وله، من تلك الأعيان التي بلغت (٣٢٠٠ وقفًا) يعادل ٧٠٪ من مجموع الأوقاف أي نحو ٢٢٤٠ وقفًا من المجموع ما بين بستان وبناية وأرض وحسينية.

وبالنظر إلى بعض الوقفيات يلاحظ القارئ أنها في الغالب، وخصوصا في الأزمنة السابقة، عبارة عن نخيل وبساتين يوقفها مالكها بحيث يصرف عائدها السنوي في إقامة مجالس رثاء الحسين (عليه السلام) بما يشتمل على موعظة المؤمنين، وفي إطعام من يحيي العزاء في أيام الموسم الحسيني خاصة، وأحيانا يعممها لتشمل عزاء سائر المعصومين في باقي السنة. وهكذا في السقاية وتوزيع الماء.

وأحيانا تكون الموقوفة بناءً حسينيًّا، وهو ما يعرف عند الناس (بالحسينية).[1]

ومن المناسب أن نتحدث قليلاً عن الحسينية هنا فنقول:

١/ الأصل في الحسينية أنها بناء يخصص بشكل أساس لإقامة ذكرى شهادة الإمام الحسين (عليه السلام)، وليس شرطًا أن تكون موقوفة لكن الغالب

(١) (العجيب أن هذه التسمية بنسبة المكان إلى الحسين (عليه السلام)، بقيت خاصة به، فلم يعهد نسبة مكان إلى معصوم غيره وإن كان أفضل منه كرسول الله بأن يقال مثلا «محمدية» أو « علوية» أو ما شابه ذلك. نعم توجد في طهران المؤسسة التي أنشأها المرحوم الشيخ أحمد الكافي وهي باسم الإمام المهدي «مهديه طهران».

أنهم يجعلونها كذلك، لكيلا تقسم بين الورثة أو تباع أو ما شابه، على أن بانيها يقصد ما ذكرناه من استمرار الثواب والأجر له بعد موته وهذا إنما يتحقق لو كان صدقة جارية، وبمعنى آخر «وقفًا». وقد اتسعت مجالات الاستفادة من الحسينيات، مع توسع دائرة الوقف فيها، وهو شيء حسن، فأصبحت الحسينيات مع سعة دائرة الوقف مكانًا لمناسبات المؤمنين في ليالي أفراحهم، وقراءة الفواتح على أمواتهم، بل وصلوات الجماعة وعموم اجتماعاتهم التي تتناسب مع الحسينية في إطارها العام.

٢/ يرجع بعض الباحثين سابقتها التاريخية إلى أيام البويهيين،[١] وبشكل خاص أيام معز الدولة البويهي سنة ٣٥٢هـ حيث أمر بإظهار الشعائر الحسينية، فكانت تنصب الخيام في أيام عاشوراء في عهده وتعمل السرادقات ويذكر الذاكرون ما مر على الحسين (عليه السلام)، ويتم الإطعام لمن يشارك في العزاء. وهو بمعنى اتخاذ مكان لذكر الحسين ومصيبته، من دون أن يكون عنوان ذلك المكان «حسينية».

ويستفاد من بعض الروايات التاريخية أنه بالإضافة إلى ذلك فقد كانت هذه المراسم تنعقد في مشاهد الأئمة (عليهم السلام)، وبالذات في مشهد الكاظمين (عليهما السلام) والذي كان المعزون ينتقلون من بغداد إليه، لإقامة العزاء وكان الأمراء البويهيون في مقدمتهم.

وبالتدريج أصبح العزاء يقام في المساجد كما يستفاد ذلك مما نقله

(١) الشهرستاني: تاريخ النّياحة ١٤٧/١: «البويهيون كانوا أول من وسعوها (النياحة والعزاء) وأخرجوها من دائرة النواح الضيقة، في البيوت والمجالس الخاصة والنوادي الهادئة، وعلى قبر الامام الشهيد (عليه السلام) بكربلاء، الى دائرة الأسواق العلنية والشوارع المتحركة، وتعويد الناس على اللطم على الصدور. ولقد استمرت عادة النياحة على الامام الحسين (عليه السلام) واتسعت شعاراتها خلال مدة حكم آل بويه في العراق وإيران. ذلك الحكم الذي ابتدأ سنة ٣٣٤ هـ وانتهى في سنة ٤٦٧ هـ.»

الشهرستاني في كتابه النياحة من أنه كان ينعقد في بغداد في مسجد براثا (وهو من أشهر مساجدها وأقدمها).[١]

وكنت في وقت سابق قد اطلعت على كتاب مختصر تاريخ العرب للسيد أمير علي، وفيه يؤرخ لأول ظهور لمصطلح «الحسينية» وأنه بناء فسيح مربع الأركان يخصص لذكر الإمام الحسين (عليه السلام) ونهضة كربلاء، وأن ذلك حصل في زمان الفاطميين وهذا يعني أن هذا المصطلح والبناء الخاص قد مرّ عليه الآن ما يزيد عن ألف سنة من الزمان، ولم يتيسر لي العثور عليه أثناء كتابة هذه الصفحات.

وكان التطور في المأتم الحسيني، أن يصل إلى تعيين مكان خاص لإقامته فيها تطورا طبيعيًّا تقتضيه الحاجة،[٢] بل وتوجه الناس إلى إقامة القربات والأوقاف كما قلنا في أول هذا البحث. بغض النظر عن أنه كان في زمان البويهيين أو الفاطميين.

---

(١) الشهرستاني: تاريخ النياحة ١/ ١٥٣.

(٢) قد ذكر في موقع عقائد https://aqaed.net/faq/٧٠٣/ بعض الميزات التي تتميز بها الحسينية، وبالتالي تشكل تلك حاجة إلى مثلها، بالقول: وتتميز عن المساجد بأنها يجوز إقامة الصلاة فيها أيضًا بالإضافة إلى مجالس العزاء أو المحاضرات الدينية أو المناسبات الخاصة بأهل البيت (عليهم السلام) أو العامة كإقامة مجالس العزاء والفاتحة لسائر الناس، وهي في نفس الوقت ليس لها أحكام المسجدية لعدم وقفها كمسجد، وبالتالي فهي تفيد اكثر من المسجد من ناحية مشاركة عموم الناس دون ان يمنعهم شيء كما هو الحال في المساجد، فتحضر الحائض والنفساء والمجنب والنجس والمتنجس والأطفال على نحو سواء مع غيرهم لإحياء مناسبة أو لحضور مجلس أو محاضرة وغير ذلك من الفوائد الجمة، فهي بالتالي ليست بديلاً عن المساجد عند الشيعة وإنما هي مكملة لها ومنفصلة عنها وعن سبب إنشائها وقد تنفع أيضاً في مبيت الزائرين فيها او الطبخ وتقديم الخدمات والمسابقات والمهرجانات التجمعات الشعرية والادبية والفكرية وما إلى ذلك.

هـذا بالرغـم مـن أن باحثيـن قـد ذكـروا تأخـر ظهـور المصطلح «حسـينية» إلـى العصـر الصفـوي فـي القـرن العاشـر، ويحتمـل قويـا أيضـاً أن الجـذور التاريخيـة لبنـاء حسـينيات ثابتـة تعـود إلـى العصـر القاجـاري.

بـل نقـل عـن أحـد الباحثيـن؛ أنـه «فـي النصـف الثانـي مـن القرن التاسـع عشـر بـدأ شـيعة العـراق ببنـاء الحسـينيات كمؤسسـات دينيـة ثقافيـه مثـل التكايـا لاقامـة الشـعائر والطقـوس الدينيـة وبخاصة العـزاء الحسـيني ولذلك اتخـذت اسـم الحسـين (عليه السلام) شـعارا لها وسـميت بـ (الحسـينية). وكان اولى الحسـينيات التـي شـيدت هـي: (الحسـينية الحيدريـة) فـي الكاظميـة عـام ١٢٩٧هـ/١٨٧٦م ثـم ذكـر، ان اول حسـينية بنيـت فـي كربـلاء عـام ١٩٠٦،م واول حسـينية شـيدت في النجف هي الحسـينية الشوشـترية عـام ١٨٨٤م».[١]

وهـذا الـكلام لـو تـم فإنـه إنمـا يـؤرخ لظهـور المصطلـح «الحسـينية» في العـراق، وقـد ذكر السـيد الأمين رحمـه اللـه أن الإيرانيين والهنود[٢] سـبقوا في تأسـيس الحسـينيات (وإن كانـت فـي الهنـد باسـم إمـام بـاره)، وأن العراقيين أخذوهـا منهـم وعنهم.

٣/ ينطبـق علـى الحسـينية الموقوفـة مـا ينطبـق علـى سـائر الأوقـاف مـن الأحـكام العامـة، وتنفـرد بأحـكام ترتبـط بما يـرد فـي الوقفيات الخاصـة بها. فمـن أحكامها:

أولا: مـا ذكرنـاه فـي مطلـع البحـث من أنهـا لما كانـت وقفًا فـلا تورث من ورثـة الواقـف إذ هـي خـارج الميـراث بعدمـا وُقفت، وكذلـك لا تبـاع إلا في

(١) الحيدري؛ ابراهيم: تراجيديا كربلاء ٦٨. عن الموقع السـابق

(٢) الأميـن؛ السـيد محسـن: خطـط جبـل عامـل نقلـه عنـه الشهرسـتاني: تاريـخ النياحـة ٢/ ٤٩ «وأصـل الحسـينيات مـن الايرانييـن والهنـود، بنوهـا في بلادهـم، وبنوهـا في العـراق ايضًا، ووقفـوا لهـا الأوقـاف، وجعلوا لـكل منهـا ناظـرًا وقوامًا.

موارد معينة ذكرت في الفقه وهي محددة، فمتى حصلت تلك الموارد يتم بيعها ويؤخذ بثمنها مكان آخر يكون وقفا على نفس منهاج هذا البناء الذي تم بيعه ـ بعد كونه أحد الموارد التي يجوز فيها البيع ـ..

ثانيًا: ألّا تستخدم في غير الجهة التي تم الوقف عليها، والغالب أن تكون تلك الجهة إقامة المجالس في مناسبات المعصومين (شهادتهم، ومواليدهم) وما يرتبط بها. فلا يصح مثلا استخدامها لو لم يُنَص على ذلك في الوقفية أو تكون قرينة مفيدة، في حفلات الأعراس! أو في اجتماعات الإدارات والمؤسسات والشركات، وهكذا. إذا كان ذلك على خلاف المنصوص عليه في وقفيتها.

ثالثًا: أن يكون وقفها فعليًّا غير معلق على شيء غير حاصل، كأن يوصي بأن تكون البناية الكذائية حسينية وقفًا بعد وفاته، فهذا ليس وقفًا بالفعل وإنما هو وصية بالوقف، والوصية بالوقف لا تجعل البناية موقوفة، بل يكون حكمها حكم سائر الأموال، فتكون ميراثًا أو يتصرف فيها كما يتصرف في ثلثه لو أوصى بالثلث.

بالمعنى السابق فإن بناء الحسينية ووقفها لهذه الأغراض (ذكر أهل البيت (عليهم السلام) في أحزانهم وأفراحهم، وإحياء مناسباتهم فيها، وتجمع الناس لأجل ذلك باكين في أيام المصيبة، فرحين في أيام المواليد، مطبقين على أنفسهم ما ورد من أن شيعتهم[1] منهم يحزنون لحزنهم ويفرحون

(١) وصف الميرزا التبريزي رحمه الله هذا الحديث بأنه من الأحاديث المشهورة في كتاب صراط النجاة ج ١٠/ ٤٣٢، واعتبره السيد محمد الشيرازي رحمه الله بأنه مستفيض بل متواتر فقال في كتابه من فقه الزهراء (عليها السلام) ٣/ ٢٦٠: وقد ورد في مستفيض الأحاديث بل متواترها - ولو تواترا معنوياً أو إجماليا - (شيعتنا منا خلقوا من فاضل طينتنا يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا).

لفرحهم)، هو من أوضح مصاديق الصدقة الجارية التي لا ينقطع عمل الإنسان وثوابه ما دامت قائمة، حتى لو صار بدنه رميما في التراب.

ومن المناسب هنا أن نشير إلى نقطة قد لا تخفى على كثير من الأولياء على الحسينيات، ولكن التذكير بها مناسب، وهي أن الحسينية مع كونها موقوفة، تخرج من ملكية الواقف فضلا عن المتولي، فلا ينبغي أن يتعامل معها كما يتعامل مع بيته فيسمح لهذا ويمنع ذاك! ويقبل هذا ويرفض ذاك بحسب ذوقه أو محبته وبغضه.. إنّه مكلف في هذه الحالة أن يتعامل مع الجميع بحسب ما تنطبق عليه المقاييس لا بحسب رغبته.

وفي نفس الإطار لا ينبغي أن يتخذ هذا المكان كمنصة مناكفة مع الحسينيات الأخرى، فيسعى لأن يكون مجلسه الأضخم وبرنامجه الأفضل مكايدة منه لتلك الحسينيات، أو يجعل وقت برنامجه في وقت يضايق حسينية جاره، مع عدم وجود حاجة أو اضطرار لذلك. أو يتنافس في جلب الأفضل من الخطباء أو الرواديد والمنشدين من أجل أن «يكسر» رأس صاحب الحسينية الأخرى. أو تيار وتوجه تلك الحسينية.

= أقول: لم أعثر عليه بهذا النص الكامل، ولكن وجد معناه وبعضه في أحاديث متفرقة، منها ما جاء في الوسائل ٥٠٧/١٤ عن مسمع بن عبد الملك قَالَ: قَالَ لي أَبُو عَبْد اَللَّه عَلَيْه اَلسَّلاَمُ في حَديث: أَ مَا تَذْكُرُ مَا صُنِعَ به يَعْني بالْحُسَيْن (عليه السلام)، قُلْتُ: بَلَى! قَالَ: أَ تَجْزَعُ؟ قُلْتُ: إي وَاَللَّه وأَسْتَعْبِرُ بذَلكَ حَتَّى يَرَى أَهْلي أَثَرَ ذَلكَ عَلَيَّ فَأَمْتَنِعُ منَ اَلطَّعَام حَتَّى يَسْتَبِينَ ذَلكَ في وَجْهي. فَقَالَ: رَحمَ اَللَّهُ دَمْعَتَكَ! أَمَا إنَّكَ منَ اَلَّذينَ يُعَدُّونَ منْ أَهْلِ اَلْجَزَعِ لَنَا وَ اَلَّذينَ يَفْرَحُونَ لفَرَحنَا وَ يَحْزَنُونَ لحُزْنَنَا..» ومنها ما ذكره الصدوق في الخصال ص ٦٣٥ عن أمير المؤمنين (عليه السلام) «إن الله تبارك وتعالى أطلع إلى الأرض فاختارنا، واختار لنا شيعة، ينصروننا ويفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا ويبذلون أموالهم وأنفسهم فينا أولئك منا وإلينا». وكذلك ذكر قسمًا منه في كتاب صفات الشيعة ص ٣ عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) قوله: «من عادى شيعتنا فقد عادانا ومن والاهم فقد والانا لأنهم منا خلقوا من طينتنا».

إن هـذا السـلوك وأمثالـه بحمـد اللـه لا يـكاد يكـون موجـودًا، فـي أغلـب الحـالات وإنمـا نشـير إليـه مـع قلتـه لشـدة خطورتـه، حيـن يخسـر الإنسـان هـذا جهـده وتعبـه ومالـه، وهـو يحسـب أنه يحسـن صنعًـا ﴿قُـلْ هَـلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَـرِينَ أَعْمَالًا(*)الَّذِيـنَ ضَـلَّ سَـعْيُهُمْ فِـي الْحَيَـاةِ الدُّنْيَـا وَهُمْ يَحْسَـبُونَ أَنَّهُـمْ يُحْسِـنُونَ صُنْعًـا﴾[1]؟ وكمـا جاء فـي الأثر مشـيرًا إلى أمـور قليلها كثير، ومنهـا النـار والعـداوة، فهـذا مـن ذاك حتـى لـو كان هـذا السـلوك قليـلاً بـل ضئيـلاً لكنـه لخطورتـه يغـدو كبيـرًا جدًّا.

(١) الكهف: ١٠٣- ١٠٤.

الرادود والكادر والجمهور الحسيني

لا يكفي وجود الحسينية كبناء ليحيا الموسم الحسيني بالنحو الأفضل، بل هناك أعمدة وأضلاع أخر لا بد من توفرها ليكون ذلك الموسم في صورته الفضلى.

وسيأتي حديث مفصل عن الخطيب ضمن الحديث عن المنبر الحسيني في القسم الثاني من هذا الكتاب، والآن نتحدث عن الأعمدة الثلاثة الأخر.

✲ أما الرادود:

فالظاهر أن هذا العنوان نشأ متأخرًا، حيث لا نجد له اشتقاقات في اللغة العربية، مع أن للكلمة فيها وزنًا،[1] يدل على الكثرة لكن لم نجد هذا العنوان في كتب اللغة. مما يشير إلى نشوئه المتأخر.

نعم معناه وهو الذي ينشد المراثي في أهل البيت (عليهم السلام)، موجود وقد

(١) سيبويه ؛عمرو بن عثمان: الكتاب ٤/ ٢٤٩: مما جاء على وزن فاعول في الصفات «ماء حاطومٌ، وسيلٌ جاروف، وماءٌ فاتورٌ. والأسماء: عاقولٌ، وناموسٌ، وعاطوسٌ، وطاووسٌ.».

كان بعض أصحاب المعصومين (عليهم السلام) معروفين بالإنشاد الحزين، وقد ذكر في هذا أبو هارون المكفوف[١] بل إن بعضهم عرف بهذا اللقب مثل أبي عمارة المنشد.[٢]

وقد لا يكون العنوان هذا هو بالضبط ما نجده اليوم في «الروايد» فإن طبيعة هذه العناوين الاجتماعية تتطور، بمرور الزمان، ولكن الذي يجمع هذا العنوان المعاصر وسابقه هو أن يكون هناك؛ شعر موزون يذكر المصيبة الحسينية، ويؤديه شخص بصوت جميل وبإيقاع خاص، يحزّن به سامعيه، بنحوٍ يعرفه أهل هذا الفن.

وقد يشترك الخطيب الحسيني، بهذا المعنى السابق الذكر، مع الرادود في جزء من المجلس الذي يلقيه ويقرأه، فهو أيضا ـ ولا سيما في هذه العصور ـ يستعين بالشعر منظومًا وبالصوت ملحونًا، على إبكاء السامعين. ولكن الفرق أن الأساس هو الحديث والتوجيه، وقد يستغرق أكثر الوقت فيه، ويعرّج على المصيبة في الأخير أو يبدأ بها من الأول، أو هما معًا.

بينما الرادود (المنشد) فإن ذلك (الإبكاء بشعر منظوم) هو كلُّ ما يصنعه، من البداية إلى النهاية.

---

(١) ابن قولويه؛ جعفر بن محمد: كامل الزيارات ص ٢٠٨ عن أبي هارون المكفوف، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): يا أبا هارون أنشدني في الحسين (عليه السلام)، قال: فأنشدته، فبكى، فقال: أنشدني كما تنشدون - يعني بالرقة - قال: فأنشدته:

امرر على جدث الحسين فقل لأعظمه الزكية

قال: فبكى، ثم قال: زدني، قال: فأنشدته القصيدة الأخرى، قال:فبكى، وسمعت البكاء من خلف الستر.

(٢) المصدر نفسه ص ٢٠٩ عن أبي عمارة المنشد، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال لي: يا أبا عمارة أنشدني في الحسين (عليه السلام)، قال: فأنشدته، فبكى، ثم أنشدته فبكى، ثم أنشدته فبكى، قال: فوالله ما زلت أنشده ويبكي حتى سمعت البكاء من الدار.

ومع أن الأصل فيه كان هو الإبكاء، ولم يعهد في زمان الأئمة (عليهم السلام) أنهم أقاموا مجالس الفرح وأنشد فيها المنشدون قصائد البهجة، إلا أنه تطور ولا سيما في هذه الأزمنة بحيث صار كما يقرأ الرادود (المنشد) في مجالس العزاء، يقرأ في مجالس مواليدهم، والاحتفاء بأفراحهم.

وهنا ينبغي أن نذكر نقاطًا ترتبط بالدور المنتظر من (الرادود) وهي:

١/ أن يعرف الرادود حدود دائرة مسؤوليته فلا يتخطاها، ومعنى ذلك أن وظيفة الرادود هي الربط الولائي والعاطفي لمستمعيه بمصاب الحسين وسائر المعصومين (عليهم السلام)، وإيقاد عواطفهم في هذه الجهة. وهي تقتضي أن يكون الشعر قويًّا معبرًا عن ظلاماتهم (عليهم السلام) وأن يكون تفاعله نابعًا من قلبه وأن يكون صوته جميلا وتلحينه للقصيدة مناسبًا. فإذا فعل ذلك بدرجة كافية فقد أنجز مهمته! وفي هذه الأثناء لا مانع أن يحتوي الشعر على المعاني الأخلاقية العامة والإرشادات.

ومن الواضح الذي نراه في الواقع التأثير الكبير للرادود المتقن في الجمهور الشيعي، فالذي يلاحظ عدد مشاهدات بعض الرواديد المتقنين والتي أرقامها بالمليون فصاعدا، في مقابل الآلاف لأفضل الخطباء، يكتشف عمق التأثير وسعة الانتشار للرادود الحسيني، بل وما نراه ـ في العراق تحديدًا والعراق عادة يعطي خطًّا لباقي المناطق الشيعية ـ ما نراه من الإعلان عن الرادود إلى جانب الإعلان عن الخطيب الذي يحيي المناسبة هو شاهد آخر على دوره وتأثيره.

ويمكن تحليل هذا الدور بأن توهج الحماس الديني من خلال القصائد القوية، وإبراز التحدي والقوة في الانتماء وما شابهه مما يعتري نفوس المؤمنين وعلى الخصوص الشباب، هذا يمكن إبرازه بصورته الفضلى

من خلال الردادية، باعتبار اعتماده على قوة الشعر وعمق الأداء والتكرار ومشاركة المستمع والمشارك في الردادية، وهذه العناصر لا تتوفر في الخطيب والخطابة والمحاضرة حيث تفرض تلك عليه سلوكا آخر.

وكذلك في جانب الحزن والشجى، فإن الرادود المتقن يستطيع استمطار الدموع وكسر القلوب الوالهة، وكأنّ الحاضرين والمشاركين في اللطم والموكب يعيشون اللحظة المأساوية تمامًا وكلما زاد وكرر المقطع فهو مطلوب، وزاد التفاعل معه، بينما ليس الأمر كذلك في الخطيب، فإن تكراره للموضوع أو لجزء منه يضعف خطبته.

أشرت إلى قوة تأثير الرادود (المنشد) والذي هو ركن من أركان هذا الموسم الحسيني العظيم، **أولًا** لكي أثني على الدور الممتاز الذي قام ويقوم به الرواديد جزاهم الله خيرا وزاد توفيقهم، وأؤكد أن الاحترام الذي يحصلون عليه في المجتمع الشيعي هو مستحق وفي محله.

وثانيا: لكي أقول إن هذا الموقع الذي يمثله الرادود، وعمق وسعة التأثير الذي يملكه، يجعل مسؤوليته أكبر ولذلك سيكون لنا معه كلام هو ما تراه بعد قليل:

٢/ الرادود منشد ومؤدٍ وليس مصدر توجيه علمي وفكري: إن التوجيه العلمي والفكري للمجتمع هو من مسؤولية العلماء وأهل المعرفة الدينية المتخصصة، وأوضح نماذجهم بعد المعصومين (عليهم السلام)، المرجعية الدينية والفقهاء، ثم الفضلاء من طلاب الحوزات العلمية الذين استوعبوا المناهج الدينية من خلال الدراسة المتقنة. فهؤلاء هم الذين يحق لهم التوجيه طبقا لما جاء في كتاب الله ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ

لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾،[1] وما جاء في روايات أهل البيت (عليهم السلام).

ومعنى ذلك أنه لا يصح أن يلقي شعرًا ما لم يكن خاضعًا للموازين العامة التي قررها العلماء في الطائفة. لا سيما إذا كان يلقي شعر غيره من الشعراء، وبعض هؤلاء الشعراء تتملكه عقلية «أعذب الشعر أكذبه» فلا يهتم بالتدقيق في حصول هذه الواقعة أو تلك، ولا يتأكد من كون هذا الوصف غلوًّا أو توسطًا، بل ربما لا يعرف هذه الأمور، فإنه ينشئ الشعر وينظمه مما يعرفه عن كربلاء وعن الأئمة (عليهم السلام)، ولعل قسمًا من ذلك لا يناسب مقام الإمام، أو يكون كذبًا صريحًا عليه. وسيأتي مزيد شرح لهذا في الحديث عن الخطباء فإن هذا أمر مشترك بين الفئتين.

نقول هنا بمحبة للروايد وخدمة الإمام الحسين حشرهم الله وإيانا معه (عليه السلام)، بأن دورك هو دور الموصل للكهرباء وليس مصدر الكهرباء! وهو دورٌ مهمٌّ وعظيم. الشعر الذي تلقيه ينبغي أن يكون منسجمًا تمامًا مع روايات المعصومين، وتوجيهات العلماء والفقهاء.

٣/ لأن قدرة الرادود على الحشد والتعبئة كبيرة، وهذه نعمة جُلّى ينبغي إدراكها، وبمقدار ما يكون متحمسًا فإنه يشعل الحماس في المستمعين له. ولأنه كذلك فلا ينبغي أن يكون لفئة دون أخرى، ولمرجعية دون مرجعية، ولحزب دون حزب، مع أن طبيعة الوضع الاجتماعي تقتضي أحيانًا بعض هذه الأمور، فقد يكون تقليده للمرجعية الفلانية، وتياره هو التيار الكذائي، وهذا لا مانع منه، لكنه فوق المنبر وأثناء الردادية ينبغي أن يكون للإمام الحسين (عليه السلام) فقط، وفقط! فإنه (عليه السلام) هو الذي أعطاه

(١) التوبة:١٢٢.

هـذا المجـد! وينبغـي أن يرفـض تصنيفـه علـى هـذه الفئـة أو تلـك حتـى لـو حـاول مؤيـدو هـذه الفئة أو تلـك تصنيفه لدعـم الفئة أو المرجعيـة الخاصة أو بعكـس ذلـك. فإنـه ينبغـي أن يرفض ذلـك عمليًّـا ويتعامـل مـع الجميع على أنـه للحسـين (عليه السلام) وفـي خدمتـه قبـل كل أحد.

✿ الكادر الحسيني: الخدمة لله وبأخلاق:

مـن الأعمـدة الرئيسـة فـي الحسـينية، وموكـب العـزاء، وتوزيـع الشـراب والطعـام، وهـذه كلها موجودة في الموسـم الحسـيني، كادر الخدمـة، والعمل الميداني.

وكادر الخدمـة، ويحبـون أن يطلـق عليهـم «خَدَمـة» هـم أشـبه شـيء بالعضـلات والأعصـاب التـي تربـط القلـب والدمـاغ بنتائـج الأعمـال، فكمـا أن المـخ عندمـا يصـدر أمـرًا إلـى البـدن بتنفيـذ شـيء كالكتابـة مثـلا، يحتاج إلـى حركـة اليـد والأصابـع ليتحقـق هـذا الأمر فـي الخـارج، وإلا لو لـم تكن هـذه اليـد، وأعصابهـا والعضلات وقوتهـا لبقي هـذا الأمر بلا تحقـق خارجي فكذلـك هـو الحـال بالنسـبة إلـى «الخَدَمـة» والـكادر العامـل. فإنه لـولا هذه الفئـة ونظرائهـا لمـا تـم تعليـق السـواد، ولا إضاءة المأتـم ولا قضايـا الصوت والتصويـر، ولا إيصـال المـاء إلـى الجمهـور الحاضـر، ولا طبـخ الطعـام وإعـداده وتوزيعـه بعـد البرنامـج، وبالنتيجـة لما قامـت الحسـينية بدورها ولا موكـب العـزاء ولا الضيافـة!

مـن هنـا يتبيـن أهميـة موقـع هـؤلاء الخَدمـة، وبتبـع ذلـك يمكـن تصـور الأجـر الإلهـي الـذي ينتظرهـم، فقـد يسـهرون فـي الترتيـب بينمـا غيرهـم قد أخلـد إلـى النـوم، ويتعبـون تعبًا مضاعفًـا لما يبذلـون من جهد اسـتثنائي حتى يتداركـوا الوقـت الضيـق.. وهكذا.

والكثير منهم يعملون ذلك من وراء الكواليس وبدون أن يشعر بهم الآخرون، ولربما لا ينال بعضهم حتى كلمة «رحم الله والديك» أو «قواك الله» مع بذلهم أقصى درجات الجهد جزاهم الله خيرًا.

❁ لهؤلاء نقول:

١/ تذكروا ما جاء عن رسول الله(ﷺ)، من قوله «ذَهَبَ الْمُفْطِرُونَ الْيَوْمَ بِالْأَجْرِ» [١] وقصته معلومة وتجدها في الهامش فإن النبي(ﷺ) جعل أجور الصائمين وهم الذين جاعوا وعطشوا لساعات طويلة، في كفة المفطرين الذين أعدوا لهم الطعام.

ونقول لهؤلاء لا تتحسروا على أنكم لم تستمعوا مصرع الإمام (عليه السلام)، ولم تذرفوا الدمع الغزير لأنكم كنتم حينها في المطبخ تعدون طعام الباكين والمعزين. فلقد ذهبتم بما ذهبوا به من الأجر وحصلتم على ما حصلوا عليه من الثواب. وكذلك نقول للذين يحرسون المكان وينظمون السير: لا تتأسفوا على أنكم كنتم كما يبدو للنظر لم تلطموا الصدور لأنكم لا يمكن أن تكونوا في حلقة الموكب، ولأنكم في الحراسة أو الإدارة، فلقد «ذهب المفطرون بأجر الصائمين». وهذا الأمر يجري في جميع الخَدمة صغيرهم وكبيرهم.

٢/ لأنكم تتشرفون بعنوان «خَدَمة» فلا بد أن يكون لديكم نفسية الخادم في تواضعه وحسن خلقه مع الناس! فإنكم لستم خدمة أي أحد وإنما

---

(١) البخاري؛ محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري ٣٥/٤: بسنده عَنْ أَنَسٍ بن مالك قَالَ: «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ(ﷺ) أَكْثَرُنَا ظِلًّا الَّذِي يَسْتَظِلُّ بِكِسَائِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ صَامُوا فَلَمْ يَعْمَلُوا شَيْئًا وَأَمَّا الَّذِينَ أَفْطَرُوا فَبَعَثُوا الرِّكَابَ وَامْتَهَنُوا وَعَالَجُوا فَقَالَ النَّبِيُّ(ﷺ): ذَهَبَ الْمُفْطِرُونَ الْيَوْمَ بِالْأَجْرِ.

«خَدَمة الحسين» وقد يكون تصرف سيء من هذا الخادم، يعُرّ ويضر بسمعة مخدومه! إنه حتى لو كان الشخص عنيف المزاج في حياته الخاصة، وسريع الانفعال في عمله، إذا أراد أن يكون من «خدمة» الحسين الذين سيذهبون بأجر المستمعين واللاطمين والباكين، فلا بد أن يترك عنف مزاجه وسرعة انفعاله أثناء خدمته في الموكب والمأتم، وأن لا يُظهر من ذلك شيئًا على الاطلاق، فإنه يسيء للحسين (عليه السلام) عندما يتعامل مع ضيوف موكبه وزوار حسينيته.

إن ضيوف الحسين في الحسينية والموكب لا يتعاملون معكم بصفتكم الشخصية، وأن هذا هو فلان بن فلان، وإنما ينظرون إليكم بما رغبتم فيه وهو أنكم خدام للحسينية والموكب ولصاحبها الأكبر. والإساءة إليهم حتى لو كانت غير متعمدة، أو على أثر التزاحم والعجلة، تحسب عليه صلوات الله عليه. فينبغي التأكيد بأقصى صوره على حسن المعاملة و »التي هي أحسن» وليس فقط الحسن.

ولا ريب ـ والميدان شاهد ـ أن أكثر الخدمة هم يتحلون بأعلى درجات الخلق إلا أنه ربما رغب بعض من لديه عنف في شخصيته أو شدة في كلامه في الخدمة، فيقال له: اجعل هذه المناسبة تجربة تربوية تتكامل فيها أخلاقك بضبط النفس والتعامل الحسن. فإن رأيت نفسك من أهلها ولو في مكان الخدمة الحسينية وأيامها، فافعل. وإلا فلا تُعرّض عنوان «خَدَمة الحسين» لهذا السوء.

❁ الجمهور الحسيني: ضيوف الحسين في بيته

إذا كان «خَدَمة الحسين» يمثلون اليد والعضلات في الجسم الحسيني، فإن الجمهور الحسيني هو باقي الجسم كله، وبه يقوم الموسم، فمنه تتشكل

المواكب للعزاء، ومنه مستمعو الخطب والمحاضرات، وهو كل البدن.

لهذا الجمهور الكريم رسالة نلخص نقاطها في ما يلي:

١/ لعلكم أيها الناس أكثر المخاطبين بما جاء في الأحاديث عنهم (عليهم السلام) في لزوم إحياء أمر أهل البيت، فبكم وبحضوركم الكثيف وبتواجدكم في الحر والبرد، والليل والنهار، ومع الظروف العادية والصعبة، يقوم الموسم ويعظم، فأنتم المخاطبون بما ورد عن الإمام جعفر الصادق، أنه قال للفضيل: «تجلسون وتتحدثون؟ قال: نعم جعلت فداك، قال: إن تلك المجالس أحبها، فأحيوا أمرنا يا فضيل فرحم الله من أحيا أمرنا، يا فضيل من ذكرنا أو ذكرنا عنده فخرج من عينه مثل جناح الذباب غفر الله له ذنوبه، ولو كانت أكثر من زبد البحر».[١] ومثلكم من ينطبق عليه ما روي عن الإمام علي بن موسى الرضا: «من جلس مجلساً يحيي فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب».[٢]

فأي مرتبة أعلى وأجل من هذه المرتبة؟ وهنا يكفي في ترتب الثواب مطلق الحضور بمفاد ترتيب الحديث بل الأحاديث الثواب على ذلك من دون اشتراط شيء آخر، فلو فرضنا أن إنساناً كان على مستوى عالٍ من العلم والمعرفة، وحضوره لخطيبٍ ما لا يفيده فائدة علمية مهمة، فلا ينبغي أن يتأبى عن ذلك لأن أصل الحضور هو مطلوب بغض النظر عن حصوله على الفوائد العلمية وعدم حصوله، نعم له أن يختار ما يجمع بين الأمرين ولكن أصل الحضور بمجرده كافٍ في ترتب الثواب.

٢/ وفي نفس الوقت يقال لكل فرد من الجمهور الكريم: لو قُدّر لك أن

---

(١) الحميري القمي؛ عبد الله بن جعفر: قرب الاسناد ص ٣٦.

(٢) الشيخ الصدوق: عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ٢٦٤/١.

أتيت في سنة ٦٠ هـ أو ما قبلها إلى المدينة المنورة ودخلت بيت إمامك الحسين (عليه السلام)، ماذا كنت تصنع؟ وكيف كنت تتصرف؟ هل كنت مثلا ترمي فيه القذارات والزبالة ثم تهزّ كتفيك وتخرج باعتبار أنه يوجد في هذا البيت من سينظفه؟ هل كنت تتلف بعض أدواته عن عمد أو سهو؟ أو كنت على عكس ذلك تقوم بتنظيف ما قد يكون متسخًا وإصلاح ما قد يكون خرابًا؟ وتفعل ذلك محبة للإمام وقربة إلى الله؟ إن الجواب الثاني هو الطبيعي من أكثر الناس ولو من ناحية نظرية!

عندما تأتي إلى الحسينية في هذا الزمان فإنك تأتي إلى بيت الحسين (عليه السلام) الاعتباري، فهي باسمه وإنما قصدتَه وقصد سائر الناس هذا المكان باعتبار أنّه باسم الحسين (عليه السلام).. فينبغي أن يتم التعامل معه كما لو كان بيتًا حقيقيًّا للإمام (عليه السلام).

٣/ ورسالة أخرى وهي إن مجيء هذا الجمهور هو بغاية «إحياء أمر أهل البيت» فلا بد أن يكون محكومًا بهذه الغاية والهدف، فإذا تحول إلى خلاف هذا الهدف، لم يكن مرغوبًا فيه ومحبوبًا من الأئمة (عليهم السلام)، فالشخص أو الجمهور الذي يأتي ويتسبب مجيئه في مشاكل وإثارات، شخصية أو فئوية، سوف يعارض هدف الإحياء.

٤/ نخاطب كل فرد في هذا الجمهور: إن هذه المواسم والبرامج هي فرصة مهمة للتغيير والترقي والتكامل، وكثير من الناس في هذا الموسم ببركة البرامج التي تحصل في ه، تتغير أخلاقه، وتسمو روحه، ويزداد التزامه، بل رأينا أن بعضهم ينعطف انعطافة تامة من الضلال إلى الهدى ومن الانحراف إلى الالتزام لما لِدم الإمام الحسين (عليه السلام) من البركة والتأثير، فلا يكن نصيبك ـ أنت ـ النصيب الأقل، ولا ينبغي أن يخرج هذا

الموسم وأنت فيه كما دخل عليك من دون تغيير في حياتك وأخلاقك وإيمانك.

لقد أشرنا في بحث سابق إلى أن الموسم الحسيني قد أثر في الكثير من الناس فاهتدوا من دينهم السابق إلى دين الإسلام أو تحولوا من مذهبهم السابق إلى مذهب آل محمد، وكان ذلك ببركة دماء الحسين(عليه السلام) ونهضته في سبيل الله سبحانه. وهذا يبين شدة تأثير هذا الموسم فيمن هو بعيد ولو نسبيًّا عن الحسين..

أفهل يصح أن يكون من هو قريب من الإمام الحسين، بل ومصنف ضمن التصنيفات على أنه من مذهبه، أيصح أن يخرج من الموسم الحسيني كما دخل فيه؟ وأن لا يستشعر حصول تغيير في حياته؟

٥/ إن المجلس الذي تحضر إليه ويذكر فيه مصاب الحسين (عليه السلام) وأصحابه وذريته، والجلوس فيه والاستماع إلى خطيبه، يشبه في أصله تلك المجالس التي جلس فيها أئمة الهدى (عليهم السلام) في تاريخهم، وطلبوا من خطيب المجلس أن يذكر الحسين وتفاعلوا معه بكاءً وندبةً. وهكذا سار على منهاجهم علماء المذهب وأعيان الطائفة، فرأوا في هذه المجالس أعظم الخدمات وودّوا لو أنهم افتدوها بكل ما يملكون، وبأحسن ما يعملون. والشواهد في هذا كثيرة لكنني أكتفي بواحدة منها، نقلها الفاضل الشيخ عبد العظيم المهتدي البحراني، وهو معاصر في الجزء الثاني من كتابه قصص وخواطر عن أخلاقيات علماء الدين، (وهذا الجزء لم يطبع بعد) ولكنه أرسل إليّ القصة التالية عن المرحوم العلامة الفيلسوف السيد محمد حسين الطباطبائي صاحب تفسير الميزان، وهو أشهر من أن يحتاج

إلى تعريف.[1] وحاصلها أنه كان يتمنى أن يبادل كل تفسير القرآن الذي كتبه وهو في أكثر من (٢٠) مجلدا من البحث العلمي التفسيري العميق، بثواب بيت شعر واحد قرأه خطيب في مجلسه، وإليك القصة:

أنا أعطيه تفسيري الميزان وهو يعطيني بيت شعر..

نَقَلَ الشيخ عن آية الله السيّد علوي البروجردي (دام ظله) حفيد آية الله العظمى السيّد حسين البروجردي (رفع الله درجاته) المتوفى (١٣ / شوال / ١٣٨٠هـ) الموافق (٣٠ / مارس / ١٩٦١) في قم المقدّسة.. قال:

طَرَقنا الباب.. فحضر العلاّمة الطباطبائي (رضوان الله عليه) وفَتَح لنا الباب.. دخلنا وجلسنا في غرفةٍ مجاورةٍ للمدخل.. بعد قليل طُرِق البابُ الداخلي، فقام السيّد الطباطبائي ويبدو أنّ امرأةً أعدّتْ لنا الشاي ولم يكن هناك خادم في البيت، فقام السيّد بنفسه وأخذ منها صينيّة الشاي من خلف الباب، وكانت يدُ العلاّمة الطباطبائي ترتعش (لِكِبَرِ سنّه) فقمتُ وأخذتُ منه الصينيّة، فوزّعتُ الشاي على الحاضرين.

فالتفتَ المرحوم العلاّمة الطباطبائي إلى خطيبٍ من خطباء المراثي الحسينيّة وقال له: ما دمتَ هنا فأنا أحبّ أن تقرأ لنا رثاءً لسيّد الشهداء أبي عبدالله الحسين (عليه السلام).

وكان هناك كرسيٌّ.. فقام الخطيب وجلس عليه وقرأ نعيًا شجيًّا حتى وصل إلى شعرٍ معروفٍ للشاعر «إيرج ميرزا» وهذه أبياته (بالفارسية - المترجمة):

---

(١) تحدثت عن سيرته في إحدى محاضرات شهر رمضان، ضمن سلسلة (بهداهم اقتده) وهي موجودة على قناة اليوتيوب بعنوان: العلامة الطباطبائي؛ تفسير القرآن بالقرآن.

رَسْـمَ سْـتْ هَر كِه داغِ جوانْ دید... دوستان رأفتْ بَرَنْد حالتِ آن داغْ دیده را

مِن أدب العزاء أنّ المُعزّى في ولده الشـاب... يرأف بحاله مُحبّوه

یـک دوسـتْ زیـرِ بـازویِ او گیـرد از وفـا... وآن یـک زِ چِهْـرِهْ پـاک کنـد أشـکِ دیـده را

مُحبٌّ يمسـك عضدَه مِن شـيمة الوفاء... وآخر يمسح دموعَه من وجهه

آن دیگری بَر او بِفِشانَد گُلاب و شَهْد... تا تقویتْ کند دِلِ مِحْنِتْ چَشیده را

ومُحـبٍّ آخر يرشّ عليه ماءَ الورد... ليقوّي به قلبَه المفجوع في هذه المحنة

القِصّـه هَـر کَسـی بـه طریقـی زِ رُویِ مِهْـر... تَسْـکِین دَهَدْ مُصیبـتِ بَر وَی رَسیده را

الخلاصـة فـإنّ كلّ واحـدٍ منهـم ومـن منطلـق الـودّ... يُسـكِّن مِـن ألـم المصيبـة الـواردة عليـه.

آیا کِه دادْ تسـلیتِ خاطرِ حسـین؟... چون دید نَعْشِ أکبرْ در خون تپیده

ولكـنْ مَـن قـدّمَ التعزيـةَ للحسـين... عندمـا رأى نَعْـشَ ابنـه علـيٍّ الأكبـر غارقًـا فـي الدماء؟!

آیا کِه غَمگُسـاری و اَندُه بَری نمود... لیْلایِ داغْ دیدهٔ زَحمتْ کَشـیده را

مَـن يـا تُـرى قـد أزال الغـمَّ والحـزنَ عـن أمّـه ليلـى... تلـك المُصابـة في هـذه الفاجعة

بعد ازْ پِسَـرْ دِلِ پِدَر آماجِ تیر شُـدْ.... آتش زَدَنْد لانهٔ مُرْغِ پریده را

بعـد الإبن صار قلـبُ الأب مرمىً للسّـهام... أحرقوا عُشّ طَيْرٍ شـرّدوه مِنه.

هنا قال العلاّمة الطباطبائي للخطيب الناعي: أعِدْ..

وكانت دموعُه تجري على لحيته...

فأعاد الخطيب هذا البيت:

بعد الإبن صار قلبُ الأب مرمىً للسّهام... أحرقوا عُشّ طَيْرٍ شرّدوه مِنه.

يقول السيّد البروجردي: إنّي أتذكّر أنّ السيّد الطباطبائي كرّر طَلَبَه هذا من الخطيب ربما أربع مرّات وهو مستغرقٌ في بكائه.. ويبكي بشدّة.

ولمّا أكمل الخطيب قراءته وانتهى نزل مِن على الكرسيّ.. ولكنّ العلاّمة الطباطبائي كان لا يزال يبكي ويضرب على فخذه ويقرأ لنفسه ذلك البيت من شعر الرثاء:

بعد الإبن صار قلبُ الأب مرمىً للسّهام... أحرقوا عُشّ طَيْرٍ شرّدوه مِنه.

أنا كنتُ في تلك الأيام من الطلاّب المحبّين للتحقيق العلمي ممن يطرحون أسئلتهم ويحبّون المناقشات العلميّة.. فقلتُ للسيّد الطباطبائي (رضوان الله عليه) وهل تعرفون هذا الشاعر وقرأتُم أشعاره؟

قال: نعم.. ديوانُ شعرِه موجودٌ عندي وقرأتُه.

ثم التفت إليّ أو لعلّه قَصَدَ إفادةَ الحاضرين فقال:

ليت الشاعر «إيرج ميرزا» يُقايضُني.. فأنا أعطيه تفسيري الميزان وهو يعطيني هذا البيت من شعره. فإنَّ مَن يقول هذا في حقّ عليّ الأكبر (عليه السلام) لا أستطيع أن أتصوّر بأنّ الحسين (عليه السلام) غدًا يوم القيامة سوف لن يبالي به ولن يُنيلَه رعايتَه الخاصة.[1]

(١) قد لا نستطيع أن نفهم هذه المعادلة، والذي يفهمها هو صاحب التفسير العلامة الطباطبائي، =

المنبر الحسيني تاريخ النشأة والتطور

لعلنا نستطيع القول من دون مجازفة إن الخطيب الحسيني في هذا العصر، يكاد يكون الركن الأعظم والعمود الأساس في الموسم الحسيني، ولا نحتاج إلى البرهنة على ذلك، فما هو أمامك بالعيان والوجدان لا يحتاج إلى كثير دليل وبرهان!

إن الحسينية مثلا وإن كان بناؤها فخمًا واسعًا، وكان الإطعام فيها متميزًا، لو كان برنامج المنبر والخطيب فيها ضعيفًا فلن يكون ما سبق شافعًا لأصحابها، ولن يكون داعيًا سائر الناس للحضور لها إلا قليلاً! بينما قد لا يتحرج الكثير من الناس من الحضور في الحسينيات البسيطة، بل ربما الجلوس في الشوارع لاستماع خطيب نافع ومتميز!

= فهو الذي يعرف مقدار الجهد العلمي والفكري الذي بذل في هذا التفسير المتميز بين التفاسير قديمًا وحديثًا، ومقدار الأوقات التي تم العمل عليه فيها، ومع ذلك هو مستعد لأن يبادله ببيت من شعر الرثاء في شأن علي الأكبر وأبيه الحسين(عليهما السلام). ولولا أن النقل هو عن السيد الطباطبائي بواسطة واحدة وهي تلميذه السيد العلوي البروجردي لكان يمكن التأمل في مصداقية النقل.. وقد تم مثل ذلك من التأمل في ما نقل عن صاحب الجواهر من أنه كان يتمنى مبادلة كتابه جواهر الكلام وهو شرح استدلالي على كتاب شرائع الإسلام، لا يستغني عنه الفقهاء، بقصيدة الشيخ كاظم الأزري المعروفة بالأزرية، في فضائل النبي وأهل بيته صلوات الله عليهم.. وهناك تم التأمل في هذه القصة من أجل أنه لم توجد في نقل معتبر عن الشيخ صاحب الجواهر، بحسب الظاهر.

وسيكون لنا في هذه الصفحات شيء من الحديث المختصر عن تاريخ تطور المنبر الحسيني وخطبائه، حيث مر ذلك بمراحل تاريخية متعددة، حتى وصل إلى ما نشاهده الآن في عصرنا!

وإنما وصفت الحديث بالمختصر، لأننا هنا لسنا في صدد البحث التخصصي في موضوع الخَطابة الحسينية، إلا بمقدار ما تستدعي الحاجة، وقد قام بتفصيل تلك المراحل والبرهنة عليها وذكر الأسماء والتحليل علماء مؤرخون لهذا الجانب وأذكر منهم على سبيل المثال: آية الله الشيخ محمد مهدي شمس الدين العاملي، في كتابه المتميز «ثورة الحسين في الوجدان الشعبي» المطبوع سنة (١٤٠٠ هـ) والذي يبدو لي أنه صار منهجًا لمن بعده، وطريقة سلكها اللاحقون، مع التطوير والتفصيل، فقد سبق غيرَه إلى هذا المبحث ونظمه تنظيمًا جيدًا. وهكذا العلامة السيد داخل السيد حسن في كتابه معجم الخطباء الذي طبع الجزء الأول منه سنة (١٤١٦ هـ) حيث قدم للحديث عن الخطباء بإعطاء «مقدمة إجمالية ورسم صورة سريعة عن الخطابة والخطباء، وأدوار التأسيس التاريخي للخطابة الحسينية، وما هي الأسس التي ارتكزت عليها مؤسسة المأتم الحسيني، وما هو الدور الهام الذي لعبه المنبر الحسيني في الإعلام الديني والثقافة الإسلامية..». وأما المحقق الشيخ محمد صادق الكرباسي فقد أودع «الصيد كله في جوف الفرا» بدراسته التي قدم فيها لكتابه معجم خطباء المنبر الحسيني ضمن موسوعة دائرة المعارف الحسينية، المطبوع سنة (١٤١٩ هـ) حيث تناول في تمهيده البالغ ١٩٢ صفحة، مواضيع كثيرة تتصل بالخطابة الحسينية، ويستغنى به ولا يستغنى عنه.

وقد أهداني الدكتور الشيخ فيصل الكاظمي كتابه، وهو رسالة جامعية، المسمى «المنبر الحسيني؛ نشوؤه، حاضره، مستقبله» والمطبوع سنة

(١٤٢٤ هـ) وهو يقع في ٤٢٠ صفحة، فكان تعبيرًا صادقًا عما جاء في عنوان الكتاب، نافعًا لمن يقرأه ولا سيما لخطباء المنبر الحسيني، وكذلك فعل المرحوم العلامة الشيخ باقر المقدسي، وهو أحد أعلام المنبر في عصرنا الحديث، وكانت له خدمات كبيرة فيه في كثير من الأقطار المسلمة، فقد أهداني كتابه بعنوان المنبر الحسيني، وتناول فيه جانبًا من تاريخ المنبر والخطابة الحسينية وتطورها.

وقد فاتني من ذكر المؤلفات في هذا الجانب أكثر مما حضرني، ولم يكن الغرض استقصاء ما أُلف وكتب، وإنما الإشارة إلى بعض ما كتب مما يتيسر الحصول عليه لمن أراد المطالعة والبحث في هذا الجانب.

وما يذكر في هذه الصفحات قد يتشابه مع بعض ما ذكر في تلك الكتب وقد يتمايز، ولا ريب أنني قد استفدت الكثير منها ومن غيرها. وسيكون ترتيب الحديث في نقاط متسلسلة بالأرقام، ولن ألزم نفسي بمراحل محددة زمنيًّا كما ربما فعل بعض الباحثين، وذلك أن الظواهر الاجتماعية ومنها تطور الخطابة، تحصل في حالة تدريجية، وليست مقيدة بالسنوات.. نعم ربما ظهر في سنة معينة النموذج الأوضح الممثل لتلك المرحلة، إلا أن هذا لم يكن في تلك السنة، وإنما هو نتاج تطور تدريجي بطيء ومستمر.

١/ يكاد يُتفَق على أن الإعلان عن مظلومية الحسين (عليه السلام)، وما نسميه اصطلاحًا بالخطابة الحسينية، كانت بدايته من بعد واقعة كربلاء وشهادته (عليه السلام) واستمر ذلك إلى عودة ركب السبايا إلى المدينة المنورة. هذا بالرغم من أن تسجيل شهادته وتوثيق مصيبته قبل أن تقع والبكاء عليها بعد الحديث عنها كان موجودًا منذ ولادة الإمام الحسين (عليه السلام)، أي قبل حصول

الفاجعة بنحو ستين سنة من الزمان، وكان ذلك في الغالب بواسطة رسول الله(ﷺ)، وكان ربما ذكر ذلك في حضور ابنته فاطمة وصهره علي (عليهما السلام)، وبعض زوجاته وأصحابه.[١]

إلا أن تأبينه وذكر مصيبته بعد وقوعها وهو ألف باء المنبر والخطابة وما سماه السيد الشهرستاني في كتابه «تاريخ النياحة» كان اليوم التالي ليوم الشهادة، حيث أبّنت زينب بنت أمير المؤمنين (عليها السلام) أخاها، فأبكت كل عدو وصديق، فإنهم مرّوا بالنساء على جثث الشهداء «فلطمن النسوة، وصحن حين مررن بالحسين، وجعلت زينب بنت علي تقول:

يا محمداه صلى عليك ملك السما. هذا حسين بالعرا، مزمّل بالدما، مقطع الأعضا. فأبكت كل عدوٍّ وولـيٍّ».[٢]

وعندما وصلوا إلى الكوفة واجتمع الناس، كان الجو مهيئًا لأن يلقي الإمام علي بن الحسين السجاد (عليه السلام) خطابًا يوضح فيه أبعاد المصيبة

(١) فمن ذلك ما ذكره الحاكم النيشابوري في المستدرك على الصحيحين ١٩٤/٣ بسنده عن شداد بن عبد الله عن أم الفضل بنت الحارث «ولدت فاطمةُ الحسينَ فكان (الحسين) في حجري كما قال رسول الله(ﷺ) فدخلت يومًا إلى رسول الله(ﷺ) فوضعته في حجره ثم حانت مني التفاتة فإذا عينا رسول الله(ﷺ) تهريقان من الدموع قالت: فقلت: يا نبي الله بأبي أنت وأمي ما لك؟ قال: أتاني جبريل عليه الصلاة والسلام فأخبرني ان أمتي ستقتل ابني هذا! فقلت: هذا؟ فقال: نعم! وأتاني بتربة من تربته حمراء»، ومنه كما في المعجم الكبير للطبراني ١٠٩/٣ ما روته أم سلمة: «قال لي رسول الله(ﷺ): اجلسي بالباب ولا يَلِجنّ عليَّ أحد! فقمت بالباب إذ جاء الحسين فذهبت أتناوله فسبقني الغلام فدخل على جده! فقلت: يا نبي الله جعلني الله فداك أمرتني أن لا يلج عليك أحد وإن ابنك جاء فذهبت أتناوله فسبقني فلما طال ذلك تطلعت من الباب فوجدتك تقلب بكفيك شيئًا ودموعك تسيل والصبي على بطنك؟ قال: نعم أتاني جبريل فأخبرني أن أمتي يقتلونه وأتاني بالتربة التي يقتل عليها فهي التي أقلب بكفي".

(٢) البلاذري؛ أحمد: أنساب الأشراف ٣/ ٤١٢، والطبري: تاريخ الطبري ٤٥٦/٥.

وهكذا لتلقي زينب واختها أم كلثوم، وفاطمة بنت الحسين (عليهم السلام) خُطبَهن، ما جعل نساء الكوفة «يلتدمن[١] وهن مهتكات الجيوب» من الألم والبكاء، وهو ما نقل عن حذلم، أو«حذام الأسدي قال قدمت الكوفة سنة إحدى وستين وهي السنة التي قتل فيها الحسين بن علي (عليه السلام) فرأيت نساء أهل الكوفة يومئذٍ يلتدمن مهتكات الجيوب ورأيت علي بن الحسين (عليهما السلام) وهو يقول بصوتٍ ضئيل وقد نحل من المرض يا أهل الكوفة إنكم تبكون علينا فمن قتلنا غيركم وسمعت أم كلثوم بنت علي (عليها السلام) وهي تقول فلم أرَ خَفِرةً والله أنطق منها كأنما تنزع عن لسان أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) وأشارت إلى الناس أن أمسكوا فسكنت الأنفاس وهدأت فقالت: الحمد لله رب العالمين والصلاة علي جدي سيد المرسلين أما بعد يا أهل الكوفة..»،[٢] وأما الرجال فقد كانوا «حيارى وقد ردوا أيديهم إلى أفواههم ورأيت شيخاً كبيراً من بني جعفى وقد أخضلت لحيته من دموع عينيه وهو يقول:

كهولهم خير الكهول ونسلهم إذا عُدّ نسلٌ لا يبور ولا يخزى»[٣]

والأمر نفسه نجده في الشام حيث شهدت بلاد الشام خطبًا ومنابر تنعى الحسين (عليه السلام)، وهو الأمر الذي قلب الأوضاع على يزيد بن معاوية، واضطره إلى التنصل من مسؤولية قتل الإمام الحسين (عليه السلام)، والمبادرة بإخراج الركب الحسيني من الشام وإرجاعه إلى المدينة. فقد كان للعقيلة

---

(١) ابن فارس؛ أحمد: مقاييس اللغة ٢٤٣/٥: وَالْتَدَمَ النِّسَاءُ: ضَرَبْنَ وُجُوهَهُنَّ وَصُدُورَهُنَّ فِي الْمَنَاحَةِ. »

(٢) ابن طيفور؛ أحمد بن أبي طاهر: بلاغات النساء ص٣٠: وقد ذكرنا في كتابنا «السيدة زينب ونساء النهضة الحسينية» تفاصيل خطبها وخطبهن وشيئًا من الدراسة لتلك الخطب، فليراجع من أحب التفصيل.

(٣) المصدر نفسه.

زينب خطبة عظيمة في بلاغتها ومضمونها استطاعت بها أن تنكد على يزيد شعوره بالانتصار وتشعره بالخزي والعار، وتنذره فوق ذلك بعذاب النار!

وأما خطبة الإمام زين العابدين (عليه السلام)، فقد قدم لها بمقدمة حدد فيها شروط كل متكلم وحدود كل كلام وإلا كان ذلك الكلام محفوفا بغضب الله سبحانه، فإنه في أول الأمر بعدما استمع إلى الخطيب الأموي وقد: «أطنب في تقريظ معاوية ويزيد وأكثر الوقيعة في عليّ والحسين عليهما السّلام! وكان الإمام السجّاد (عليه السلام)في هذه الفترة قد تماثل للشفاء، فصاح به:

ويلك أيّها الخاطب! اشتريت رضا المخلوق بسخط الخالق! فتبوّأ مقعدك من النار!

ثمّ التفت إلى يزيد وقال له: يا يزيد (كذا بدون لقب) إئذن لي حتّى أصعد هذه الأعواد فأتكلّم بكلمات فيهنّ للّه رضًا، ولهؤلاء الجالسين أجر وثواب!»[1] فوضع قانون الخَطابة الدينية عمومًا، والخطابة الحسينية خصوصًا. وأنه ضمن دائرة رضا الله وفائدة المستمعين ونيلهم الأجر.

ونعتقد أن إقامة المأتم الحسيني في بيت يزيد، وهو الأمر الذي أكدته المصادر التاريخية [2]وإن اختلفت في تفسير دوافعه، كانت ضمن هذا الإطار.

وكذا خطاب الإمام زين العابدين (عليه السلام) عند العودة إلى المدينة، فقد اجتمع الناس عليه «يعزونه، فخرج من الفسطاط وبيده خرقة يمسح بها

(١) اليوسفي الغروي؛ الشيخ محمد هادي: موسوعة التاريخ الإسلامي ٢١١/٦.

(٢) الطبري؛ محمد بن جرير: تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك ٤٦٢/٥، وابن عساكر في تاريخ دمشق ١٧٧/٦٩ «دخلن دار يزيد فلم تبق من آل معاوية امرأة إلا استقبلتهن تبكي وتنوح على الحسين، فأقاموا عليه المناحة ثلاثا »

دموعه وخلفه مولى معه كرسي، فجلس عليه وهو لا يتمالك من العبرة وارتفعت الأصوات، فقال: «... إنّ اللّه تعالى وله الحمد ابتلانا بمصائب جليلة، وثلمة في الإسلام عظيمة، قتل أبو عبد اللّه الحسين (عليه السلام)وعترته، وسبيت نساؤه وصبيته، وداروا برأسه في البلدان، من فوق عامل السنان، وهذه الرزية التي لا مثلها رزية..»[1] إلى آخر خطبته (عليه السلام). ولعل هذه أول إشارة إلى الجلوس على الكرسي بعد صعود الأعواد (المنبر) في الشام.

ولأجل هذا البناء التأسيسي والأدوار المتعددة، قال الشيخ الكرباسي: وبالإجمال فإن أبرز خطباء هذه الفترة هم الامام السجاد وزينب وأم كلثوم.[2] كما أن السيد داخل في كتابه معجم الخطباء أشار إلى الإمام علي بن الحسين السجاد تحت عنوان الخطيب الأول وقال: هو أول خطيب اعتلى منبر الخَطابة بعد مصرع سيد الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام).[3]

٢/ تواصل الاهتمام بالمنبر والمأتم الحسيني بعد الإمام السجاد، في عهد الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام)، وبدأ يتحول إلى عمل شعبي سيمكنه من الانتشار، من خلال أمور: منها؛ أن الإمامين (عليهما السلام) قد بيّنا الثواب المترتب على من نظم في مصيبة الحسين شعرًا،[4] ومن أنشد في الحسين

(١) المقرم؛ السيد عبد الرزاق: مقتل الحسين (عليه السلام) ص ٣٩٥، ونلاحظ في النص المنقول من الخطبة تركيز الإمام السجاد (عليه السلام) على مسألة سبي النساء، في البلدان والطواف برأس الحسين (عليه السلام)، وهو الذي سيحاول أعلام الاتجاه الأموي فيما بعد إنكاره وتكذيبه.

(٢) الكرباسي؛ محمد صادق: معجم خطباء المنبر الحسيني ١ / ٤٠.

(٣) السيد حسن؛ داخل: معجم الخطباء ١/ ٣٥.

(٤) الطوسي؛ شيخ الطائفة محمد بن الحسن: اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ٢/٥٧٥. عن زيد الشحام قال: كنا عند أبي عبد الله جعفر الصادق، ونحن جماعة من الكوفيين. فدخل جعفر بن عفان على أبي عبد الله، فقربه وأدناه. ثم قال: يا جعفر. قال: لبيك، جعلني الله فداك. قال: بلغني أنك تقول الشعر في الحسين (عليه السلام) وتجيد فقال له: نعم، جعلني الله فداك. قال: قل. فأنشده، فبكى ومن حوله حتى صارت الدموع على وجهه =

(سواء من شعره أو من شعر غيره)[١] ومن حضر مجالس عزائه، وأنه يحيا قلبه يوم تموت فيه القلوب[٢]، وأنه يحب تلك المجالس والمذاكرة فيها لأمر أهل البيت،[٣]وصار الترغيب في البكاء بل والتباكي واتخاذ هيئة الحزين،[٤]واشتراك النساء في مجالس العزاء من وراء ستار.[٥]

= ولحيته. ثم قال: يا جعفر، والله لقد شهدت ملائكة الله المقربين هاهنا يسمعون قولك في الحسين، ولقد بكوا كما بكينا أو أكثر. ولقد أوجب الله تعالى لك يا جعفر في ساعتك الجنة بأسرها، وغفر الله لك فقال: يا جعفر، أولا أزيدك! قال: نعم يا سيدي. قال: ما من أحد قال في الحسين شعراً فبكى وأبكى به إلا أوجب الله له الجنة وغفر له.

(١) الشيخ الصدوق: الامالي بسنده عن أبي عمارة المنشد، عن أبي عبد الله جعفر الصادق (عليه السلام) قال لي: يا أبا عمارة، أنشدني في الحسين بن علي. فأنشدته فبكى، ثم أنشدته فبكى قال: فو الله ما زلت أنشده فيبكي حتى سمعت بكاء من في الدار. فقال: يا أبا عمارة من أنشد في الحسين بن علي شعراً فأبكى خمسين فله الجنة، ومن أنشد في الحسين شعراً فأبكى ثلاثين فله الجنة، ومن أنشد في الحسين شعراً فأبكى عشرة فله الجنة، ومن أنشد في الحسين شعراً فأبكى واحداً فله الجنة، ومن أنشد في الحسين شعراً فتباكى فله الجنة».

(٢) الأمالي، الشيخ الصدوق، ص ١٣١ «من جلس مجلسًا يحيى فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب».

(٣) الحر العاملي: وسائل الشيعة (آل البيت) ١٤/ ٥٠١ عن بكر بن محمد، عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال للفضيل:تجلسون وتتحدثون؟ فقال: نعم، فقال: إن تلك المجالس أحبها، فأحيوا أمرنا، فرحم الله من أحيا أمرنا.

(٤) البروجردي؛ آية الله السيد حسين: جامع أحاديث الشيعة ٥٦٧/١٢، ناقلا عن البحار «أن دعبلا الخزاعي قال: دخلت على سيدي ومولاي علي بن موسى الرضا (عليه السلام) في مثل هذه الأيام (أوائل محرم) فرأيته جالسا جلسة الحزين الكئيب..».

(٥) الأصفهاني؛ أبو الفرج: الأغاني ٧/ ١٧٥. بسنده عن علي بن إسماعيل التميمي، عن أبيه قال: «كنت عند أبي عبد الله جعفر بن محمد، فاستأذن آذنه للسيد الحميري، فأمر بإيصاله، واقعد حرمه خلف ستر. ودخل فسلم وجلس، فاستنشده فأنشده قوله:

امرر على جدث الحسين فقل لأعظمه الزكيه

قال: فرأيت دموع جعفر بن محمد (عليه السلام) تتحدر على خديه، وارتفع الصراخ من داره حتى أمره بالإمساك فأمسك... ».

وهكذا بينما كان الدور الأول مقتصرا على قيام أهل البيت (عليهم السلام) بالرثاء والتذكير بمصيبة الحسين،[١] تحول المأتم والمنبر الحسيني في هذا الدور إلى: ممارسة عبادية فيها الأجر والثواب، لناظم الرثاء والشاعر، وللمبكي والباكي، بل للمتباكي. ولم يبق في حدود الرجال بل امتد إلى النساء، وأخذ له شكلاً اجتماعيا (مجالس)، وطريقة خاصة بحيث عندما قرأ أحدهم للإمام الصادق (عليه السلام) بطريقة عادية من الإلقاء، ذكّره بأن يلقي بطريقتهم المخصوصة (بالرقة)،[٢] وتخصص في ذلك أشخاص على أثر تشجيع الأئمة وبرعوا فيه بل أصبح الانشاد الخاص مهنة لهم، ولقبًا

(١) ومما مضى ويأتي تعلم عزيزي القارئ أن ما قاله ابن تيمية، وهو الذي جرّد قلمه ولسانه طيلة حياته لمحاربة مذهب أهل البيت ومناكفة أتباعهم الذين سماهم الروافض، في كتابه جامع المسائل ٣/ ٩٣ في مخالفته للمآتم والأحزان على الإمام (عليه السلام) وقوله: «فأما اتخاذ المآتم في المصائب واتخاذ أوقاتها مآتمَ فليس من دين الإسلام، وهو أمر لم يفعله رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه (وآله) وَسَلَّمَ -، ولا أحد من السابقين الأولين ولا من التابعين لهم بإحسان، ولا من عادة أهل البيت ولا غيرهم. وقد شَهِدَ مقتلَ عليٍّ أهلُ بيته، وشهدَ مقتلَ الحسين من شهدَه من أهل بيته، وقد مرَّتْ على ذلك سنون كثيرة وهم متمسكون بسنة رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ -، لا يُحدثون مأتمًا ولا نياحةً، بل يصبرون ويسترجعون كما أمر الله ورسولُه، أو يفعلون مالا بأسَ به من الحزن والبكاء عند قرب المصيبة». تعلم أن ذلك خاطئ تمامًا فقد نصب المأتمَ رسول الله بحضور أم سلمة وغيرها، وعلي (عليه السلام) في أكثر من موضع مع أن الحسين لم يقتل بعدُ، ونصب المآتم المتعددةَ زينُ العابدين علي بن الحسين ثم الباقر والصادق (عليهم السلام)، إلا إذا كان لا يعترف بعلي من السابقين الأولين ولا بهؤلاء أنهم تابعون بإحسان!!

(٢) ابن قولويه: كامل الزيارات ص ٢٠٨. بالإسناد الى أبي هارون المكفوف. قال: أدخلت على أبي عبد الله الصادق فقال لي: يا أبا هارون، أنشدني في الحسين، فأنشدته، فقال لي: أنشدني كما تنشدون ـ يعني بالرقة ـ فأنشدته.

يعرفون به، كما كثر في ذلك نظم الشعر، وإنشاده رجالا[١] ونساءً[٢] بل جعل «إحياء أمر أهل البيت» يمر بهذا الطريق!

وبالإضافة إلى تحريضهم (عليهم السلام) شيعتهم على القيام بهذه الأمور، فقد قاموا بها فاستقبلوا الشعراء والمنشدين، وبكوا مع الباكين، وأعطوا جوائز للناظمين، بل استمعوا إليه في أيام كانت مخصصة لذكر الله سبحانه، وكأن هذا يتكامل مع ذكر الله.[٣]

وبعبارة أخرى فإننا لو أردنا تطبيق ما يقال من أن أي مؤسسة تحتاج إلى ثلاثة عناصر لتتكون وتبقى؛ تحتاج إلى دافع يعبر عن الغرض منها وما هي غايتها؟ وتحتاج أيضا إلى شكل وإطار، كما تحتاج إلى مضمون.. لو أردنا تطبيق هذه المعادلة في أمر المنبر الحسيني ومؤسسته لوجدناها تامة وحاصلة.

ففي توجيهات الإمامين الباقر و الصادق (عليهما السلام)؛ نجد الدافع الذي بيّناه وهو: مجموع الأحاديث الواعدة بالثواب والأجر الكبير لمن كان في هذا السلك. فمن بكى له أجرٌ، ومن أنشد وأبكى له كذلك، ومن قال شعرًا، ومن تباكى..

---

(١) ذكر الشيخ الكرباسي في معجم الخطباء١/٤٣ تراجم عدد من المنشدين؛ منهم أبو عمارة المنشد، وأبو داود المسترق سليمان بن سفيان وإنما سمي بالمسترق لأنه كان يسترق قلوب الناس بأشعار السيد الحميري، ومنهم أبو هارون المكفوف المنشد: موسى بن عمير الكوفي..

(٢) الشيخ الطوسي: اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ٢/ ٧٠٤، قال الصادق لسفيان بن مصعب العبدي «قل شعرًا تنوح به النساء».

(٣) الأصفهاني: الأغاني ١٧/ ٢٠. عن صاحب للكميت الأسدي قال: دخلت مع الكميت على أبي عبد اللّه جعفر بن محمد عليهما السّلام، فقال له: جعلت فداك! ألا أنشدك؟ قال:إنها أيام عظام! (أيام الحج)، قال: إنها فيكم، قال: هات - وبعث أبو عبد اللّه إلى بعض أهله فقرب - فأنشده، فكثر البكاء حتى أتى على هذا البيت :

يصيب به الرّامون عن قوس غيرهم فيا آخرًا أسدى له الغيّ أوّل

تشكل هذه الأحاديث دافعًا كبيرًا لتأسيس المنبر وإقامته ولو في حدود ضيقة بمقدار الاستطاعة؛ لأن المؤمن الذي يحضر المجلس والمنبر لا يخلو من واحدة من الصفات فهو إما: إما منشئ للشعر، أو منشد له، أو سامع، أو باك، أو مُبكٍ، أو متباكٍ، وكل هؤلاء يحصلون على أجر ومثوبة.

وتمت الدعوة للإطار والشكل، فنحن أمام تعبير: مجالس مُعدّة، كما مر بنا أن الإمام الصادق (عليه السلام) يسأل الفضيل بن يسار، فيقول له: «تَجْلُسُونَ وَتَتَحَدَّثُونَ؟» وواضح أن كل الناس يجلسون ويتحدثون، سواء مسلمون، أو غير مسلمين، ولكن المقصود من كلامه» مجالس معينة ومحددة، وذات غرض معين»، فهل تجلسون هذه المجالس، وتتحدثون فيها؟ يقول: «بَلَى»، فقال الإمام: «إِنِّي لَأُحِبُّ تِلْكَ المَجَالِسَ، أَحْيُوْا أَمْرَنَا، رَحِمَ اللهُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَنَا»، والتتبع لكلمة الأمر و« أمرنا» في روايات أهل البيت، يلاحظ أنها تشير إلى معاني مهمة في أصل المذهب، مثل الإمامة الإلهية،[1] ومنهج الحق، والدفاع عن أهل البيت.

وربط الإمام الصادق بين هذه المجالس والحضور فيها والتفاعل بكاءً وإبكاءً وتباكيًا، وبين إحياء أمر أهل البيت وجعل ذلك مصداقا من مصاديقه، ومضمون ذلك هو: رثاء الإمام الحسين (عليه السلام).

فأنت أمام توجيهات تتكفل بإيجاد الدافع لهذه المؤسسة، وتشكل الهيكل والإطار، وتتكفل بالمضمون.

(١) فإنهم عندما يسألون عن الإمام التالي يسألون: من صاحب هذا الأمر؟ وعندما يتحدث عن الإمام المهدي يقول: لا بد لصاحب هذا الامر من غيبة، حتى يرجع عن هذا الأمر من كان يقول به. وفي حديث عن الباقر (عليه السلام) لا تطعم النار واحدًا وصف هذا الأمر! ولأجل ذلك كان «أمرنا صعب مستصعب لا يحمله إلا عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان» وعن الصادق: من مات منكم على أمرنا هذا كان كمن استشهد مع رسول الله».

وأصبح في آخر أيام الإمام الصادق (عليه السلام)، ما يشبه الموسم في شعبان من الزائرين للإمام الحسين (عليه السلام)، حيث يأتي الناس لزيارته ويستمعون إلى قصة مقتله ويتفاعلون بالبكاء والنياحة عند قبره الشريف، وهذا ما يكشف عنه الحديث المروي في كامل الزيارات عن الإمام الصادق (عليه السلام) «.. بلغني أن قومًا يأتونه من نواحي الكوفة وناسًا من غيرهم، ونساءً يندبنه، وذلك في النصف من شعبان، فمن بين قارئ يقرأ، وقاص يقص، ونادب يندب، وقائل يقول المراثي، فقلت له: نعم جعلت فداك قد شهدت بعض ما تصف، فقال: الحمد لله الذي جعل في الناس من يفد إلينا ويمدحنا ويرثي لنا..».[1]

ومع أن النظر العام الديني للشعر سلبي كما يلحظ الناظر إلى ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾[2] وقوله(صلى الله عليه وآله وسلم) كما نقل عنه «أن يمتلئ جوف أحدكم قيحًا خير له من أن يمتلئ شعرًا»[3] إلا أنه فيما يرتبط بالإمام الحسين (عليه السلام)، تم إخراجه من هذا النظر السلبي تخصصًا أو تخصيصًا.

ومع أن وتيرة القوة والتصاعد في المأتم والمنبر الحسيني قد انخفضت في أيام الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام) ولعل ذلك راجع إلى ما كان عليه موسى الهادي العباسي أولا وبعده هارون الرشيد العباسي من الموقف الحاد تجاه قبر الحسين (عليه السلام) وما يرتبط به من شعائر وولاء!

إلا أن ذلك ما لبث أن عاد إلى قوته السابقة في أيام الإمام الرضا (عليه السلام)، فلم يكن المأمون يتظاهر بمعاداة شعائر الإمام الحسين ومرقده، ولم يوفر الإمام الرضا (عليه السلام) وسيلة إلا واستفاد منها لاستثمار ذلك الظرف، ولا سيما

(١) ابن قولويه: كامل الزيارات ص ٥٣٩.

(٢) الشعراء: ٢٢٤.

(٣) الأصبهاني؛ أبو نعيم أحمد بن عبد الله: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ٥/ ٦٠.

في أيام ولاية العهد (٣ سنوات) فاستقبل الشعراء الناظمين في الحسين والمنشدين،[١] وجلس لذلك أيام محرم، وبيّن هو بنفسه (عليه السلام) بعض ما جرى على الإمام الحسين وأهل بيته.[٢]

وبطبيعة الحال فإن هذا الفعل الاجتماعي بعدما تم التأسيس له أيام الإمام الصادق (عليه السلام)، بدأ يأخذ مداه الطبيعي في المجتمع ويتنامى،

---

(١) قد مر في صفحات سابقة عن دعبل الخزاعي وكيف أنه قدم على الإمام علي بن موسى الرضا في أيام المحرم، وقد جلس جلسة الحزين الكئيب، وأصحابه جلوس حوله. فلما رآني مقبلاً قال لي: مرحباً بك يا دعبل، مرحباً بناصرنا بيده ولسانه، ثم إنه وسع لي في مجلسه، وأجلسني الى جانبه، ثم قال: يا دعبل أحب أن تنشدني شعراً فإن هذه الأيام أيام حزن كانت علينا أهل البيت، وأيام سرور كانت على أعدائنا، خصوصاً بني أمية. ثم إنه نهض وضرب ستراً بيننا وبين حرمه وأجلس أهل بيته من وراء الستر ليبكوا على مصاب جدهم الحسين. ثم التفت اليّ وقال يا دعبل، إرث الحسين، فأنت ناصرنا ومادحنا ما دمت حياً. قال دعبل: فاستعبرت، وسالت دموعي وأنشأت:

أفاطم لو خلت الحسين مجدلاً وقد مات عطشانا بشط فرات

إذاً للطمت الخد فاطم عنده وأجريت دمع العين في الوجنات

وسيأتي في صفحات قادمة شبيه هذه الجلسة والاستقبال من الإمام الرضا (عليه السلام)، في رواية الريان بن شبيب. كما وفد عليه الشاعر المعروف إبراهيم بن العباس الصولي وأنشده قصيدة في رثاء الحسين (عليه السلام)مطلعها:

أزالت عزاء القلب بعد التجلد مصارع أبناء النبي محمد

فأعطاه عشرة آلاف درهم، فرق بعضها على أهله، وكان منها كفنه وجهازه. عن: الشيخ محمد السماوي: الطليعة من شعراء الشيعة ١/ ٧٩.

(٢) الصدوق: الأمالي ص ١٩٠، عن الإمام الرضا (عليه السلام) أنه قال: «إن المحرم شهر كان أهل الجاهلية يحرمون فيه القتال، فاستحلت فيه دماؤنا، وهتكت فيه حرمتنا، وسبي فيه ذرارينا ونساؤنا، وأضرمت النيران في مضاربنا، وانتهب ما فيها من ثقلنا، ولم ترع لرسول الله(صلى الله عليه وآله) حرمة في أمرنا. إن يوم الحسين أقرح جفوننا، وأسبل دموعنا، وأذل عزيزنا، بأرض كرب وبلاء، أورثتنا الكرب والبلاء، إلى يوم الانقضاء».

وينتشر، فلم يعد بعد هذا بحاجة ماسة إلى تدخل الأئمة (عليهم السلام)، ولذلك نجد انتشاره عند الناس.

وقد لا نجد الكثير من الإشارات في زمان الإمام الهادي (عليه السلام) عن الموضوع الذي نحن بصدده، ولعل ذلك أيضا راجع إلى موقف جعفر المتوكل العباسي الذي يصنف على أنه من النواصب، وأنه اشتهر بين باقي بني العباس بأنه هدم قبر الحسين (عليه السلام) أكثر من مرة، ومنع التوافد إليه والزيارة.

لكن ذلك لا يعني أن الظاهرة الاجتماعية تلك قد اختفت بل إنّ قصة الهدم للقبر وما سبقها دليل على توسع الأمر الحسيني، فإن بعض المصادر التاريخية تتحدث عن أن بعض جواريه كن في زيارة لقبر الإمام الحسين (عليه السلام) في شعبان، وافتقدهن فعرف أنهن ذهبن للزيارة.. وحيث أن مثله لا يحركه شيء كما يحركه نصفه الأسفل، وكله سُفْل، فكان أن عاقب أولئك ومنع الزيارة وأخيرا هدم القبر. نعم اختفت هذه المراسم الحسينية من الظاهر وتعمقت في الباطن، وصارت تُحيا بطريقة فيها من التقية والحكمة الشيء الكثير.

وسوف نجد شيئًا متميزًا في زمان الإمام الهادي والعسكري والمهدي (عليهم السلام)، وهو أن الزيارات الصادرة عنهم في ما يرتبط بالحسين (عليه السلام)، ستأخذ منحى توثيقيا وتحليليًّا، فستكون هناك زيارة تتكفل بذكر أسماء شهداء كربلاء[1] (عليهم السلام) وقبائلهم وبعض صفاتهم، وأسماء قتلتهم عليهم اللعنة، وربما طريقة القتل.

---

(١) تعرضنا لدراسة هذه الزيارة في كتابنا: أصفياء الله؛ أنصار الحسين، وأسماء القتلة في الكتاب الآخر: عصبة الإثم.

كما ستأخذ منحىً تحليليًّا في زيارة الناحية المقدسة،[١] التي بيّنت الظروف التي سبقت نهضة الإمام الحسين، والعوامل التي دفعته إلى ثورته، وبعض تفاصيل المعركة البطولية ضد الأمويين، ثم المصائب الواردة على النساء والسبايا.

٣/ التطور النوعي الذي حصل بعد زمان غيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه كان في تولي بعض شيعة أهل البيت أمور الحكم والسلطة في مناطق من العالم الإسلامي، فبينما كان المنبر والمأتم الحسيني وإحياء المناسبة في السابق يعيش في حالة مطاردة ومنع من السلطات، أصبح الآن لا يعيش هذا الهاجس، بل حدث له ما يشبه المظلة الحامية والواقية، ونحتمل أن هذا هو ما حدث بعد مجيء البويهيين وسيطرتهم على الحكم في بغداد. ونفس الأمر سيحصل مع تولي الفاطميين الحكم في مصر. «فأخذت على عاتقها نشر تراث أهل البيت من جهة وإحياء ذكرهم من جهة أخرى وكان في مقدمة ذلك إحياء ذكرى مقتل أبي عبد الله الحسين (عليه السلام)، وأهل بيته الأطهار وأنصاره الكرام بكربلاء، وكان من أبرز مصاديق ذلك إقامة المجالس والمواكب الحسينية التي كان للخطابة فيها الدور الرئيس، ويبدو أن مراسم المجلس الحسيني كان على الشكل التالي: كان قراء السيرة يقرأون سيرة الإمام المظلوم (عليه السلام) ويذكرون ما جرى عليه وعلى أهل بيته وأنصاره من المصائب يوم عاشوراء ثم يأتي المنشدون فيرثون نظمًا وذلك في محضر سلاطين آل بويه والفاطميين وآل حمدان سواء في أصفهان أو بغداد أو حلب أو القاهرة».[٢]

---

(١) للتعرف على ذلك يمكن مراجعة كتابنا المعنون بعنوان: زيارة الناحية المقدسة للإمام الحسين.

(٢) الكرباسي: معجم خطباء الحسين ١/ ٥٣.

إن كل خبر يذكر فيه إقامة المجالس والمأتم على الحسين (عليه السلام)، يفترض فيه وجود خطيب أو خطباء، يسرد الواقعة ويذكر المصيبة، ويعظ الناس بما يناسب المقام، ومن أولياته التفجع والتوجع لما حصل لآل رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم).

وقد نقل الشهرستاني في كتابه تاريخ النياحة، الكثير من الأخبار التاريخية عن مصادرها، والتي تفيد قيام شخصيات الحكم البويهي من حاكم ووزير وغيرهم في أمر إحياء العزاء! ومنه ما يشير إلى تفاعل شيعة أهل البيت في منطقة الكرخ مع ذكرى الإمام الحسين وخطيب منبره، قال: «وفي عاشوراء سنة ٤٢٣ هـ وعلى عهد جلال الدولة البويهي، اجتمع لفيف من شباب الشيعة الامامية من سكان الكرخ في مسجد براثا وارتقى الخطيب المنبر، وشرع في بيان النهضة الحسينية وأسباب قيام الامام (عليه السلام) ضد الظلم والبغي والاستبداد، ثم سرد فاجعة يوم عاشوراء سنة «٦١ هـ» وما جرى على الحسين الشهيد وآله وصحبه، من فتك وقتل وسبي، على يد جلاوزة بني أمية. مما أثار شعور المسلمين وألهب فيهم روح الحماس، وبعد نزول الخطيب من المنبر تكتل المجتمعون الذين جاشت عواطفهم في هذا اليوم الفجيع والتحقق بهم عدد كبير من سكان تلك النواحي وساروا نحو المشهد الكاظمي، لاطمين على صدورهم ورؤوسهم، باكين نائحين، ومرددين عبارات الحزن والأسى غير آبهين بأي شيء. ومهرولين تحت تأثير حماء الحزن والكآبة لفاجعة كربلاء من ذلك المسجد حتى انتهوا الى مشهد الامامين الكاظمين، وقد أقاموا فيه المناحة والنياحة طيلة ذلك اليوم، مما لم يسبق له مثيل حتى ذلك التاريخ».[1]

٤/ سنشهد بعض التراجع كلما قويت شوكة المخالفين لمذهب أهل

(١) الشهرستاني: تاريخ النّياحة ١/ ١٥٣.

البيت (عليهم السلام)، ومنهم السلاجقة الأتراك الذين أنهوا حكم البويهيين، وتسلطوا على بغداد (٤٤٧ هـ) وبدأ معهم عصر من التعصب المذهبي الشديد، والذي لم يقتصر في مضايقته على الشيعة فقط بل امتد ليشمل سائر المذاهب باستثناء الحنابلة.

وساعدهم في ذلك العباسيون قبل نهاية دولتهم، فكأنهم يجربون قوتهم في المنع عن السنة الحسنة التي وضعها البويهيون من العزاء على الإمام وذكر مصيبته، وهو الأمر الذي سمّاه بعض المتعصبين كابن كثير بالبدعة الشنعاء الصلعاء، [1] ولست أدري هل الشناعة هي في النياحة على سبط رسول الله والبكاء عليه أو في تحريض الغوغاء ليأتوا في الحديد والسلاح!! لقتال من يعزي على الإمام في يوم عاشوراء حتى يُسيلوا دماءهم! فإنا لله وإنا إليه راجعون.. كيف انقلبت المقاييس رأسًا على عقب!

وسيستمر الحال هكذا من سنة (٤٤٧ هـ) إلى سقوط بغداد سنة (٦٥٦ هـ).

وضمن هذه الفترة سيأتي المستعصم بالله العباسي (تولى الحكم ٦٤٠ إلى ٦٥٦ هـ حيث قتله هولاكو)، والذي بدلاً من أن يحافظ على النسيج الإسلامي المتحد، لكي يحفظ البلاد من غزو المغول فإذا به في أول سنة من حكمه يتقدم «إلى عبد الرحمن بن الجوزي المحتسب بمنع الناس

(١) ابن كثير الدمشقي؛ إسماعيل بن عمر: البداية والنهاية حوادث سنة ٤٢١ هـ ٦٤/١٣. «وفي هذه السنة: عملت الروافض بالكرخ بدعتهم الشنعاء [وحادثتهم الصلعاء] في يوم عاشوراء من تعليق المسوح، وتغليق الأسواق، والنواح والبكاء في الأزقة والأرجاء، فأقبل أهل السُنة إليهم في الحديد، فاقتتلوا قتالاً شديدًا، فقُتِلَ من الفريقين طوائف كثيرة، وجرت بينهم فتن كبيرة [وشرور مستطيرة].» أقول: نحن لا نعتقد أن أهل السنة قد جاؤوا بالسلاح وإنما بعض المتعصبين طائفيًّا والذين حركهم بعض السياسيين، كما يحدث نظيره حتى في زماننا هذا.

من قراءة المقتل في يوم عاشوراء والإنشاد به من سائر المحال بجانبي بغداد سوى مشهد موسى بن جعفر»[١]ثم أمر في سنوات تالية بمنع أهل الكوفة وغيرها من قراءة مقتل الإمام الحسين (عليه السلام)!.[٢]

وقد لا يكون هذا هو السبب في هزيمته أمام هولاكو الذي وصل إلى قصره، وأخذه كما تؤخذ الفرائس، إلا أنه يكشف عن مستوى اهتمامات الخليفة المستعصم وطموحاته في الوقت الذي كانت الأمة فيه يتهددها خطر المغول!

٥/ نفترض أنه بعد احتلال المغول لبغداد وسقوط البلاد الإسلامية في يد المغول، وما أعقب ذلك من تأخر في مختلف الجوانب، حصل تراجع في الجانب المنبري والخطابي والذي يتأثر بلا شك بالحالة العامة انتشارا وانحسارا، إلا أن سيطرة الصفويين بعد قرنين من الزمان على إيران بدءًا من سنة (٩٠٧ هـ) ثم العراق، أعطى دفعة مهمة لتقدم المنبر والشأن الحسيني، وذلك أن الصفويين مع انتمائهم الحديث إلى مذهب أهل البيت (عليهم السلام) كان لديهم حماس واندفاع قوي لنشره، وهو الامر الذي نلاحظه مع أكثر المتحولين إلى المذهب والمنتمين إليه بعدما كانوا في مذاهب أو أديان أخر. وكان يهمهم نشره في بلاد إيران التي يحكمونها وكل البلاد الأخر التي سيسيطرون عليها، خصوصا مع حاجة هذا البلد وتلك إلى ثقافة أهل البيت وعقائدهم وأحكامهم، وكان أفضل وأهم الوسائل هو المنبر الحسيني.

يضاف إلى ذلك أنه مع بدء المواجهة بين الصفويين في إيران

(١) الكرباسي: معجم خطباء المنبر الحسيني ١/ ٥٤ عن الحوادث الجامعة ١٨٣.
(٢) المصدر نفسه والصفحة.

والعثمانيين في تركيا، كانت كل حكومة تستدعي مخزونها للتعبئة الشعبية والعسكرية، ولم يجد الصفويون في هذا الجانب أفضل من المنبر الحسيني وقضية كربلاء وما فيها من مزيج البطولة والمأساة، سلاحًا وقوة. فزادوا من الاعتماد عليه وتشجيع المتخصصين فيه.

ويشير المحقق الكرباسي[١] إلى عامل ثالث في تسارع عقد المجالس الحسينية وانتشارها في تلك الفترة، وهو ما سماه بعامل رد الفعل حيث شعر عدد من الخطباء والكتاب بالنقص الذي ظهر، على أثر المرحلة السابقة (احتلال المغول وما تلاه مما ذكرناه) فعمد بعض الخطباء والمؤلفين إلى وضع مؤلفات لتلبية هذه الحاجة، فقام الشيخ الكاشفي (ت ٩١٠ هـ) بوضع كتابه روضة الشهداء باللغة الفارسية.[٢]وترجم للتركية والألبانية والأردوية. كما وضع فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥ هـ) كتابه ا لمنتخب .

٦/ يتحدث الباحثون في هذا الموضوع عن المرحلة الأخيرة التي تعد المرحلة الحديثة والتي يكون المنبر المعاصر امتدادًا لها، وتغير شكله تغيرًا واضحًا. فبينما كان الخطيب في السابق يقرأ من الكتب المذكورة وأشباهها، والقصائد مما هو مكتوب، ويعرج بعد ذلك على قسم الموعظة والتزهيد في الدنيا، وقد تعرض لتفصيل ملامح هذا النحو من الخطابة آية الله الشيخ محمد مهدي شمس الدين في كتابه المهم «ثورة الحسين في الوجدان الشعبي».[٣]

ويبرز اسم الشيخ كاظم سبتي (١٢٦٥ـ ١٣٤٢ هـ) على أنه رائد هذه

(١) المصدر نفسه ٦٠/١

(٢) ولهذا قد يقال للخطيب في إيران روضة خوان / نسبة إليها بمعنى قارئ الروضة.

(٣) شمس الدين؛ الشيخ محمد مهدي: ثورة الحسين في الوجدان الشعبي ٢٧٨ وما بعدها.

المرحلة واسمها الأكبر، والذي جعل منه كذلك أنه «مع وفرة معلوماته وغزارتها ودقتها وحسن إلقائه وخطابته أنه جاء بما لم يأت به الخطباء قبله، والذين كانت خطابتهم لا تتعدى واقعة كربلاء وأحداثها، حيث أخذ يطرح سيرة النبي الأعظم وسيرة أهل البيت بل ويحفظ خطب الإمام علي بن أبي طالب عن ظهر قلب.. كما أنه كان أول خطيب حسيني يستخدم أسلوب التخلص في خطابة المنبر الحسيني وهو من التطورات الفنية التي طرأت على المنبر الحسيني..»[١] ويذكر الشيخ الكرباسي اسم الشيخ أحمد الرمل (ت ١٣٧٩ هـ) على أنه من أعيان تلك المرحلة[٢] والأسلوب الجديد، في البحرين والخليج والأهواز.

كما عدد الشيخ فيصل الكاظمي، بعض أسماء من برز من هذا المنهج الجديد مع ترجمة جيدة فيما يتصل بالمنبر وقضاياه، فذكر السيد صالح الحلي (ت ١٣٥٩هـ)، والشيخ محمد علي اليعقوبي (ت ١٣٨٥ هـ) والشيخ أحمد الوائلي (ت ١٤٢٤ هـ) رحمهم الله جميعا.[٣]

واليوم قَلّ أن تجد خطيبًا إلا وهو يتابع خطوات هذا المنهج، ويسعى لأن يكون تلميذًا لهذه المدرسة أو مطورًا فيها.

---

(١) الكاظمي؛ د. فيصل: المنبر الحسيني؛ نشوؤه، حاضره، وآفاق المستقبل ١٩٣.

(٢) الكرباسي: معجم خطباء المنبر الحسيني ٦٤.

(٣) لا ينحصر الأمر في الأسماء المذكورة وإنما لعلها ذكرت لكونها الأكثر شهرة وتأثيرًا، وإلا فقد ذكر الشيخ الكرباسي نحو خمسة عشر اسمًا بالإضافة للمذكورين، ووعد بترجمتهم في مواضع أسمائهم. وذكر السيد داخل في مقدمة معجم الخطباء خمسة وستين اسمًا ممن سلكوا هذا المنهج، ما بين من توفاهم الله إليه، ومن لا يزالون على قيد الحياة، واعدا بترجمة الجميع في كتابه.

دور المنبر في المجتمع الشيعي

يشبه دور الخطيب في إرشاده وتعليمه وتوجيهه، دور الرسل -مع حفظ الفرق-.

فدور المرسلين كان يبدأ بأمر الله سبحانه لهم (قُلْ) و (بلّغْ) مختصرا ما الذي يمكن للرسول أن يصنعه بالنسبة للمجتمع الذي بعث إليه، ويبين الأنبياء (عليهم السلام) وظيفتهم كما في القرآن الكريم أنهم يدعون منطلقين من رؤية البصيرة التي هم عليها ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[1]. وفي آية أخرى أنه يبلغ وينصح من موقع العلم والمعرفة الإلهية ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾.[2])

وهم في ذلك لا يملكون طريقا لإجبار الخلق على الإيمان مع أن الإيمان في صالحهم وأن الجهد الذي يبذل هو من أجلهم، لكنهم لا يستطيعون شيئا، أكثر من الإقناع (بالحكمة والموعظة الحسنة) والخطاب العقلي مقرونا بشيء كثير من الشفقة والنصح والإخلاص ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾.[3]

(١) يوسف: ١٠٨.

(٢) الأعراف: ٦٢.

(٣) الأعراف: ٦٨.

ولأن الأمر كذلك فالتأثير ليس حتميًّا ولا شاملاً، فقد يكون وقد لا يكون، وحيث يكون قد يؤمن به البعض ويكفر به الكثير، وليس هذا بسبب تقاعس الرسل عن الدعوة فإنهم ﴿يُبَلِّغُونَ رِسَالاَتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلاَ يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ﴾، ولا هو في ضعف المفاهيم والتوجيهات التي يأتي بها الأنبياء ﴿وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾.[١] ولهذا فقد جاءت الآيات البينات تعزي المرسلين، وتواسيهم متوقعة عدم إيمان قسم من الناس برسالاتهم، وأنهم لو صنعوا ذلك فلا يضير الرسولَ توليهم وعنادُهم، وأن الأجيال الآتية هي التي ستؤمن بالرسالة ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾.[٢] وما ذلك إلا لأن مهمة الرسل هي مهمة البلاغ المبين والبلاغ بمثابة البذرة التي قد تجد أرضا صالحة فتنتج وقد تصادف السبخة أو الصفا فلا تزرع. وحينئذ ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾؟[٣]

وفي حدود هذا المقدار نعتقد أن المنبر الحسيني قد أدى دورًا طيبًا في المجتمع الشيعي منذ أن تبلور كوسيلة من الوسائل التبليغية، انحصر فيها التبليغ في بعض الفترات، وبعض الأماكن.

وذلك أن المجتمع الشيعي ظل لفترات طويلة في التاريخ، وفي أنحاء كثيرة من الأرض، محكومًا وربما ينظر إليه بنظرة عدائية من قبل الحكومات، فكان أن فقد وسائل التأثير والخطاب العام، مثلما كان في تلك الأزمنة، (كخطب المساجد والجمعة والأعياد، بل وحتى مثل حلقات

---

(١) الأحقاف: ٢٣.

(٢) هود: ٥٧.

(٣) النحل: ٣٥.

الـدروس الرئيسـة فـي المـدارس الدينية وغيرهـا)، وكانـت هذه المواقـع تبين وجهـات النظـر غيـر المتفقـة مـع منهـج أهـل البيـت (عليهم السلام) لـو لـم تكـن فـي أحيـان كثيـرة تهاجـم التشـيع والفكـر التابـع لأهـل البيت.

ووُجـد المنبـر الحسـيني ضمـن توجيـه أئمة أهـل البيـت (عليهم السلام) مصداقاً من مصاديـق إحيـاء أمرهـم، ونشـر أفكارهـم، وتبليـغ معارفهم ومحاسـن كلامهم لشـيعتهم ولغيرهـم، فـإن فـي تلـك المعـارف والثقافـة ما لـو اطلع عليـه عامة المسـلمين لآمنـوا بمنهج أهـل البيـت وطريقتهم[1].

نعم ربما يوجـه لبعض المنابر في الفترة الأخيرة ملاحظات:

١- الإغراق في الغيبي:

منها: إغراق البعض في الجوانب المرتبطة بما هو غير مشـهود.

بـل ربمـا تـم التطرف في ذلـك فأصبح مـن الأدلة علـى ما يـورده الخطيب مـن قضايـا ثقافيـة أو عقائدية، عـدد مـن المنامات التـي رآها العالـم الفلاني، والزاهـد الفلانـي. أو بعـض المكاشـفات العرفانية التي تحصـل للبعض!!

وهـذا يعتبـر في نظـر كثير مـن المحققيـن والمفكريـن، اتجاهًا غير سـليم. فـإن هنـاك فرقـا بيـن الإيمـان بالغيـب وهو جـزء أصيـل مـن عقيدتنـا الدينية، تحـدث عنـه القـرآن الكريـم، والأحاديـث الشـريفة، وبيـن الاسـتناد علـى المنامـات والـرؤى أو المكاشـفات فـي العقائـد، والأفـكار.

وجهة الإشكال في هذا التوجه:

---

(١) الصـدوق: عيـون أخبـار الرضـا (عليه السلام) ٢/٢٧٥: «فـإن النـاس لـو علمـوا محاسـن كلامنـا لاتبعونـا».

أ - إن المنام ليس بحجة شرعية في فروع المسائل فما ظنك في أصول العقائد؟ إن العلماء عندما يسمعون بفكرة أو برأي يرجعون إلى مستنده ودليله ويحققون ذلك الدليل ويناقشونه، ويتبينون مواضع الصواب والخلل فيه. أفترى هؤلاء يسلّمون لمنام رآه أحدهم ضمن تأييد فكرته؟

ب- أن بإمكان كل طرف من المتخالفين في الفكر أن يؤيد نظريته بمنام يراه، وليس كل من يدّعي المنام المؤيد لفكرته هو كاذب، بل ربما يكون صادقًا في ذلك.. وسرُّه أن الإنسان يتفاعل مع ما يعتقده من أفكار فيجيء منامه ورؤياه متوافقًا مع ذلك الاعتقاد. وربما دخلت المزايدات المذهبية ومحاولات تأييد الخط المذهبي على الخط فتجاوزت الحدود المعقولة، مثلما زعم بعضهم أن أحد أئمة المذاهب الأربعة كان يرى رسول الله في كل ليلة طوال العام!! ولما رأى جماعة مذهب آخر أن ذلك يمكن أن يكون دليلا على حقية مذهب الأولين أرادوا تأييد مذهبهم أيضاً بالرؤيا والمنام، فزعم بعض هؤلاء أن علماء مذهبهم[1] قد رأوا الله ذاته (سبحانه

(١) في كتاب (أضواء على الصحيحين) للشيخ محمد صادق النجمي، ص ١٤٦، نقل عن عدد من الكتب، ما قاله الحافظ ابن العربي المالكي (ت ٥٤٣ هـ) عند شرحه حديثاً وقد كان الأستاذ أبو إسحاق الأسفراييني شيخ العلماء والزهاد رأى الباري في المنام، فقال له: رب أسألك التوبة ثلاثين سنة أو أربعين سنة ولم تستجب لي بعد! فقال له: يا أبا إسحاق، إنك سألت في عظيم، إنما سألت حبنا. ونقل الشعراني وابن الجوزي والشبلنجي عن أحمد بن حنبل أنه قال: رأيت رب العزة في المنام فقلت: يا رب، ما أفضل ما يتقرب به المتقربون إليك؟ فقال: بكلامي يا أحمد، فقلت: بفهم أو بغير فهم؟ قال: بفهم وبغير فهم، وقال الآلوسي (١٢٧٠هـ) صاحب (تفسير روح المعاني) فأنا ولله تعالى الحمد قد رأيت ربي مناما ثلاث مرات، وكانت المرة الثالثة في السنة ١٢٤٦بعد الهجرة، رأيته جل شأنه وله من النور ماله، متوجها جهة المشرق فكلمني بكلمات أنسيتها حتى استيقظت!! وأما بعض أتباع المدرسة السلفية المعاصرون فقد قال أحدهم في تسجيل فيديو منشور له على الانترنت، إنه قد رأى الله (نعوذ بالله) عشرات المرات!

وتنزه!!) في المنام وحادثوه وشكوا إليه همومهم!! وأن بعضهم يرى في اللوح المحفوظ ما يستعصي عليه من المسائل!

ج- الإسلام هو دين اليقظة والدعوة إلى الحياة، أتراه يقيم أسس قواعده على المنامات، ويترك البراهين العقلية والأدلة النقلية لكي يعتمد على الرؤى؟ على أنك حين تخضع الكثير من هذه المنامات والرؤى ومضامينها للنقد والمناقشة تراها غير قائمة على أساس ركين.

بالطبع هذا لا يعني أننا ننكر أن بعض المنامات والرؤى الحاصلة فيها صادقة وقد تحدث القرآن الكريم في أكثر من موضع عنها كما في رؤيا نبي الله إبراهيم (عليه السلام) ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾.[1] وكذلك رؤيا نبي الله يوسف(عليه السلام) ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾.[2] ومثل ذلك ما أرى الله سبحانه وتعالى نبيه الأكرم محمدا(صلى الله عليه وآله وسلم) وأخبر عنه القرآن بقوله: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[3]. وفي قوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً﴾.[4]

بل حتى رؤى بعض العلماء والصالحين، فلا يمكن رد كل هذه القضايا

---

(١) الصافات: ١٠٢.

(٢) يوسف: ٤.

(٣) الأنفال: ٤٣.

(٤) الفتح: ٢٧.

وإلا كان أشبه بإنكار ما عليه الوجدان. ولكن الكلام في سعة هذه الدائرة حتى اختلط فيها الصحيح بالسقيم.

والكلام.. في أن تخرج هذه الرؤى من كونها في جانب وعظي أخلاقي قد لا نحتاج فيه إلى كثير من التحقيق والتدقيق لابتنائه على التسامح، إلى أن تصبح أدلة في أصول العقائد، وفي بيان المعارف الدينية.

إننا في نفس الوقت الذي نعتقد فيه بوجود هذا النوع من الرؤى الصادقة[1] إلا أننا نخالف أن تأخذ الأحلام كل هذا الدور فتصبح أصلا تؤسس عليه العقائد والثقافة والفكر، وتحتل هذه المساحة الكبيرة في التوجيه.

٢- التطرف في الطرح الطائفي:

ومنها: التوجه الحاد في الطرح (الطائفي) السلبي:

ولأن هذه القضية ذات أهمية خاصة فإن من المناسب أن نوضحها ضمن النقاط التالية:

١- لا يرتاب أحد في أن من أهم القضايا التي يعتمد عليها المنبر هو تشكيل وتقوية الولاء، والانتماء إلى منهج أهل البيت (عليهم السلام) فإن هذا من مقومات (إحياء الأمر)، وبدونه لا يكون للمنبر الحسيني خصوصية على غيره من المنابر الإعلامية الأخرى، بل يمكن القول: إنه بدونه يفقد رسالته الأساسية.

٢- إن طريقة تشكيل الولاء والانتماء لمنهج أهل البيت (عليهم السلام) لها من الأهمية ما للأصل، بحيث يبدو أحيانًا أنه مع استخدام أحدهم طريقة

(١) الكليني: الكافي ٨/ ٩٠: صحيحة سعد بن أبي خلف عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «الرؤيا على ثلاثة وجوه: بشارة من الله للمؤمن وتحذير من الشيطان وأضغاث أحلام».

غير مناسبة قد يكون من الأجدى تركه الدعوةَ والتبليغ بمنهجهم، كما يستفاد ذلك من بعض الروايات، فقد يكون إنسان بطريقته شَيْناً على أهل البيت ويؤدي عكس الغرض المطلوب. ويكون من المناسب حينئذ أن (يكف عن دعوة الناس لهذا الأمر).[١]

٣- إن الحكمة تقتضي أن يأخذ المتكلم بنظره ظروف الزمان والمكان الذي يعيش فيه والأشخاص الذين يستمعون إليه، أو يصل إليهم في العادة صوته، وهذا مما يستفاد من أوامر التقية التي هي (نصف الدين)[٢]، بل هي الدين[٣] -أي الطريقة والمنهاج-. ولذلك فإن ما يكون مناسبًا في مكان قد يكون ضارًّا في مكان آخر، وما يكون واجبًا مع قوم يكون حرامًا مع آخرين فـ «ما كل ما يُعلم يقال ولا كل ما يقال حان وقته ولا كل ما حان وقته حضر أهله»[٤].

ولذلك فإن الحديث العنيف الحاد ضد بعض طوائف المسلمين -بالرغم

---

(١) الكليني: الكافي ١/ ١٦٥. عن ثابت بن سعيد قال: قال أبو عبد الله(الصادق): «يا ثابت مالكم وللناس، كفوا عن الناس ولا تدعوا أحدًا إلى أمركم، فوالله لو أن أهل السماوات وأهل الأرضين اجتمعوا على أن يهدوا عبدًا يريد الله ضلالته ما استطاعوا على أن يهدوه، ولو أن أهل السماوات وأهل الأرضين اجتمعوا على أن يضلوا عبدًا يريد الله هدايته ما استطاعوا أن يضلوه، كفوا عن الناس ولا يقول أحدٌ: عمي وأخي وابن عمي وجاري، فإن الله إذا أراد بعبد خيرًا طيب روحه فلا يسمع معروفًا إلا عرفه..»

(٢) يمكن أن تكون هذه النسب بملاحظات مختلفة، فبالنظر إلى الجانب العملي والجانب العلمي، أو السلوكي والفكري، تكون التقية ومن معانيها (الحكمة في التعامل) نصف الدين، ولذا كان النبي(ﷺ) ﴿يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾.

(٣) يهرج بعضٌ على التشيع أنه كيف تكون التقية دينا؟ وينسى هؤلاء أو يجهلون أن هذا تعبير عن الاهتمام الزائد بالموضوع المذكور وأنه يعبر عن السنة والمنهج، مثل أن (النكاح سنتي).

(٤) النمازي، الشيخ علي، مستدرك سفينة البحار، ج٩ ص٦٣.

مـن أن بعـض أولئك يصنعونـه- ليس مما ينفع منهـج أهل البيت(عليهم السلام).

وليـس معنى ذلـك أن يُمدح الباطل، ويُمجد الخلل، وإنما يناقشـون مناقشـةً هادئـة هادفـة فـي الأفـكار وبيـان مـا فيها مـن نقـاط الالتقـاء والافتـراق، وبيان الخلـل والخطـأ الموجـود فيهـا. ويسـتفاد هـذا مـن كلام أميـر المؤمنيـن(عليه السلام) القائـل لأصحابـه: «إنـي أكـره لكـم أن تكونـوا سـبَّابين، ولكـن لـو وصفتـم أعمالهـم وذكرتـم حالهـم كان أصـوب في القول وأبلـغ في العـذر، وقلتم مكان سـبِّكم إياهـم: اللهم احقـن دماءنا ودماءهم وأصلـح ذات بيننـا وبينهم واهدهم مـن ضلالتهـم حتـى يعـرف الحق مـن جهلـه ويرعوي عـن الغي والعـدوان من لهـج بـه»[1]. فإنـه (عليه السلام) مـع كونـه مـع أهل الشـام في حالـة حرب، وهي أشـد الحـالات عنفًـا بيـن فريقين، وما دونها من السـب أو الشـتم يعتبر هيّنًـا بالقياس إليهـا، ولكـن الإمام في ذلـك الوضع يحرص علـى الجانـب الأخلاقي ويجنب أصحابـه الآثار السـيئة للشـتم والسـب. فإن ذكر الصفـات غير الحسـنة كانعدام الوعـي والطاعـة فـي الباطـل، وغيرهـا ممـا كان موجودا فـي أهل الشـام يصنع حصانـة عنـد الطـرف الناقـد مـن الوقوع فيـه عـادة. وفي نفـس الوقـت الدعوة إلـى أن تحقـن دمـاء الفريقيـن، وسـؤال اللـه لهـم الهدايـة مـن الضـلال يرفـع الإنسـان الداعـي إلى قيـم مناقبيـة عالية.

٤- إن مـن السـهل علـى المتكلـم أن يفـرغ مخزونه النفسـي ضد هـذه الجهة أو تلـك، جماعـة كانـت أو طائفة أو مذهبـا، ولكن السـؤال: هو عن حجم الآثـار الاجتماعيـة التـي يخلقهـا مثـل ذلـك السـلوك. وفـي المجتمعات الخليطـة ذات المذاهـب المتعـددة، والطوائـف المختلفـة يبـدو أن مثـل هـذا الأمـر ينذر بحـدوث الكـوارث الداخلية، فـإن (الحرب أولهـا الكلام) والتعبئـة التـي تقابلهـا تعبئـة مضـادة إلـى أن تنتهـي إلـى الاصطـدام.

(١) نهج البلاغة رقم ٢٠٦.

والحقيقة أن هناك خيطاً رفيعاً يفصل بين الحالة المبدئية ولزوم التمسك بالمعتقدات، وبين الحالة النفسية التي تفيض بمخزونها، وتصطنع الحرب. فلا أحد يدعو -ولو دعا لا يستجاب له- إلى أن تُترك المعتقدات، أو يُتَخلى عنها، ولكن أن يفصل بين المسألة المبدئية، والشخصية، وأن تلاحظ الدعوة إلى الحق بمقدار ما تلاحظ طريقة ذلك، وأن يؤخذ بعين النظر الوضع الاجتماعي زمانًا ومكانًا وأشخاصًا.

ونعود ونكرر لا يعني ذلك التخلي عن المسلمات الاعتقادية، ولا يعني أيضاً تمييع الفواصل الحقيقية، لأجل ملاحظات اجتماعية وإنما يعني أن يلتزم المتكلم الحكمة في تبيين الأمور العقدية، فيناقش بهدوء، ويرد بحكمة، ويوجه بتعقل. ولعلنا نتبيّن مثل هذا أيام الإمام الصادق (عليه السلام) حيث نهى البعض من أصحابه[1] عن الكلام والخوض في المناظرات العقائدية لأنهم لا يحسنون ذلك، ولا يستطيعون «أن يطيروا لو قصوهم» مع أنهم كانوا أكثر حماساً من غيرهم في هذا الأمر. بينما يأمر آخرين كـ(أبان بن تغلب) أن «جالس أهل المدينة فإني أحب أن يُرى في شيعتي مثلك».

٣ - طغيان الجانب السياسي:

ومنها: طغيان الجانب السياسي في بعض المنابر:

لا شك أن المنابر الحسينية قد قامت بدور كبير في حياة الناس عندما اقتربت من مشاكلهم وقضاياهم، بعدما كانت محصورة في فترة من الفترات في إطار الرثاء والتعزية أو السيرة، لكن لما بدأ الخطباء يعالجون القضايا الاجتماعية، ويتطرقون إلى الهموم العامة، موجهين إلى ما

(١) يراجع كتاب: بناء القادة في منهج أهل البيت (عليهم السلام)، للمؤلف.

يفهمونه من رؤية الإسلام فيها، فقد اكتسب المنبر الحسيني قوة إضافية، وارتبطت جموع كثيرة به لكونه يعبر عن مشاكلها ويعينهم على تكوين نظرة سليمة لحلها.

لكن يُلحظ في بعض المناطق من عالمنا الشيعي أن هناك تسييساً كبيراً للمنبر، بحيث يبدو الخطاب فيه وكأنه لا يختلف كثيرا عما يسمع في الفضائيات، أو يقرأ في الجرائد والمجلات.

وأحسب - والله العالم- أن تطور الأوضاع السياسية في العالم الإسلامي من ثورات وحركات تحرر وأعمال مقاومة وغيرها لمّا أثر على مجمل الحياة الإسلامية فقد أثر أيضاً على المنبر ونوعية الخطاب فيه، وفي بعض الحالات تجاوز التأثير الحدود المناسبة إلى ما هو أكثر.

كما أن كون بعض المتصدّين للمنبر الحسيني جزءاً من ذلك الحراك السياسي العام جعل من الطبيعي أن ينعكس وضعهم السياسي على خطابهم المنبري.

هذا إضافة إلى بعض عناصر الجذب والإثارة التي تترافق عادة مع (المنبر السياسي لو صح تسميته) والتي تستقطب شرائح من المجتمع، وتجعل الخطاب مع وجودها، شيّقاً ومثيراً ومعاصراً.

ونحن وإن كنا نخالف حذف الجانب المعاصر من المشاكل بالكامل، بحيث يغدو المتكلم وكأنه لا يعيش في هذا العالم فإننا في نفس الوقت لا نتفق مع «تغوّل» المنبر السياسي، بحيث أصبح الأمر في بعض المناطق بمثابة «نكتة» تقول إن الخطيب عندما لا يكون قد أعد موضوعًا جيدًا للمنبر، من أخلاق أو تاريخ أو عقائد أو غير ذلك، فلن يتعطل وما عليه إلا أن يعطف الكلام ـ بمناسبةٍ أو غير مناسبةٍ ـ على الموضوع السياسي

فينتقد الحكومة إن استطاع، أو الاستعمار إن تمكن، أو هذا الحزب أو ذاك إن تيسرت له الظروف وسيمضي الوقت لأن هذه السوالف لا تنتهي، وينتهي المجلس.

ونعتقد أن هذا الأمر بالإضافة إلى أنه خلاف محددات الخطابة التي ذكرها الإمام السجاد (عليه السلام)، يوجد فيه مشكلة أخرى وهي أن الأمور السياسية في الغالب ليست ثابتة ولا مستمرة، فما يكون اليوم مطلوبا في الموضوع السياسي قد لا يكون حسنًا في يوم غد. وما يكون مدعومًا الآن لا يكون غدًا كذلك.

إن التركيز على المبادئ العامة، لو أريد الدخول في الموضوع السياسي، هو الأفضل والأسلم، فليتحدث ولكن ضمن المبادى العامة في السياسة الدينية.

على أن الحديث في هذا ليس مناسبًا لكل خطيب ولا كل منبر.

٤- غير المألوف في العقائد:

ومنها: النزوع إلى ذكر غير المألوف لا سيما في الأمور العقائدية:

يتعمد بعض الخطباء في منابرهم الحديث عن بعض القضايا غير المألوفة في المسألة العقائدية، فتراهم أولا: يوردون ما هو غير مشهور بين الطائفة من الآراء والمفاهيم، مستفيدين من كونها لم تسمع قبلئذٍ إلا نادرا. وأن مواضيعهم غير مكررة ولا مسموعة.

وأحيانًا يجر الأمر إلى ذكر بعض الآراء النادرة، التي يصعب تحملها على أكثر المستمعين بل ربما كانت بالنسبة لهم عامل فتنة، وخبطًا

فكريًّا. ولا سيما عندما يكون الحديث عن مقامات أهل البيت (عليهم السلام) العالية، ومنازلهم السامية فإن بعضها (أو الكثير منها) يرتفع عن مستوى الكثير من المستمعين. وهذه الأفكار بحلقات الدروس الخاصة لمجاميع ذوي مستويات عالية متقاربة أنسب منها بالمجالس والمنابر الحسينية العامة التي يحضرها ذوو مستويات مختلفة ارتفاعًا وهبوطًا وهذا التوجه قد يكون ناتجاً عن عدم التقدير، وفقدان الحكمة في مخاطبة الجمهور بالنحو الذي يستوعبه، وبالمقدار الذي ينفعه.

لقد وجّه رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وأئمة الهدى (عليهم السلام) إلى أن يتكلم المتكلم بمقدار ما يكون قابلاً للمعرفة والتعقل، من قِبَلِ المستمعين وإلا كان لهم فتنة وأذى، ففي الحديث عن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) [1]: «لا تحدّثوا أمتي من أحاديثي إلاّ بما تحمله عقولهم».

وعنه(صلى الله عليه وآله وسلم): «أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم»[2]. ويُبيّن الأثر السلبي الناتج عن الحديث بما هو (مستصعب الفهم) فيقول: «ما أنت محدّثٌ حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان على بعضهم فتنة»[3].

وفي الحديث عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام): «أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟! حدثوا الناس بما يعرفون، وأمسكوا عما ينكرون»[4].

ومع أن الحديث في التوحيد مهم باعتبار أنه قاعدة الإيمان الأساسية إلا أن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ينهى عن الحديث في هذا الجانب بما يشق على الناس

(١) الري شهري؛ محمد: ميزان الحكمة، ج١.

(٢) الكليني: الكافي، ج١، ص٢٣.

(٣) الأشتري، ورّام بن أبي فراس: تنبيه الخواطر ونزهة النواظر المعروف بـ(مجموعة ورّام)، ج٢، ص٢٢٧.

(٤) النوري، الميرزا حسين: مستدرك الوسائل، ج١٢، ص٣٠٢.

فهمه: «إذا حدثتم الناس عن ربّهم فلا تحدثوهم بما يفزعهم ويشق عليهم».

ويرى الإمام الصادق (عليه السلام) - وهو الذي أظهر علوم آل البيت (عليهم السلام) ونشرها بين الناس- أن مذيع الحديث عند من لا يحتمله ولا يتعقله يساوي الشاتم أعراضهم والمحارب لهم؛ فقد قال أبو عبد الله (عليه السلام): «أقرئ موالينا السلام، وأعلمهم أن يجعلوا حديثنا في حصون حصينة، وصدور فقيهة، وأحلام رزينة، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ما الشاتم لنا عرضًا والناصب لنا حربًا، بأشد مؤنة من المذيع علينا حديثنا عند من لا يحتمله»[1].

وهذا الكلام المتقدّم ليس دعوة للتسطيح، وتحويل المنبر إلى (سوالف) وقوالب مكررة ومعادة. وإنما - كما ذكر الإمام (عليه السلام) - أن يجعل الحديث في حصون حصينة، وصدور فقيهة وأحلام رزينة.. وفي ذلك توجيه مهم مؤداه أن يُجعل الحديث المناسب في موضعه.

وإن من المطلوب تعميق الخطاب المنبري وتطويره موضوعاً، وقد سبق الحديث عن هذا الجانب في القسم الثاني من هذا الكتاب، خصوصاً مع ارتقاء مستوى المستمعين، واعتماد الكثير منهم على المنبر بوصفه قناة أساسية يتلقون منها ثقافتهم الدينية في مختلف مجالاتها.. هذا شيء، وأن ينزع الإنسان إلى الغرائب من الملاحظات والشواذ من الأفكار، والغامض من الآراء.. شيءٌ آخر.

ونحن نحمد الله أنّ ما سبق لا يشكل سوى حالات قليلة، لا يقاس عليها، ولم يتحول إلى ظاهرة.

---

(١) المصدر السابق، ص٣٠٣.

المنبر الحسيني مساحة الدور والإمكانات

تتناول هذه الصفحات مساحة الدور والوظيفة في المنبر الحسيني وكذلك مساحة الإمكانات ومقدار ما يتوقع منه ومن فرسانه.

ولنبدأ أول الأمر في تعريفه، مع أنه معروف كمصداق، لكن من أجل زيادة المعرفة باشتقاقه اللغوي، كما سنقدم بمقدمة عن منبر رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم). أما المعنى اللغوي، فاشتقاق كلمة المنبر جاء من الفعل: نبر، وقد قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة «(نَبَرَ) النُّونُ وَالْبَاءُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى رَفْعٍ وَعُلُوٍّ. وَنَبَرَ الْغُلَامُ: صَاحَ أَوَّلَ مَا يَتَرَعْرَعُ. وَرَجُلٌ نَبَّارٌ: فَصِيحٌ جَهِيرٌ. وَسُمِّيَ الْمِنْبَرُ لِأَنَّهُ مُرْتَفِعٌ وَيُرْفَعُ الصَّوْتُ عَلَيْهِ.»[1] فكأنه اسم آلة لما ارتفع وارتفع منه الصوت، أو اسم مكان.

وقد ورد عنوان المنبر في سيرة رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)،[2] حيث أن النبي قد اتُّخِذ له منبر بعدما كان يخطب في الناس متكئًا على جذع نخلة، فقد نقل الشافعي في كتابه الأم عن جابر بن عبد الله قوله «كان النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) إذا خطب استند إلى جذع نخلة من سواري المسجد فلما صنع له

(١) ابن فارس: مقاييس اللغة ٥/ ٣٨٠ ومثله ذكر في لسان العرب.

(٢) نلتزم قدر ما وسعنا الأمر أن نذكر الصلاة كاملة دون البتراء، حتى وإن كانت في المصدر مبتورة!

المنبر فاستوى عليه اضطربت تلك السارية كحنين الناقة حتى سمعها أهل المسجد حتى نزل رسول الله(ﷺ) فاعتنقها فسكنت»[١]وفي نفس الكتاب في خبر آخر أكثر تفصيلاً، قال: ´كان رسول الله(ﷺ) يصلي إلى جذع إذ كان المسجد عريشًا وكان يخطب إلى ذلك الجذع فقال رجل من أصحابه: يا رسول الله هل لك أن نجعل لك منبرًا تقوم عليه يوم الجمعة فتسمع الناس خطبتك؟ قال: نعم: فصنع له ثلاث درجات فهي للآتي أعلى المنبر فلما صنع المنبر ووضع موضعه الذي وضعه فيه رسول الله(ﷺ) بدا للنبي(ﷺ) أن يقوم على المنبر فيخطب عليه فمر إليه، فلما جاوز ذلك الجذع الذي كان يخطب إليه خار حتى انصدع وانشق فنزل النبي(ﷺ) لما سمع صوت الجذع فمسحه بيده، ثم رجع إلى المنبر»،[٢]وعن موضعه هذا اشتهر عن النبي(ﷺ)، قوله: «ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة».[٣] ».[٤]

وإذا اقتصر البعض على المعنى الظاهري من أن هذه البقعة فيها

---

(١) الشافعي؛ محمد بن ادريس: كتاب الأم ١/ ٢٢٨.

(٢) المصدر نفسه / ٢٢٩.

(٣) العبسي: عبد الله بن محمد بن أبي شيبة: مصنف ابن بي شيبة ١٧/ ٤١٥. ومسند أحمد ١٨/ ١٥٤. أقول: كأن البعض قد استكثر على «قبر» المصطفى أن يكون حدًّا فأثبت الحديث بعنوان «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة»! وهو يذكرنا ببعض المتأخرين الذين يأبون أن يقولوا زيارة قبر رسول الله، فيقولون زيارة مسجد الرسول!! ونقل في كتب الإمامية بنفس النص الموجود في المتن في معاني الأخبار للشيخ الصدوق.

(٤) الحاكم النيشابوري؛ أبو عبد الله محمد بن عبد الله: المستدرك على الصحيحين ٤/ ٥٢٧: وقال الحاكم «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ.. وكذلك في مسند أبي يعلى ١١/ ٣٤٨ أحمد بن علي بن المُثنى التميمي، ودلائل النبوة لأحمد بن الحسين البيهقي ٦/ ٥١١ وغيرها من المصادر.

خصوصية لكن غير معروفة السبب، فإن روايات المعصومين (عليهم السلام) قد ذكرت ما يمكن أن يكون سببًا في ذلك، ففي الرواية المعتبرة[١] على المشهور عن الصادق (عليه السلام): قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على ترعة[٢] من تُرع الجنة لأن قبر فاطمة صلوات الله عليها بين قبره ومنبره وقبرها روضة من رياض الجنة وإليه ترعة من ترع الجنة.[٣]

وهذا المنبر مما يتبرك عند الإمامية، في حالة وجوده شخصًا، وبرجاء البركة فيما هو موجود فعلاً، فقد جاء في كلمات الشيخ الطوسي رحمه الله «فإذا فرغت من الدعاء عند القبر فائت المنبر فامسحه بيدك وخذ برمانتيه وهما السفلاوان وامسح وجهك وعينيك به فإن فيه شفاء للعين وقم عنده، واحمد الله تعالى وأثن عليه وسل حاجتك فإن رسول الله(صلى الله عليه وآله) قال: ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على ترعة من ترع الجنة».[٤]

---

(١) الشيخ الصدوق: معاني الأخبار ص ٣٦١: حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل - رضي الله عنه - قال: حدثنا علي بن الحسين السعد آبادي، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابنا عن أبي عبد الله الصادق..

(٢) ابن فارس: مقاييس اللغة ٣٤٤/١: «(تَرَعَ) التَّاءُ وَالرَّاءُ وَالْعَيْنُ أَصْلٌ مُطَّرِدٌ قِيَاسُهُ، وَهُوَ تَفَتُّحُ الشَّيْءِ. فَالتُّرْعَةُ الْبَابُ، وَالتَّرَّاعُ الْبَوَّابُ» وفي لسان العرب ٣٣/٨ لابن منظور: التُّرْعةُ: البابُ. وَحَدِيثُ سَيِّدنَا رسول الله،(صلى الله عليه وآله): إِنَّ مِنْبري هَذَا عَلَى تُرْعة مِنْ تُرَعِ الْجَنَّة، قِيلَ فِيهِ: التُّرْعة البابُ، كأَنه قَالَ مِنبري عَلَى بَابٍ مِنْ أَبواب الْجَنَّة.

(٣) وهذا المعنى ذكره الصدوق في من لا يحضره الفقيه ٢/ ٥٧٢ على أنه أحد الأقوال التي رويت فقال: اختلفت الروايات في موضع قبر فاطمة سيدة نساء العالمين (عليها السلام)، فمنهم من روى أنها دفنت في البقيع، ومنهم من روى أنها دفنت بين القبر والمنبر وأن النبي(صلى الله عليه وآله) إنما قال: ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة لان قبرها بين القبر والمنبر..» إلى آخر كلامه.

(٤) الشيخ الطوسي: مصباح المتهجد ص ٧١٠.

ومن أشهر الأحاديث التي ورد فيها ذكر منبر النبي(ﷺ)، هو ما توقعه وأخبر عنه النبي من رؤياه الصادقة التي لا تتخلف ولا تخطىء، فذكر هذه الرؤيا وبلغ المسلمين إياها، وللأسف فإن الأصحاب ومن بعدهم أبناءهم لم يصنعوا شيئًا، وذلك «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ(ﷺ)، قَالَ: «إِنِّي أُرِيتُ فِي مَنَامِي كَأَنَّ بَنِي الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ يَنْزُونَ عَلَى مِنْبَرِي كَمَا تَنْزُو الْقِرَدَةُ» قَالَ: فَمَا رُئِيَ النَّبِيُّ(ﷺ) مُسْتَجْمِعًا ضَاحِكًا حَتَّى تُوُفِّيَ».[1]

ومن هذا وذاك يعلم أنه ليست قيمة المنبر الأساسية في كونه من خشب أو جذوع، وإنما باعتبار قيمته المعنوية بما يمثل من مركز للسلطة الزمنية من جهة، والتوجيه الديني من جهة أخرى. وإلا فما يضر النبي(ﷺ) لو كان الأمر لا يحمل أيًّا من الأمرين، سوى قلة الاحترام وهذا لا يجعل النبي حزينًا متألمًا إلى آخر عمره الشريف؟ إنما يتألم عندما يكون هذا المنبر بما يمثل من سلطة زمنية وتوجيه روحي وديني، قد ارتقاه غير أهله، بعدما نُحي عنه أهله وأربابه! وهو المعنى الذي يتبادر إلى الذهن من كلام الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) مع أنه كان حينها صغير السن (في حساب السنين وعند الناس) فإنه جاء إلى الخليفة وهو فوق منبر رسول الله(ﷺ)، وقد رووها كذلك عن الإمام الحسين فقال له: «انزلْ عن منبر أبي واصعد منبر أبيك، قال فقال لي: إن أبي لم يكن له منبر».[2]

---

(١) الحاكم النيشابوري؛ أبو عبد الله محمد بن عبد الله: المستدرك على الصحيحين ٤/ ٥٢٧: وقال الحاكم «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ.. وكذلك في مسند أبي يعلى ١١/ ٣٤٨ أحمد بن علي بن المُثنى التميمي، ودلائل النبوة لأحمد بن الحسين البيهقي ٦/ ٥١١ وغيرها من المصادر.

(٢) ابن سعد البغدادي؛ محمد بن منيع: الطبقات الكبير٦/ ٤٠٨، وفيه إن الخطيب كان عمر بن الخطاب، بينما في الطبقات الكبرى - متمم الصحابة - الطبقة الخامسة ١/ ٣٠٠ أن الخطيب كان أبا بكر. وفي بعض المصادر تفصيل الخبر وفي بعضها الآخر مختصرا.

وسينتهي الأمر إلى ما قاله رسول الله(ﷺ)، ويتحقق ما جعله يحزن على مصير أمته، عندما أصبح هذا المنبر بل الدين الذي شاده رسول الله بهدايته، وعلي أمير المؤمنين بسيفه وشجاعته، فإذا به يصبح موضعًا للعن وصي الرسول وزوج البتول، وحتى قال سيد محمد بن عقيل العلوي في النصائح الكافية، ذاكرًا بني أمية أنهم «أعلنوا سب علي (عليه السلام) ولعنه نحوًا من ستين سنة (ذكر) الحافظ السيوطي رحمه الله إنه كان في أيام بني أمية أكثر من سبعين ألف منبر يُلعن عليها عليٌّ بن أبي طالب (عليه السلام) بما سنّه لهم معاوية من ذلك وفي ذلك يقول العلامة أحمد الحفظي الشافعي في أرجوزته.

وقد حكى الشيخ السيوطي إنّهْ ... قد كان فيما جعلوه سُنّهْ
سبعون ألف منبر وعشره ... من فوقهن يلعنون حيدره
وهذه في جنبها العظائم ... تصغر بل توجه اللوائم[1]

إن تعبير الحديث السابق بأن بني أمية وبني العاص «ينزون» على منبره، كما تنزو القردة لهو تعبير دقيق، وفيه معانٍ وصورٌ كثيرة تستحق التأمل، ولكن حيث أن حديثنا هو على سبيل المقدمة للمنبر الحسيني نترك التأمل في معاني هذا الحديث إلى وقت آخر.

(١) العلوي؛ سيد محمد بن عقيل: النصائح الكافية ص ١٠٥، وكذلك فلك النجاة في الإمامة والصلاة، علي محمد فتح الدين الحنفي، ص ٤٦.

المنبر الحسيني؛ ميزاته ونقاط قوته

مع أننا أشرنا في ما سبق إلى بعض ما يرتبط بهذا الأمر إلا أننا نستجمعها هنا في النقاط التالية:

١/ عمل عبادي قربي: يتعامل المؤمنون من شيعة أهل البيت (عليهم السلام) مع إقامة المنبر الحسيني ومجالس الحسين على أن ذلك عمل عبادي يتقربون به إلى الله سبحانه من خلال مودة الرسول وأهل قرابته وأخصهم به سبطه وابن بنته فاطمة. فهم يعتقدون أنهم وإن لم يدركوا زمان الحسين (عليه السلام)، حتى ينصروه بلسانهم وسنانهم، فإن بإمكانهم أن ينصروا منهجه ويحيوا ذكره، وينشروا أهدافه. ويتفجعون لما حل عليه وعلى أصحابه وأهله.

ويستجيبون لما أوصى به أئمة أهل البيت (عليهم السلام) من لزوم إحياء ذكره، وإقامة مآتمه، ويقصدون في ذلك ما يترتب عليه من الثواب العظيم المذكور في الروايات، والذي أشرنا إلى بعضه فيما سبق، سواء كان الشخص مقيم المأتم، أو الخطيب فيه، أو المستمع الباكي، أو المتباكي.

ولأن الأمر هكذا فلا يوجد فيه احتمال للخسارة؛ ذلك أن من يفتح متجرا مثلا، يفكر في مقدار ما أنفق فيه وعليه ويحسب بعد ذلك ما ربح فيه، فإن لم يربح ربما فكر في إغلاقه، وإن خسر فلا ريب أنه مع

استمرار تلك الخسارة يفكر في إغلاقه. ولكن المؤمنين هنا لا يوجد في قاموسهم كلمة الخسارة، فهو رابح على كل حال؛ إن حضر المجلس مائة فهو رابح وإن حضر خمسة فهو رابح! وإن كان الخطيب متميزًا فهو رابح أو كان الخطيب ذاكرًا عاديًّا فكذلك!

ولأجل هذا تجد كل مؤمن لديه الهمّة في إقامة هذا العزاء، وإعلاء هذا الشعار، وإعمار المنبر بما يناسب من الذكْر.

ويتوارث المؤمنون هذا الأمر خلفًا عن سلَف، وولدًا عن والد، بحيث ترى بعض المنابر والمآتم تمتد إلى مئات السنين السابقة، وعلى مدى أجيال، وربما يكون في نفس البيت أو المكان الذي أقيم فيه أولاً.

وهذا أحد أسباب بقاء هذه المنابر، فإن بعض الأمور الدنيوية إذا اعترضتها صعوبات أو أصبحت غير مجدية من حيث النفقات والعوائد، لا يلبث الأبناء أن يتركوها فتنتهي مع الزمان، إلا أن الأمور الأخروية والعبادية التي يرجو أصحابها الرضا الإلهي، ليست محكومة بهذه المعادلة.

٢/ مجالس المنبر الحسيني عمل شعبي وفردي: بالإضافة إلى ما سبق فإن المنبر الحسيني وإقامة مأتم الإمام (عليه السلام)، ليس مرتبطًا بهيئات حكومية أو حتى اجتماعية حتى يتأثر بها نهوضًا وسقوطًا.

فإن شعور المؤمن الموالي لأهل البيت (عليهم السلام) أنه يقوم بعمل محبوب لأئمته يدفعه باستمرار للاستمرار فيه، ولا ينتظر غيره، فهو لا ينتظر دعم حكومة أو تمويل دولة أو تخطيط هيئة ليقوم بذلك العمل.

لقد شهدنا أن بعض الأعمال والخدمات التي قامت على أساس دعم الدول والحكومات، لم تلبث أن سقطت أو انتهت بنهاية تلك الدول، إلا

أن مثل هذا المشروع «المنبر الحسيني» لا يعتمد على الدول وميزانياتها، ولا دعم المؤسسات وتخطيطها، ولذلك فهو مستمر مادام يوجد مؤمنون موالون للإمام الحسين (عليه السلام).

نعم ربما ساهم وجود بعض الحكومات والسلطات في حماية المنبر الحسيني كما ذكرنا في أيام البويهيين والفاطميين ثم الصفويين، وهذا أمر طبيعيٌّ. لكن عدم وجود تلك الحكومات لم يكن لينهي وجود المنبر بدليل أنه كان قبلها، وبقي واستمر بعدما زالت.

٣/ أنه يتناسب مع كل المستويات: في إنشائه وإقامته وفي إمكانية الاستفادة منه، فالفقير يستطيع أن يقيم مأتمًا ومنبرًا، ومتوسط الدخل كذلك، والثري. وقد يكون المنبر أحد الكراسي الموجودة في البيت أو حتى دكة أو طاولة! مثلما يمكن أن يكون في حسينية عظيمة البنيان وفخمة العمران.

لقد وجدنا في كثير من الحالات أن أطفالا يقلدون آباءهم ويقيمون مأتمًا ويضعون بعض أشرطة التسجيل التي تقوم مقام الخطيب.[1]

كما أنه يمكن مخاطبة جميع الحاضرين فيه، فليس مخصصًا لفئة دون أخرى.

هذه المواصفات ونقاط القوة في المنبر الحسيني جعلته مصداقًا لإحياء أمر أهل البيت، فهو موجود في كل القرى والبلدات، ومقدور عليه من كل الطبقات والفئات.

---

(١) نقل عن الخطيب الحسيني المرحوم السيد الطويرجاوي، أنه بعدما انتهى من أحد مجالسه في أحد البيوت الكبيرة في بغداد، مر في طريقه على «تكية» لأطفال فدعوه للقراءة فاستجاب لهم وقرأ لهم مجلسا بما يناسبهم.

ولهذه الجهة فقد انتشر انتشارًا عظيما في المجتمع الشيعي في كل بقاع الأرض التي يتواجد فيها أتباع أهل البيت (عليهم السلام).

ولهذا فبالرغم من أن شيعة أهل البيت منذ أيام الأمويين وإلى أيامنا هذه، كانوا تحت دعاية الطرف المخالف لأهل البيت، والناشر لثقافةٍ وعقائدَ لا تتوافق مع منهاجهم، في كل وسائل التوجيه المتاحة من خطب الجمعة والجماعات والأعياد، ومن المدارس الدينية والرسمية، ومن البث الإعلامي المتنوع (كالراديو والتلفزيون والجرائد والمجلات في الأزمنة المتأخرة) وكذلك الكتب المتنوعة وغير ذلك.. في الوقت الذي كان الشيعة في الغالب محرومين من كل ذلك، لم تتأثر الأجيال الشيعية المختلفة من رجال ونساء بالثقافة والعقائد المخالفة والمفاهيم غير المتفقة مع منهاج أهل البيت.

وكان ذلك بسبب أمور؛ أهمها كان المنبر الذي تشرف باسم الحسين (عليه السلام). فإذا سمع الشيعي الموالي لأهل البيت كلامًا خاطئًا في التاريخ كان في المنبر شفاؤه وتصحيحه. وهكذا الحال في العقائد، والأحكام الشرعية والمبادئ الأخلاقية. فكان المنبر الحسيني، كتابًا وإذاعة وحلقة توجيه، وهكذا. ولا سيما تلك المنابر التي كانت تنبعث من الحوزات العلمية، حيث تحتوي على المعارف الحقة إضافة إلى رثاء الحسين (عليه السلام) وإحياء ذكراه.

ولو أردنا بحساب سريع حيث لا يمكن الإحصاء الدقيق، فإننا نعيد إلى الذاكرة ما سبق أن قلناه في أول هذا الكتاب من أنه في كل موسم حسيني يحتمل «أن يكون هناك مليار وخمسمائة مليون ساعة من المعارف والتوجيهات والارشادات» وهذا في أقل التقادير كما سبق وأن بيّنّاه في ما سبق.

وأما عندما يراد تقريب الأمر بالنسبة إلى كل شخص، ونحن نحسب على ما هو المتعارف الموجود في مجتمعنا الخليجي والقريب منه (كالعراق وإيران..) فإن العادة هنا أن يحضر أكثر الناس مناسبات المعصومين وهي في السنة ٢٨، ثمان وعشرون مناسبة (ما بين ميلاد وشهادة لأربعة عشر معصومًا) وإذا أضفت إليها ما هو الغالب من حضور هؤلاء لأيام محرم العشرة، وعدد من أيام شهر رمضان حيث تقام المجالس فيه من أوله إلى آخره وفرضت فيها عشرة أيام وهو عدد قليل، فهذا يعني أن هناك ما يصل إلى خمسين يومًا في السنة، ولو أردت أن تحسب هذا لشخص حضر المجالس من سن الخامسة عشر إلى الستين أو السبعين، فهذا يعني كمعدل وسطي (٢٥٠٠) ساعة، من الاستماع إلى المواعظ والأحكام والعقائد، والسيرة والولائيات وما يصنع الارتباط مع أئمة الهدى (عليهم السلام)، وهذا الحساب مع أنه غير دقيق، وقد لا يشمل الكثير، وقد يكون الكثير من الناس من يتجاوزون هذا العدد بحسب مناطقهم أو رغباتهم، لكنه حساب تقريبي على أي حال.

إن هذا المقدار (٢٥٠٠ ساعة) يحصل عليها أبناء المذهب وأتباع أهل البيت في حياتهم من المنبر الحسيني يعتبر شيئًا هائلاً. لا سيما إذا كانت الأعداد فيه بمئات الآلاف من الرجال والنساء، وبمختلف الأعمار.. ويعبر بصدق عما قاله أئمة الهدى (عليهم السلام) من أن هذه المجالس فيها إحياء أمرهم.

فلا غرابة إذن أن يكون شيعة أهل البيت في أكثر مناطقهم الجغرافية وأدوارهم التاريخية تحت توجيه الفئات المخالفة لهم، ومع ذلك احتفظوا بثقافة أهل البيت وعقائدهم وأحكامهم.

بل وجدنا في الغالب أن الشاب الشيعي أكثر ثقافة ومعرفة في ما يرتبط

بالأمـور الدينيـة وحقائق التاريـخ والأحكام الشـرعية والعقائد، مـن نظرائه من سـائر المذاهب، فضلا عـن الأديان.

لا شـك أن الحـوزات العلميـة، والمرجعيـات الدينيـة هـي صاحبـة الـدور الأكبـر، لكـن أثرهـا فـي الغالـب لـم يكـن ليحصـل لـولا المنبـر الحسـيني، فـكأن المنبـر الحسـيني كان ذراع الحـوزات والمرجعيـة فـي الأماكـن التـي لا تصلها .

❖ هل توقعات الناس من المنبر صحيحة؟

الـكلام الـذي سـبق لا ريـب فيـه، ولكـن هـل المنبـر عصـا موسـى؟ وهل ينتظـر منـه المعجـزات؟

إن البعـض وإن كان لا يقـول هـذا بالصراحـة ولكنـه يعتقـد ذلـك ضمنًا أو يقولـه بشـكل غير مباشـر؛ فهو يتسـاءل مع كل موسـم حسـيني مثـلا: لماذا لا نجـد تأثيـرًا للمنبـر الحسـيني فـي المجتمع؟ لمـاذا معدلات الطـلاق مرتفعة؟ ولمـاذا الكثيـر مـن النـاس قـد تركـوا الأمانـة واعتـادوا علـى السـرقة الخفية؟ بأخـذ حقـوق غيرهم؟

لمـاذا تراجعـت الأخـلاق في الأسـرة فلا تجـد البـر بالوالدين كمـا كان في الأزمنة السـابقة؟

ولمـاذا نجد الفقر في مجتمعنا؟

وهكـذا.. تتوالـى الأسـئلة، لتنتـج: أن هـذا يـدل علـى أن المنبـر فـي مجتمعاتنـا لا يمـارس دوره، ولا يقـوم بوظيفتـه! وإلا لمـا كانت هـذه الظواهر السـلبية!

والجواب على ذلك:

أولًا: إنّ تحميل المنبر ما ليس من شأنه وتوسعة دائرة التوقعات ليس منهجًا علميًّا صحيحًا، فإن ما ذكر من الأسئلة من وجود مشكلات أخلاقية أو اجتماعية أسرية، وربما سياسية.. لا شك فيه، ولكن كل مشكلة من تلك المشاكل لها أسبابها الموضوعية الخاصة بها! إن وجود الفقر مثلا في المجتمع له أسبابه الخاصة وهي تختلف تمامًا عن أسباب الطلاق مثلا!

ثانيًا: إن التصور بأن الناس بمجرد أن يستمعوا لخطيب المنبر الحسيني، سوف يلتزمون بما يقوله من الفعل الحسن والخلق الطيب، وإذا لاحظنا عدم التزامهم فيتبين أن المنبر الحسيني إذن لا يقوم بدوره المطلوب منه! هذا النحو من التصور قد يكشف عن سذاجة في المعرفة الاجتماعية! فلو كان الأمر هكذا من استجابة الناس لكانت في زمان رسول الله وهو صاحب الفصاحة والبلاغة الكبرى، ولكان لا يوجد في زمانه أي سوء أو مشاكل مع أن الوضع الاجتماعي في زمانه(ﷺ)، يشبه ما نعيشه في زماننا، فقد كان هناك ذنوب ومذنبون إلى حد إقامة الحدود الشرعية عليهم، وكان هناك مشاكل اجتماعية، وسوء أخلاق تستدعي من الرسول الخطب الكثيرة ولم تنته بشكل تام!

وكذلك لو كان الأمر من استجابة الناس كالذي يتصوره البعض بسذاجة لكان الأمر أوضح في توجيهات القرآن وهو كلام الله الذي بلغ من قوة تأثيره أن ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾[1] فضلاً عن تأثيره على الناس، ولكن مع ذلك وجدت في المسلمين تلك الصور السيئة التي تحدث عنها القرآن نفسه!

---

(١) الحشر: ٢١.

ثالثًا: إن وظيفة المنبر الأساسية هي التبليغ للأحكام الشرعية، وبيان العقائد الحقة، وتقديم سيرة المعصومين وشخصيات الإسلام المخلصة بالصورة المناسبة، بحيث يترتب على ذلك رضا الله سبحانه وبمعرفة تلك الأمور يكون من يريد الإتباع والاقتداء والعمل على بصيرة من أمره، فلا يخطو في الطريق الباطل. وبهذا يتحقق ما قاله الإمام علي بن الحسين السجاد في مجلس يزيد من أنه يريد أن يصعد تلك الأعواد فيقول كلامًا لله فيه رضا، وللحاضرين أجر وثواب (أي بمعرفتهم الحقائق).

وأما أن يتعهد المنبر أو الخطيب بأن يجعل الناس يسيرون على وفق ما أراد الله تعالى منهم، فهذا ما لا يستطيعه خطيب المنبر بل ولا النبي المعصوم! فإن غاية أمر النبي كما قال الله تعالى ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾[١] وقوله سبحانه عن نبيه ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[٢]، ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٣]، وما بعد ذلك فـ ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾.[٤]

وقد مضى شيء من الحديث عن مسؤولية كلٍّ من الخطيب والجمهور المستمع وسيأتي مزيد بيان في صفحات قادمة إن شاء الله.

---

(١) الغاشية: ٢١.

(٢) البقرة: ١١٩.

(٣) النحل: ٤٤.

(٤) البقرة:٢٧٢.

المنبر الحسيني: بين التطوير والتكلس

هناك دعوتان متطرفتان على طرفي نقيض، ترتبطان بالمنبر والخطابة الحسينية، وثالثة نؤمن بها:

الأولى: تدعو إلى إنهاء المنبر الحسيني والخطابة، من الوجود الاجتماعي، بزعم أن المنبر كان في يومٍ مؤثرا عندما لم تكن وسائل الاتصال، ونقل المعلومات كالتي نراها اليوم، فكان رواد شيعة أهل البيت(عليهم السلام) وقادتهم يحتاجون إلى وسيلة لإيصال ثقافتهم وأفكارهم إلى العامة، ولم يكن أفضل من المنبر الحسيني وسيلة نافعة. فهو يلهب العواطف، ويهيئ النفوس مع ذلك للإستقبال.

ويزعم هؤلاء أن المنبر الحسيني ـ وما يرتبط به من مكان وتقاليد ـ كان يخدم غرضًا كيانيًّا في السابق، بحيث كان يمثل نقطة الاجتماع والحشد والتعبئة، لدى الطائفة الشيعية التي كانت تحيطها التحديات، فكانت تحتاج إلى محور يجتمع فيه أبناؤها ويتفاعلون معه، ولم يكن هناك أفضل من المنبر والموسم الحسيني الذي كان يخدم هذا الهدف أيما خدمة.

لكن ـ يرى هؤلاء ـ بأن الأوضاع قد تغيرت، وأصبح التعبير عن

الوجـود، والكيـان لـه مظاهـر متعـددة، ولـم يعـد المنبر الحسـيني ومـا يرتبط بـه إلا واحـدا مـن المظاهـر تلـك، وليـس هـو الأقـوى فيهـا.

وبالنسـبة إلـى وسـائل الاتصـال الثقافـي، تضيقـت الدائـرة وأصبـح تنـاول الثقافـة سـهلا يسـيرا مـع وجـود الانترنـت والفضائيـات، فضلا عـن الكتاب..

فما كان وسـيلة وحيدة في وقت أصبح اليوم من أضعف الوسـائل..

ويضيفـون أمـورا أخـرى، منها عـدم تأثير المنبـر في سـامعيه، بحيث يخرج هـؤلاء المسـتمعون بعد المنبر ليمارسـوا حياتهـم الاعتيادية ضمـن معادلاتهم السـابقة.. وكأنهـم لـم يسـمعوا شـيئا، وهذا يـدل في رأيهـم على أنـه لا ينبغي الاهتمـام بقضية المنبر الحسـيني[1].

والأخـرى: علـى الطـرف الآخـر، تـرى أن المنبـر الحسـيني ـ بصورتـه الحاليـة بـل حتـى التقليديـة السـابقة ـ لـه دور عظيم فـي الأمـة، وينبغي دعمه وحمايتـه، فـي أصـل وجوده وفـي هيكلـه المعـروف وصورته القائمـة، ويرون أن أي محاولـة لتطويـره وتحديثـه تحمـل ـ ولـو علـى المـدى البعيـد ـ نتيجـة إنهـاء المنبـر. ولـذا فهـم يقفون مـن أي محاولـة تطويرية موقـف المعارضة أو التشـكيك فـي غاياتها.[2]

---

(١) فـي حـوار جـرى عبـر أحـد المواقع فـي الانترنـت سـألني أحدهم: سـمعت همسـاً يغضب الكثيـر أود أن أرى تعليـق الشـيخ عليـه (المنبـر الحسـيني مـات، و إكـرام الميـت دفنـه!! وسـيأتي التعليـق عليه.

(٢) يتحـدث الخطيـب المعاصـر الدكتـور الوائلـي رحمـه اللـه فـي كتابـه تجاربـي مـع المنبـر عـن تجربـة رائـدة لـم تتحقق فـي تطويـر المنبر الحسـيني مـع أن روادهـا كانوا مـن العلماء الكفوئيـن منهـم الشـيخ محمـد بـن شـيخ الشـريعة والشـيخان المظفـران محمـد رضـا ومحمـد حسـين والشـيخ عبـد المهدي مطـر وآخـرون ويتحدث عـن اتصالهم لهـذا الغرض بالمرجعيـة حينئـذ للاسـتفادة مـن مكان معيـن فاجازت المرجعية الاسـتفادة إلـى أن تحركت جماعـات مضـادة انتهـت إلـى سـحب الاجـازة، فقـام رواد الفكـرة باسـتئجار دار =

ورأيهم في ذلك ينتهي إلى أن هناك حملة ـ أو مؤامرة ـ لتشكيك المؤمنين في ثوابتهم العقائدية، وممارساتهم الشعائرية، وأصولهم المتسالم عليها من قبل علماء الطائفة جيلا بعد جيل. والقبول بالفصل الأول يجر إلى الثاني وهكذا تتابع حبات المسبحة، ولذا ينبغي النظر إلى محاولات التجديد، والتحديث في هذا الإطار الكلي، كما يرى هؤلاء.. فلا ينبغي التشجيع عليها، ولا الاصغاء إليها بل لا بد من التحذير منها، توقيا لما يحدث بعدها، وسدا للباب الذي يفتح خلفها. فاليوم يتم التشكيك في بعض روايات السيرة، وغدا في أصل السيرة الحسينية، وبعدها في الامامة.. وهكذا..

ولذا يرى أصحاب هذه النظرية أن من الضروري تجنب الانسياق مع دعوات التطوير والتجديد خوفا مما ستؤول إليه.

وهناك طريق ثالث نحن نتبناه، وفاقًا الكثير من العلماء والخطباء وأصحاب الرأي، وهو يتمثل في النقاط التالية:

١/ نحن نعتقد أن المنبر الحسيني لا يزال الوسيلة المهمة في نشر فكر أهل البيت (عليهم السلام)، بنحو لم تستطع سائر الوسائل الأخرى بما فيها الحديثة منها (كالفضائيات والانترنت) أن تقوم به، وذلك لجهات:

الأولى: سهولة تناوله من قبل جميع الطبقات الاجتماعية، بخلاف تلك الوسائل التي لا تتمكن منها سوى طبقة معينة من الناس سواء لجهة عدم توفر أدواتها، أو التزامها بنحو معين من الخطاب لا يستقطب جميع

= للغرض ذاته ولكن التحرك المضاد عاد هذه المرة بشكل أعنف انتهى إلى الهجوم على المكان وتخريب محتوياته، وهرب القائمين عليه خوفا من الإيذاء! ويعلل الشيخ الوائلي ذلك بأمور مختلفة منها ـ ما يتصل بموضوعنا ـ أن قسما من المخالفين لهذه الحركة التطويرية صوروا الأمر في الأذهان على أنه محاولة لتحسين صورة بني أمية في الأذهان، والقضاء على الشعائر الحسينية.. الى آخر ما ذكره.

الشـرائح. مثـلا مـن لا يعـرف الانترنـت ولا يسـتخدمها لا يمكن له أن يسـتفيد مـن إمكاناتهـا، ولا تسـتطيع هـذه المواقـع الموجـودة فيهـا مخاطبتـه. وهكذا الحـال فـي أمـر الفضائيـات، بخـلاف المنبـر الحسـيني الـذي يتوفـر للجميع وليـس علـى المـرء سـوى أن ينقـل قدمه إلـى المـكان المعين.

الثانيـة: أن الكثيـر مـن الباحثيـن يذكـرون التوافـق الجمعـي، والحضور في ضمـن مجمـوع كبيـر كواحـد من الجهـات المؤثـرة فـي المتلقـي، بخلاف ما لـو كان يتلقـى هـذا الأمـر بمفـرده أو ضمـن مجموعـة محدودة، ولا شـك أن المنابـر الحسـينية يتوفـر فيهـا هذا الجـو العام.

الثالثـة: أن المنبـر الحسـيني ومـا يحتويـه مـن توجيـه (ولائـي أو أخلاقـي، أو ثقافـي) خـط ممتـد مـع عمـر الإنسـان المتلقـي، فلـو فرضنـا أن شـخصا مـن أتبـاع أهـل البيـت كان يحضـر فـي المنابـر كمـا هـي عـادة كثيـر منهـم فـي موسـم محـرم ورمضـان مجلسـا واحـدا فـي كل ليلـة، فـإن معنـى ذلـك أنـه عندمـا يكـون فـي السـبعين مـن العمـر يكـون قـد اسـتمع إلـى أكثـر مـن ألفـي محاضـرة، بمـا تحتـوي عليـه من قضايـا تأريخيـة وأدبيـة وثقافيـة عامة، والمتعـرض لهـذا المقـدار مـن المحاضـرات والأحاديث لا شـك سـيكون ذا ثقافـة مناسـبة. ولعـل هذا هو السـبب الـذي يجعل مسـتوى الكثيـر من هؤلاء برغـم أميـة بعضهـم، أعلـى مـن غيرهـم وأفضل.

٢/ إن هـذه الوسـيلة (المنبـر) كان لهـا دور عظيـم فـي الحفـاظ علـى تـراث أهـل البيـت وفكرهـم، إضافة إلـى دورها المحـوري داخل المجتمع الشـيعي، ولا تـزال تمتلـك المقومـات الكافيـة، للإسـتمرار فـي هـذا الـدور، بـل يمكن دعـوى دور أكبـر لهـا، عن طريق الاسـتفادة من الوسـائل المتقدمـة كالانترنت والفضائيات.

لقد كان المنبر في الأزمنة السابقة يمارس تأثيره في حدود منطقة القريبين منه، بينما هو اليوم بفضل تقدم الوسائل قادر على مخاطبة البعيدين، مما يعني أن بإمكانه أن يقوم بدور أكبر في استقطاب الجمهور والتأثير عليهم.

٣/ إننا نعتقد أن هذه الوسيلة القوية، يمكن لها أن تكون أقوى وأفضل مما هي عليه الآن عندما تتعرض إلى عملية تطوير، وتحديث شاملة، تأخذ بعين الاعتبار خصوصياتها الذاتية (كونها حسينية وتخدم غرضا معينا) وأيضا الأوضاع القائمة بما فيها من مشاكل فكرية، وتستفيد من تقنيات الاتصال والتخاطب والإقناع، حيث أن الخطابة والتأثير على المستمع أصبح علما كاملا ومتطورا، يدرس كاختصاص في الجامعات.

وإن البقاء في الحالة التقليدية، التي تُتوارث من قِبل اللاحقين عن السابقين، في الكيفيات والأساليب يعرض هذه الوسيلة إلى التراجع والاضمحلال.

هذا مع إصرارنا على أن لا يفقد المنبر، كما سيأتي، مقوماته الأساسية ومن أهمها القضية الحسينية، والجانب الرثائي بما فيه من حرارة المصيبة، ولوعة المأساة.

ولهذا نقول: إن كلتا الدعويين اللتين ذكرتا أول الحديث غير صحيحة، لا يزال المنبر قادرا وفاعلا ـ في حدوده الطبيعية[1] التي تنتظر منه ـ بل

(١) نقول في حدوده الطبيعية المنتظرة منه، وذلك أن قسما من الناس يتصورون المنبر الحسيني عصا سحرية، سوف تحل لهم جميع المشاكل، فهم يطلبون منه ما لا تقدر الدول على تحقيقه!! فيتحدثون عن أنه لماذا لا تتكلمون عن البطالة؟ وكأن الحديث عنها فوق المنبر سوف يؤدي إلى تشغيل ألوف العاطلين!! ويقولون لماذا نجد أن الظاهرة الفلانية مستمرة.. هذا يدل على أن المنبر لا يقوم بدوره؟؟ ولماذا ينتشر الفساد =

ربما يكون أقدر من الماضي على التأثير بما توفر له من الوسائل التي تساهم في نقله هنا وهناك.

ونقول أيضاً: أن المنبر ـ كسائر الأشياء ـ ما لم يستجب للتغيير في وسائله، والتطوير في آلياته سينتهي به الحال إلى التراجع والاضمحلال، وسينهزم في معركة وسائلها عند الآخرين مطورة ومجددة، هذا مع الحفاظ على أساسياته.. كما سيتبين في الكلمات القادمة.

إن تخوف بعض المخلصين على المنبر من التطوير واعتقادهم أنه متى فسح المجال للتطوير في هذا الجانب فإنه بالتدريج سوف يفقد المنبر قدسيته، وسيفقد مقوماته بمرور الزمان، يقابله تخوف الكثير من المخلصين في الجانب الآخر، من أن ينتهي المنبر من التأثير في حياة الناس الحقيقية، ويتحول إلى قطعة من تحفيات العصر القديم، أو يتعامل معه كجزء من الفلولكور المنتهي. فيكون الذي ارتجي أن يعطي الحياة للمجتمعات، والتألق للنفوس، هو بنفسه يذوى ويموت!!

✿ مبادئ وآليات في التطوير:

١/ التطوير ضمن خصائص المنبر، وضمن الدور الذي يفترض أن يؤديه: ينبغي أن يكون حادي المطالبين بتطويره وسائقهم.

ربما يطرح البعض وسائل للتطوير بعيدة عن خصائص المنبر، مثل أن يتحول إلى ندوة أو محاضرة تتخللها المناقشات والمداخلات.. أقول بعيدة عن خصائصه فإن المأخوذ في المنبر أن يكون فيه جانب الوعظ

= الخلقي؟ ولماذا يسوء السلوك الاجتماعي؟ ولماذا تضيع الذمة المالية.. الخ وهذا تحميل للمنبر ما لا يحتمل! وسيأتي شيء من الحديث حول هذا الموضوع.

والتلقي والارشاد.. بينما ليس كذلك ـ بالضرورة ـ في الندوة أو النقاش المفتوح. أو قد يطرح فيه أمر القراءة على الورقة المكتوبة، بينما المألوف فيه والأكثر تأثيرا هو الخطاب المباشر ارتجالا ـ والارتجال لا يعني بالضرورة عدم الاتقان أو عدم التحضير ـ.

٢/ لا للتطوير القفزي والقسري: مع إيماننا بضرورة التطوير، إلا أن المقبول منه أيضاً ينبغي أن يكون تطويرا تدريجيا حتى يتقبله المجتمع بصورة سلسة، فإنه ليس أعسر على الناس من تغيير عاداتهم، ومألوفهم.

إن الحق مع وضوحه لكنه مع ذلك يحتاج إلى أسلوب مناسب في إيصاله إلى الناس و (بلاغ مبين) ويحتاج (قولا لينا). وتطوير المنبر وتجديده، وإضفاء عناصر القوة عليه أيضاً يحتاج إلى عمل تدريجي بحيث يستقبله الناس.

إن الصورة التي نراها اليوم للمنبر الحسيني ليس هي نفس الصورة التي كان عليها قبل مئات السنين، بل ولا قبل عشرات السنين، وإنما تعرض لتطوير ـ كما سنتعرض إليه ـ على مدى سنوات، من مجرد كونه فترة رثائية إلى ما نراه اليوم من كونه، إضافة إلى مساحة الحزن التي يحتلها، مشعلا ثقافيا وعلميا.

٣/ الحاجة إلى العمل بالوسائل الحديثة العامة في التطوير: بالرغم من أن الدعوة إلى تطوير المنبر ينبغي أن يستشعر بها كل ممارس لهذه المهمة المقدسة، وأن يقوم بتطوير منبره، وتحسين أدائه فيه باندفاع ذاتي، إلا أن ذلك لا يغني عن الدعوة إلى التطوير العام، باستخدام الطرق الحديثة التي يعتمدها العلم اليوم.

فمن المهم مثلا أن تقام دورات تخصصية في فن الخطابة ـ سواء في

الجانب الرثائي والعزائي أو جانب الموضوع وكيفية إعداده أوطرق التأثير على الناس ـ. فإن ما سوى الجانب الأول توجد فيه كتب ومتخصصون، ومع أن في منابرنا جانبا خاصا سواء لجهة المستمعين أو نوعية الحديث إلا أن ذلك لا يمنع من الاستفادة من الأمور العامة التي لا تخص خطابا دون غيره.

بل ينبغي أن يسعى إلى تأسيس معاهد وكليات للخطابة، ولو في الحوزات العلمية، وأن تعقد مجالس خاصة للخطباء يتم فيها تداول أمر المنبر الحسيني، سواء في تقييم الدور الذي يقوم به في كل مجتمع، أو في المواضيع التي ينبغي أن تطرح، ولأجل استفادة كل جيل من خبرات الجيل الذي سبقه.

ونحن نحمد الله أن هناك حركة طيبة بهذا الاتجاه، فهناك مجلات تخصصية تعنى بشأن المنبر الحسيني، وهناك دورات كثيرة قد تأسست في الحوزات والمدارس الدينية، وهناك مكاتب تخصصية[1].. وإن كانت المهمة أعظم من هذا المقدار الموجود، كماً وكيفاً، لكنه عمل يبشر بالكثير من الخير المستقبلي، جزى الله القائمين عليها خير الأجر والثواب.

✿ مجالات التطوير المقترحة:

مجال الرثاء والتعزية:

كانت بدايات المآتم الحسينية وما يذكر فيها من أمور مأساوية جرت في كربلاء، تحقق أمرين: تفريغ زخم اللوعة والألم الموجود في نفوس

(١) نشير هنا بإكبار للعمل الموسوعي الضخم الذي يقوم به المحقق الشيخ الكرباسي في كتابه (دائرة المعارف الحسينية) الذي يفترض أن يزيد على التسعمائة مجلد.

أهـل البيـت وشـيعتهم، ونشـر الظلامـة الحسـينية وشـحن النفوس علـى أثرها بالنقمـة علـى أعـداء الحسـين. وهنـا تحـول إلـى دور رسـالي رائـد، ولهـذا أصـر أهـل البيـت (عليهم السلام) علـى عقـد المجالـس بمـا يسـتطاع. فإنـه مـن جهـة كانـت تصنـع الفـرد الرسـالي وتربيـه وكانـت أيضاً تهـدف هدم صـروح الظلم بالوسـيلة المتيسـرة.

ومـع أن هنـاك من ينتقـد التعاطي مع الرثـاء وجانب المصيبة فـي المجلس إلا أنـه لا بـد مـن التعادل في الأمـر فلا يصح التخلـي عنه من جهـة كما أنه لا ينبغـي الإغـراق فيـه مـن جهـة أخرى.وإنما نمسـك العصـا من وسـطها فنقف بيـن المصرّيـن علـى المصيبـة وتوسـعتها وبين المطالبيـن بحذفها والاسـتغناء عنها .

ويقتـرح أن يتـم التركيـز على الشـعر القريـض والمنتقى والـذي يتميز بأداء حـار ومسـتوى مرتفـع، بـل حتـى فـي الشـعر الـدارج والعامـي يوجـد مـا هو عالـي المضاميـن، وجيـد السـبك، وفيـه مـا هـو هابـط. فلينتخـب مـا هو في مسـتوى إعـلاء شـأن صاحـب النهضـة وأصحابه ونسـائه.

انظـر إلـى الفـرق بين شـعر الشـريف الرضـي[1]، والسـيد حيـدر الحلي[2]،

(١) محمـد بـن الحسـين الموسـوي المعـروف بالشـريف الرضي (ت سـنة ٤٠٦ هـ) فـي بغداد، فقيـه عالـم وأشـعر الطالبييـن انتهـت إليـه نقابـة الأشـراف في حيـاة والـده، له ديوان شـعر، وعـدة كتـب منهـا المجـازات النبويـة، ونهـج البلاغة، وحقائـق التأويل فـي متشـابه التنزيل، ورسـائل الصابـي والشـريف الرضـي، وخصائـص أميـر المؤمنيـن علـي بن أبـي طالب..

(٢) السـيد حيـدر بـن سـليمان الحلي توفي عـام ١٣٠٤ هـ في الحلة شـاعر أهل البيـت له ديوان الـدر اليتيـم، والأشـجان فـي مراثي خيـر إنسـان. وأفضل شـعره حولياته في الحسـين (عليه السلام). ذكـره الطهرانـي فـي طبقات أعـلام الشـيعة، ١٤/ ٦٨٦ فقـال: «قد أجمـع أكثر صيارفة الشـعر مـن معاصريـه والمتأخريـن عنـه علـى أنـه أشـعر مـن رثـى الحسـين (عليه السلام)، وقد فضلـوه في الرثـاء علـى الشـريفين الرضي والمرتضـى، ومهيـار الديلمي، وكشـاجم الرملـي، وأضرابهم

والكعبي[١]، والكواز،[٢]والأعسم[٣] والهندي[٤]، ونظرائهم وفي المقابل

من فحول شعراء الشيعة ونوابغهم، الذين تعاطوا رثاء الامام».

(١) الحاج هاشم بن الحاج حردان الكعبي الدورقي (١٢٣١هـ) ذكره السيد جواد شبر في أدب الطف ٦/ ٢١٨ فقال: «ولد ونشأ في (الدورق) مسكن عشائر كعب في الأهواز ثم سكن كربلاء والنجف، من فحول الشعراء وفي طليعتهم ونظم في رثاء أهل البيت (عليهم السلام) فأكثر وأبدع وأجاد، واحتج وبرهن وأحسن وأتقن، وكل شعره من الطبقة الممتازة. تحفظ الخطباء شعره وترويه في مجالس العزاء وتشنف به الأسماع. له ديوان أكثره في الأئمة (عليهم السلام)».

(٢) صالح بن مهدي بن حمزة الكواز(ت ١٢٣٣ هـ): شاعر متقدم من أهل الحلة، دفن بالنجف. ترجم له الخاقاني في النجفيات، وسيد جواد شبر في ادب الطف، ووصفه آقا بزرگ الطهراني في طبقات أعلام الشيعة ٦٦٤/١١، بقوله: «كان من أشعر شعراء عصره باعتراف شيوخ الأدب المعاصرين له، وشعره يدل على غزارة فضله وكثرة اطلاعه بما ضمنه فيه من الحوادث والقصص والأمثال والآيات مع متانة اللفظ وجودة السبك، وكأنه كان حريصا على استعمال الفنون البديعية في شعره لأن هذه الصناعة كثيرة في نظمه. وكان على فضله وأدبه كثير التواضع بسيط المنظر والملبس لم يترك تعاطي مهنة أبيه وهي بيع الكيزان الذي أصبح لقبا له».

(٣) الشيخ محمد علي الأعسم الزبيدي النجفي (ت ١٢٣٣ هـ)؛ ذكره السيد جواد شبر في أدب الطف ٦/ ١٩٦ فقال: «آل الأعسم أسره نجفية كبيرة عريقة في العلم والفضل والأدب، أصلها من الحجاز من نواحي المدينة المنورة وجاء جدهم الأعلى إلى النجف الأشرف وتوطنها، وقيل له الأعسم لكونه من العسمان فخذ من حرب إحدى قبائل الحجاز المعروفة.

كان صاحب الترجمة عالما فاضلا فقيها ناسكا أديبا شاعرا له ديوان شعر وله مراث كثيرة في الحسين (عليه السلام) ومدائح في أهل البيت وبعضه في أستاذه بحر العلوم. له منظومة في الرضاع وأخرى في المواريث وثالثة في العدد ورابعة في تقدير دية القتل وخامسة في آداب الطعام والشراب المستفادة من الأخبار..».

(٤) السيد رضا بن السيد محمد الهندي النجفي (ت ١٣٦٢هـ)، ذكره آقا بزرگ الطهراني في طبقات أعلام الشيعة ١٤/ ٧٦٩ فقال:» أجاد في نظمه رغم اكثاره وجاء شعره من الطبقة العالية في الرقة والانسجام، وقد بلغ في ذلك مبلغا عظيما حتى تغلبت شهرته الأدبية على مكانته العلمية، فقد حمل راية الأدب في النجف زمنا طويلا يزيد على أربعين سنة، صحب السيد جعفر الحلي في أواخر عمره واشترك في بعض الحلبات =

استمع إلى بعض ما يقرأ في المجالس حيث لا تجد غير ركة المعاني، واصطناع الألفاظ..

ثم تأمل في الصور التي يظهرها هذا الشاعر أو ذاك ويجليها في أفضل نحو.. كما نجد في ملحمة الدمستاني[١] (أحرم الحجاج..) فقد جمع (كل الصيد في جوف الفرا) و مثلما صنع الجمري[٢]في تصويره شجاعة الحسين (صوّل أبو سكنه..) والتي أبدع فيه رسم صور البطولة بقدر ما أجاد في التقاط معاني الثورة، وغيرهم ولا نريد الآن التعرض إلى كل من أجاد وأحسن. وفي المقابل مثلا الصورة التي نجدها عن الإمام زين العابدين (عليه السلام) وكأنه لا يدري عن شيء مما يجري حوله في المعركة، فلا هو يعلم عن الأنصار وشهادتهم ولا يعرف شيئا عن بني هاشم وقتالهم، بل كان نائما[٣].. ويحتاج إلى زينب أن توقظه وتخبره!! أو أنه في طريق السبي يصيح واذلاه!! أين عشيرتي؟.

ومع أن الخطيب يبحث عادة عن القصيدة شديدة الوقع على المستمع، حتى يبكي ويحظى الخطيب والمستمع بثواب (من بكى وأبكى)، إلا أن

= والأندية معه، ومع الشيخ جواد الشبيبي، والشيخ هادي آل كاشف الغطاء؛ والشيخ محمد السماوي، وغيرهم من أعلام الأدب الأفاضل، ورجاله المبرزين، وكان مرموقا بينهم بعين التقدير والاعجاب..»

(١) الشيخ حسن بن محمد البحراني الدمستاني (ت ١١٨١هـ)، ذكره في أدب الطف ٢٩٦/٥ فقال عنه «كان عالمًا فاضلا فقيهًا محدثًا رجاليًّا محققًا مدققًا ماهرًا في علمي الحديث والرجال."

(٢) الملا عطية بن علي الجمري البحراني (ت ١٤٠١ هـ)، خطيب حسيني وشاعر مُجيد لا سيما بالدارجة، يفضل شعره على غيره من قبل خطباء المنبر، طبع من شعره سبعة مجلدات باسم (الجمرات الودية في المودة الجمرية).

(٣) هناك بعض الروايات تشير إلى أن مرض الامام زين العابدين قد حصل من مشاركته في القتال وأنه جرح حتى ارتث.. وقد تعرضنا إلى تحقيقها، في كتابنا قضايا النهضة الحسينية.. وشتان بين الصورتين.

من القصائد ما هو عالي المضمون وجيد السبك وشديد التأثير في نفس الوقت.

لا ننسى أن نشير هنا ونحن في هذه العجالة إلى أن ارتفاع المستوى الثقافي للمستمعين والذي يلاحظه الخطيب بادنى تأمل، يحتاج أيضاً إلى الارتفاع في مستوى الصور ـ حتى الرثائية منها ـ والتي تلقى على أسماعهم.

كما أنه ينبغي اختيار القصائد التي تنسجم في مضامينها مع القضايا التاريخية الثابتة في السيرة، وذلك أن الشعر هو أيضاً من منافذ الثقافة العامة التي تتسرب للمستمع، فأنت تجد من يعتقد بقضية والدليل عليها هو أنها قد وردت في شعر دارج قد سمعه من خطيب.. كما حدث أن سأل أحدهم عن عدد الجيش الأموي فلما قيل له أنهم حوالي ثلاثين ألفا، لم يقبل ذلك لأن العباس (عليه السلام) قد قتل في كل حملة عشرة آلاف كما في بعض الأشعار التي سمعها!!

وسؤال البعض عن قدوم الامام علي (عليه السلام) ليلة الحادي عشر من المحرم، وفي بعض الأشعار أنه كان بصورة أسد، أو وجود ابن العقيلية في الشام.. وهكذا.. وهذه كلها قضايا إما غير ثابتة أو تحتاج إلى تحقيق.. لكنها تحولت بعدما صارت شعراً إلى جزء من السيرة الثابتة.

❁ مجال المواضيع والمضمون:

كما سبق أن ذكرنا أن المنبر الحسيني لا يزال الوسيلة الأساس الفعالة التي يمتلكها شيعة أهل البيت (عليهم السلام) في نشر فكرهم، وتعريف أنفسهم للعالم، وتعريف أبنائهم ببصائر أهل البيت فكراً وفقهاً.

ولهذا فإن تأثر هذا المجال بتغير الظروف وارتفاع المستوى العام

للمستمع، بل حتى تأثره باختلاف المناطق التي يتم الاستماع فيها، أمر لا ينبغي أن يختلف فيه لوضوحه.

فإن المشاكل والاهتمامات الموجودة في بلد ليست بالضرورة موجودة في بلد آخر، والمستوى الثقافي الموجود في منطقة، بل ضمن مجلس في منطقة قد يختلف عن حضور المجلس الآخر في نفس المنطقة.

وهنا نوجه إلى الملاحظات التالية:

إن حديثنا عن التطوير لجهة الموضوع لا ينبغي أن يغفل جانب الموعظة والإرشاد.. فالمنبر وسيلة هداية ودعوة وليس مجرد معلومات نظرية تلقى بل أخذ فيه أن يكون كما روي عن الامام السجاد (عليه السلام) في تشخيصه لحدود المنبر (أتكلم بكلام لله فيه رضى وللجالسين أجر وثواب). إن الموعظة هي عمل الأنبياء ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى﴾ (١)، وطريقة دعوتهم ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (٢)، ولا بد أن يتمثل الخطيب وهو على المنبر سيرة الرسل ودورهم حتى يشعر بمسؤولية ما يتحدث ويلقي في أذهان سامعيه ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ﴾(٣).

وإن تصور بعض الخطباء أو السامعين أن الوعظ معادٌ أو مكررٌ أو لا ينفع هو أمر مجانب للصواب فإن الخطيب قبل أن يكون موسوعة نظرية من الاحصاءات والأفكار، هو كما وصف أمير المؤمنين (عليه السلام) الرسول الأعظم محمداً(صلى الله عليه وآله وسلم) (طبيب دوار بطبه قد أحكم مراهمه، وأحمى مواسمه. يضع

(١) سبأ: ٤٦.

(٢) النحل: ١٢٥.

(٣) الأعراف: ٦٢.

ذلك حيث الحاجة إليه من قلوب عُمي، وآذان صُم، وألسنة بُكم) بالطبع في مستوى الاقتداء برسول الله.

هذا هو الدور الذي يجب أن يرتقي إليه، وإن كان الفارق هو ما بين الثرى والثريا.

ونسجل هنا نقطة في تراجع هذا الجانب في الكثير من الخطابات والمنابر الحسينية، مما يعد نقصا ينبغي الالتفات إليه. والاعتذار بأن القائل يجب أن يطبق ما يقول قبل أن يدعو إليه، ليس بصحيح بمعنى الامتناع عن الوعظ، نعم هو صحيح بمقدار ما يدفع القائل لتشديد الالتزام بما يقول.

فوظيفة المستمع أن يقبل الحكمة والحق من القائل من دون شرط عمل القائل به، وأن يأخذ الموعظة ممن قالها وإن لم يعمل بها، فعن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) (كلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها) [1].

كما أن وظيفة الخطيب أن يقول الحكمة والموعظة، ولا ينتظر أن يعمل بها في أعلى صورها حتى يقولها. وأدلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم تقيد بعمل الآمر بها، وانتهاء الناهي عنها... مع أنه ينبغي لو أراد التأثير فالأفضل أن يقول بعد العمل، ولا يجوز أن يُفهم من هذا التشجيع على القول ومخالفته بالعمل!!.

✲ الخطيب والمستوى العلمي:

في فترة سابقة كان المألوف ـ في المجتمع الشيعي العربي ـ أن العالِم والفقيه لا ينبغي له أن يصعد المنبر الحسيني وإنما المنبر هو شغل من

(١) ميزان الحكمة ١/ ٦٧١.

ليس له مستوى علمي، ومن لم يفلح وينجح في الدراسة، فهذا هو الذي يكون (روزه خون)[1] وأما الذكي وصاحب المستوى العلمي فينبغي أن ينشغل في علوم الفقه والأصول والحكمة..

أنتجت تلك النظرة السقيمة والتي اختص بها المجتمع الشيعي ـ العربي ـ ولذا لا تجدها في المجتمع الشيعي الايراني ولا الهندي أو الباكستاني أو التركي الذي يكثر فيها (المجتهدون الخطباء)، أنتجت أن صار المنبر مقتصرًا، في الغالب، على الرثاء وعلى المعاجز والقصص العجيبة، التي لا ينتظر من الخطيب غيرها، ولا ينتظر السامع منه غير أن يحصل على الثواب بسبب الحضور في مجلس عقد باسم الحسين (عليه السلام).

لكن الوضع تغير في الفترة الأخيرة بحمد الله بعدما توجه أعاظم العلماء ورواد المرجعية إلى الدور الاستثنائي الذي يقوم به المنبر في صقل النفوس وفي إيصال الفكر المحمدي والعلوي إلى الناس، فكان أن وجهوا وشجعوا العديد من ذوي الكفاءة الأدبية والعلمية إلى الاهتمام بالمنبر والخطابة، ونتج من ذلك ما نراه اليوم من بركات.

ومع عودة المنبر إلى مكانه الطبيعي وإقبال الناس على الحضور إليه لا سيما في الموسمين (محرم ورمضان) فإن ذلك يحمل الخطيب مسؤولية مضاعفة، وربما يتصور بعض الناشئة من الخطباء أن الطريق السهل والسريع إلى الصعود والشهرة هو الصوت الجميل والحفظ الكثير،

(١) كلمة فارسية معناه قارئ الروضة، وأصل ذلك أن عالما يسمى الملا حسين الكاشفي (توفي حوالي ٩١٠ هـ) قد ألف كتابا باسم (روضة الشهداء) يتناول مصارع شهداء كربلاء ومصائب العترة الطاهرة، وهو من أوائل من كتب في هذا المجال بذلك النحو، فكان الخطباء يقرؤون منه على المنبر، فسمي الخطيب لذلك (قارئ الروضة) أي كتاب روضة الشهداء، ومع أنه قد كتبت كتب أخرى في نفس الموضوع، بل إن الخطباء لم يعودوا يقرؤون من الكتب لكن الاسم بقي ولم يتغير.

وهـو صحيـح فـي بداية الأمـر لكنه ليـس دائما، فقد يسـتمرئ شـخص عصيرا طيبـاً، ولكنـه لا يتخـذه إلـى الأخير غـذاء لبدنه. وقد يحلو لشـخص اسـتماعه لترنيمـة حزينـة ولكنه لا ينفق السـاعات دائما لاسـتماعها، ولـك أن تتحقق من صـدق هـذه المقولـة بمـا نلاحظـه فـي المجتمـع عيانا. فقـد أصبح المسـتمع يقيـم الخطيـب الفلانـي بتميـزه عـن سـائر الخطبـاء، ويميـز خطابـه اليوم عن خطابـه بالأمـس مـن ناحية المسـتوى، ويطالـب بمسـتويات أعلـى، وهكذا.

وهـذه الأمـور تدعو إلـى أن نتوجـه وإخوانـي الخطبـاء إلى تحصيـل مزيد مـن العلـم والمعرفـة، والحصـول علـى قـدرة فـي التحقيـق والتدقيـق فـي المسـائل والقضايـا التـي نطرحهـا للنـاس.

✲ الالتزام بالاعداد المناسب للحديث:

مـن المهـم جـدًّا أن يشـعر الخطيـب أن النـاس قـد ائتمنـوه علـى أفضـل مـا عندهـم، وأعطـوه عقولهـم لينقـش فيهـا علـى مدى سـاعة مـن الزمـان أو نصفهـا، مـا يريـد.. فليتـق اللـه في هـذه الأمانـة، ولا يصـب في تلـك العقول إلا مـا ينفعهـا فـي دنياهـا وأخراهـا.

ولـو أردنـا أن نحسـب الأمـر مـن الناحيـة الكميـة، فـإن معنـى أن يجتمـع لخطيـب ألـف شـخص تحـت منبـره، هـو أن ألف سـاعة مـن وقـت المجتمع قـد وضعـت تحـت تصـرف هـذا الخطيـب، فكيـف سـيتصرف فيهـا؟ منهـا سـاعة الطبيـب، وسـاعة المهنـدس وسـاعة المـدرس.. الـخ، وكل واحدة من هـذه لهـا قيمـة ماليـة خاصة.

إن ارتقـاء المنبـر، والتشـريق حينـا والتغريـب حينا آخر علـى غير هدى ولا هـدف.. يعـد جريمـة بحـق هـذه السـاعات التـي يحتاجهـا المجتمـع. ويعـد

كارثة بالنسبة لتلك العقول التي سلمت لهذا الشخص.

ونحن نتحدث هنا مع القادر من المنبريين على العطاء من خلال الاعداد الجيد، والتهيؤ المناسب للمناسبة، وإلا فلو كان الخطيب في مستوى معين لا يستطيع تجاوزه، فـ (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها)، ويكون الحاضر إليه قد (أقدم) على إنفاق هذا المقدار من الوقت، قاصدا بذلك الثواب.

وبهذه المناسبة نشير إلى طريقتين يعتمد الكثير من الخطباء المعاصرين إحداهما أو كليهما في تهيئة الموضوع:

الأولى: تعتمد على أن يختار الخطيب نصا من النصوص (سواء كان آية قرآنية أو رواية) ثم يبدأ في التأمل في كلماتها ويشرحها، ويبين ما يتصل بها من أحكام فقهية، أو قضايا تأريخية، أو مسائل عقائدية، وأحيانا لفتات أدبية ولغوية، بمقدار ما يشير إليه النص الذي اختاره في البداية.

الثانية: أن يشخص الخطيب حالة أو مشكلة، أو موضوعاً على أنه يهم المجتمع الذي سيلقي فيه وبعد تشخيصه لذلك الموضوع يبدأ بالبحث عن كيفية طرحه، وتهيئة المواد اللازمة للحديث فيه، فقد يرى مشكلة اجتماعية (كالطلاق) مثلا، فيقوم باختيار النص القرآني أو الروائي المناسب للحديث، ثم يفكر في أسبابه متخذا من الحالات القائمة، أو الدراسات الاجتماعية مصدرا، ويتأمل في طرق الإسلام التي تتحدث عنها الروايات ويستفيدها من الأحكام الشرعية، والتي تقلل من الطلاق وأسبابه.

أو أنه يتناول جانبا تأريخيا ويستفيد منه مواقع العبرة والدروس.. وهكذا.

وقد تكون هناك طرق أخرى تختلف أو تتفق مع الطريقتين السابقتين، لكن المهم في الأمر هو أن يقوم الخطيب بتقدير المهمة العظيمة التي تحملها، ويراعي في ذلك أوقات الناس بالكمية والكيفية التي تقدمت، فيهيء أحاديثه بمقدار ما وسعه التهيئة والاعداد.

أختم هذا العنوان بكلمات جميلة لديل كارنيجي في كتابه (فن الخطابة)[١] والذي ينصح بقراءته لفائدته، قال (حدد موضوعك مسبقاً حتى يتسنى لك الوقت للتفكير به مراراً. فكر به طيلة سبعة أيام، واحلم به طيلة سبع ليال، فكر به أثناء خلودك إلى الراحة، وفي الصباح وأنت تستحم، وفي طريقك إلى المدينة، أو...وناقشه مع أصدقائك واجعله موضوع حديثك، واسأل نفسك جميع الأسئلة الممكنة التي تتعلق به .

لقد ذكر تجربة أحدهم ممن كان خطيبا مشهورا: عندما سئل عن كيفية تحضيره لخطاباته فقال: ليس لدي أي سر. حين أختار موضوعا أكتب اسمه على مغلف كبير، ولدي الكثير من هذه المغلفات، فإذا وجدت أثناء القراءة شيئا جيدا حول الموضوع الذي سأتحدث عنه أنقله إلى المغلف الصحيح، وأضعه جانبا، ودائما أحمل معي دفتر ملاحظات، فإذا استمعت إلى عبارات أثناء أي احتفال تلقي ضوءا على الموضوع الذي يهمني أسجلها ثم أنقلها إلى المغلف وربما تركته جانبا لمدة سنة!! أو أكثر، وحين أريد أن ألقي خطبة أتناول ما أكون قد جمعته فأجد مادة كافية مما جمعته هناك إضافة إلى اجتهادي الخاص). وفي موضع آخر يقول: حين تنهمك في جمع مادة خطبة لاحتفال معين، اكتب جميع الأفكار المتعلقة

(١) بالطبع هناك شيء من الاختلاف بين ظروف من يتحدث عنهم وظروف خطبائنا ولو لجهة العدد الكبير من المواضيع التي يراد منهم التحدث عنها، ولكن استشهادنا هو في أصل الطريقة.

بالمادة التي تخطر ببالك، دون جميع أفكارك ببضع عبارات كافية لتثبيت الفكرة ودع عقلك يبحث عن المزيد منها، تلك هي الطريقة التي من خلالها يتدرب العقل على الانتاج وبها تبقى عملياتك الذهنية نشيطة وبناءة..[1]

✿ مجال الأداء والكيفية:

الخطابة ليست كلمات محفوظة يتلوها المتكلم عن ظهر قلب، وتنتهي المهمة بانتهاء الوقت المعين له، وإنما هي صناعة وفن يهدف إلى التأثير على المستمع وإقناعه بما لدى المتكلم، والخطابة الناجحة يفترض فيها اجتماع عوامل التأثير المختلفة، حيث يتوجه فيها الكلام كما قال بعضهم (إلى عقل السامع وقواه التي تعتمد على المخيلة والشعور والسمع والنظر فيتوجه الكلام إلى المخيلة بالصور البيانية وإلى الشعور بالحيوية الانفعالية، وإلى السمع بالصوت وإلى النظر بالاشارة والحركة).

وحيث أن هذا الكتاب لم يوضع للحديث عن الخطابة فإني أحيل القارئ المتابع لهذا الموضوع إلى عدد من الكتب التي تنفعه في هذا المجال: ككتاب فن الخطابة لديل كارنيجي، وكتاب تجاربي في المنبر للمرحوم السيد الشيرازي، وصناعة الخطابة للسيد عبد الحسين القزويني، ودور المنبر الحسيني في التوعية الإسلامية ـ وهو رسالة دكتوراه للشيخ باقر المقدسي. وقد سبقت الاشارة إلى كتاب المرحوم الشيخ الوائلي، وللمرحوم الشيخ محمد تقي فلسفي الذي يعد من أكبر الخطباء الايرانيين كتاب قيم باللغة الفارسية لا أعلم إن كان قد ترجم للعربية أو لم يترجم. وهناك عدد من الخطباء لديهم دروس قيمة على أشرطة الكاسيت في فن الخطابة كالشيخ عبد الحميد المهاجر..

---

(١) كارنيجي؛ دايل: فن الخطابة.

❁ تطوير الخطابة النسائية:

بالرغم من أن الخطابة النسائية في مجتمعنا الشيعي ـ لا سيما في الخليج ـ لا تزال تستقطب أعدادا ليست بالقليلة، إلا أن الغالب فيها أنها لا تزال تعيش معادلات العقود الماضية، ويد التطوير التي أفادت المنبر الحسيني في قسم الرجال، لم تصل إلى الخطابة الحسينية النسائية ، فلا تزال الطريقة نفس الطريقة المعتمدة على ذكر المصيبة من أول المجلس إلى آخره، والقراءة على بعض الكتب التي يخلو أكثرها من الاعتبار، ولو اطلعت عزيزي القارئ على بعض تلك الكتب وما ورد فيها من قصص (لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا)!! كما أنها تخلو من التوجيه والارشاد والمضمون غالبا.

وقد نستطيع استثناء المجالس النسائية التي يقوم عليها وعلى إدارتها نساء واعيات، إما ممن درسن في الحوزات العلمية لبعض الوقت، أو ممن أتيح لهن التثقف بالثقافة الدينية والإسلامية، باندفاع ذاتي فهؤلاء حاولن أن يوجدن جسراً بين ما حصل من التطور (في المنابر الرجالية) وبين منابرهن ومجالسهن، ولهذا استطعن استقطاب الكثير سواء من الفئات الشابة، وأحيانا من كبيرات السن أيضاً. ولقيت منابرهن النجاح مما يغري بمواصلة هذا المشوار والعمل على تكريسه، بحيث يكون هو الصورة الغالبة، والكلام فيه هو نفس الكلام السابق، مع الأخذ بعين الاعتبار خصوصيات المجتمع النسائي، سواء في جهة الموضوع أو في جهة الأداء والرثاء.

وينبغي بعد هذا التطواف أن لا يفهم أن الفترات السابقة والاجيال الماضية لم تقدم شيئا مهما للمنبر الحسيني، بل على العكس تماماً.

نحن نعتقد أن الأجيال الماضية، والخطباء الحسينيين السابقين ـ حشرهم الله مع الحسين (عليه السلام) ـ قد بذلوا أقصى ما في وسعهم، وما بإمكانهم ضمن ظروف المرحلة السابقة، واستطاعوا أن يطوروا المنبر بمقدار ما كانت إمكاناتهم الذاتية، وظروفهم الموضوعية (في الزمان والمكان والموضوع) تسمح لهم، وقد قضوا ما عليهم، وأوصلوا المنبر إلى هذا المستوى الذي بلغنا، بعدما أمدوه من طاقاتهم وقدراتهم، وحينما ندعو إلى التطوير لهذا الجهاز، فإنما نسير في نفس الاتجاه الذي ساروا فيه، فهم أيضاً وصل إليهم المنبر ضمن مستوى معين فقام كل منهم بجهده في تطويره إلى أن صار في المستوى الذي وصلَنا، وعلينا أن نطوره أيضاً، ونضيف إليه من عناصر القوة حتى يزداد عطاؤه وإنتاجه.

نسأل الله سبحانه أن يوفق هذه الفئة المهتمة بقضايا المنبر الحسيني، رجالا كانوا أو نساء لتطوير أداء هذه الوسيلة المقدسة، والحفاظ على دورها وتدعيمه في المجتمع إنه على كل شيء قدير.

❖ الخطابة للأطفال:

إن من المهم جدا أن يتم التفكير في اصطناع منابر خاصة للأطفال، والذي يحدونا إلى التفكير في ذلك:

١/ أن حضور الأطفال ـ من سن السادسة إلى الثالثة عشر ـ في المجالس والمواكب الحسينية كبير جدا، إما بمعية آبائهم أو أصدقائهم.

٢/ أنهم يستطيعون استيعاب مقدار غير قليل مما يلقى فوق المنابر، مع أن المنابر التي يجلسون إليها لم تخصص لهم، ولا يُتكلم فيها ـ عادة ـ على مستوى عقولهم، وإدراكاتهم.

٣/ إن إمكانية التأثير في شخصياتهم، ثقافة وسلوكا، هي في تلك الفترة من العمر أفضل من سائر الفترات، كما يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) (إنما قلب الحدث كالأرض الخالية، ما أُلقي فيها من شيء إلا قبلته)[١] ويقول الامام الصادق (عليه السلام) لمؤمن الطاق (.. عليك بالأحداث، فإنهم أسرع إلى كل خير). [٢]

وتعطينا كربلاء صورة واضحة عن شخصية الأحداث عندما تتأثر بالثقافة الصحيحة، فهذا القاسم بن الحسن (غلام لم يبلغ الحلم) وقد قاتل بين يدي عمه ذلك القتال العظيم، ونال الشهادة، وذاك أخوه عبد الله بن الحسن وهو غلام، انفلت إلى عمه الحسين وهو صريع على الأرض ليصد عنه ضربات الأعداء، حتى قطعوا يده ثم قتلوه بسهم، وذاك (غلام قد قتل أبوه) قبله، ويريد الحسين أن يرده إلى أمه، فيرفض إلا القتال قائلا (إن أمي هي التي ألبستني لامة حربي).. وهكذا..

ومما يؤسف له، عدم التوجه إلى التخاطب المناسب مع الأطفال، سواء على مستوى الكتابة لهم ـ إلا في القليل من الحالات ـ أو على مستوى الخطابة. أو حتى مواكب العزاء [٣] فينبغي التفكير جديا في أمر الخطابة للأطفال، بحيث يعد الخطيب ـ ويحبذ أن يكون في سن مقارب لهم ـ خطابته بنحو يستطيعون من خلاله الالمام بقضية كربلاء، خصوصا وأنها قصة ذات حوادث كثيرة تستهوي الأطفال الذين يحبون القصص أكثر من إقبالهم على الأفكار.

ومن خلال قصة كربلاء يمكن تضمين الكثير من المعاني الأخلاقية، والدينية في أحداثها بحيث يتأثر الأحداث بها.

(١) الشريف الرضي ؛محمد بن الحسين الموسوي: نهج البلاغة، خطب الإمام علي، ص ٣٩٣.

(٢) الكليني: الكافي ٨/٩٣.

(٣) يوجد في بعض المجتمعات مواكب عزائية خاصة بالأطفال، والتجربة تشهد بنجاحها.

آداب المجلس الحسيني

كما أن لكل مجلس آدابًا ورسومًا خاصة به، فإن للمجلس الحسيني آدابًا بل أخلاقًا، قد تزيد عن مثيلاتها في سائر المجالس، وتفرضها طبيعة المكان ومحتوى المجلس والنية التي تحرك القاصد إليه. وسنعرض إليها ضمن العناوين الموجودة في المجلس والمنبر الحسيني؛ وهي مقيم المجلس، والمستمع فيه، والخطيب.

❖ فأما مقيم المجلس وصاحبه:

١/ فإن من أول ما ينبغي أن يلتفت إليه؛ هو أن يستحضر دائمًا أنه يقيم هذا المجلس قربة لله تعالى، ورغبة في ثوابه وإسعادًا لرسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وعترته، فإنه بهذه النية يكون في محفل عبادي، تتنزل فيه الرحمة وتحفه الملائكة، ويقع موقع القبول والرضا من الرسول المصطفى وأهل بيته (عليهم السلام).

وينبغي أن يتأكد بشكل واضح من أن ما يحصل ـ مترافقًا مع إقامته المجلس ـ من سمعة حسنة له، أو لعائلته مثلا أو تعريف لمرجعه الخاص، أو غير ذلك من الأمور وهي التي قد تحصل بشكل طبيعي واتفاقي، هذه النتائج ليست الغاية، وأن حصولها ليس هو الأساس وإن سره حصولها أيضا.

ويتبين هذا في بعض المواقف الفاصلة، فلو أصر على تعريف الخطيب للناس بأن هذا المجلس هو لهذا الشخص أو الأسرة أو المرجع الفلاني في دعاية فجّة، ومن غير مناسبة تقتضي، فليحذر! فإن نصيبه يوم القيامة قد لا يكون أحسن من نصيب المستأكلين بأهل البيت!.[1]

وثاني ما ينبغي أن يلاحظه مقيم المجلس؛ أن الذين أتوا للاستماع وحضروا إلى هذه الحسينية والمجلس هم أهل الفضل عليه، دون العكس! فلا يتعامل معهم على أنه تفضل عليهم، وهيأ لهم المكان وربما الطعام، فينظر إليهم بناءً على ذلك من طرف عينه، ويقتحم بنظره هذا لملابسه غير اللائقة، وذاك لشكله الخاص، وهكذا يرفع أنفه مستكبرا على ذلك الفقير أو الشاب الصغير!

إننا نقول هم المتفضلون عليه، لأنه لولا هؤلاء الحاضرون ـ بمختلف أشكالهم وطبقاتهم ـ لكان المجلس خاليًا من البركة، ومن الناس فلا

---

(١) المجلسي؛ المولى محمد باقر: بحار الأنوار ١٨٦/٧٥ عن أبي جعفر (عليه السلام) قال:» شيعتنا ثلاثة أصناف؛ صنف يأكلون الناس بنا، وصنف كالزجاج ينم وصنف كالذهب الأحمر» والعجيب أن أصل هذا الحديث هو في حلية الأولياء ١٨٣/٣ لأبي نعيم الأصفهاني المتوفى (٤٣٠ هـ) وهو إن كان جد العلامة المجلسي (١١١١هـ) كما ذكروا، إلا أنه لم يكن شيعيًّا بالمعنى الخاص. وكذلك وجد هذا الحديث في تاريخ دمشق لابن عساكر (ت ٥٧١ هـ).

وقد نقل الشيخ علي النمازي الشاهرودي في مستدرك سفينة البحار١٦٣/١عددا من الروايات ذم فيها المعصومون الاستئكال بهم والمستأكلين، فقد نقل عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أن: المستأكل بدينه حظه من دينه ما يأكله. وعن السجاد والباقر (عليهما السلام) في حديث قال: وإياك أن تستأكل بنا فيزيدك الله فقرًا. وعن الإمام الصادق قوله: الشيعة ثلاث: محبٌّ وادٌّ فهو منا، ومتزين بنا ونحن زين لمن تزين بنا، ومستأكل بنا الناس، ومن استأكل بنا افتقر.. وقد أوضح العلامة المجلسي معنى الاستيكال بهم، فقال: هو أن يجعلوا إظهار موالاتهم ونشر علومهم وأخبارهم وسيلة لتحصيل الرزق وجلب المنافع، فينتج خلاف مطلوبهم ويصير سببًا لفقرهم.

ينعقد أصلا! وهو إنما قام وقعد وصرف وأنفق ليقام المجلس بشكله المناسب، ففي الحقيقة هو المحتاج إليهم، وهم المتفضلون عليه.

لا سيما وأن قسمًا منهم سيترك راحته لأجل الحضور في هذا المجلس، أو ربما سيعتذر عن عمل له ويقدم الاستماع في هذا المجلس، وربما يختار خصوص هذا المجلس دون المجلس المجاور له، فهو في الواقع صاحب التفضل.

إن اختلاف النظر سيؤثر في اختلاف التعامل، فإن كان يتعامل على أنه هو صاحب الفضل على الحاضرين، سيتعامل معهم بنوع من الكبر، بخلاف ما إذا رأى أنهم هم أصحاب الفضل عليه!

وثالث تلك الآداب: أنه ما دام يعقد «مجلس الحسين (عليه السلام)» فلينفق فيه من أزكى أمواله! ولو فرضنا أن فيها ما هو مشتبه فضلا عن الحرام، فليكن إنفاقه فيه من الصنف الزكي، فإن الحسين والعترة طيبون أزكياء وإنما يقبلون الطيب الزكي.

❁ وأما بالنسبة للمستمع، فينبغي لهم ملاحظة ما يلي:

١/ جهة النية التي تحركه للحضور في هذا المجلس؛ فالمفروض أنها ـ كما ذكرنا في عنوان مقيم المجلس ـ نية القربة لله سبحانه وتعالى، وأنه ينبعث من مكانه ويقطع المسافة ـ قربتْ أو بعدتْ ـ لأجل مواساة رسول الله(صلى الله عليه وآله)، والعترة الطاهرة، وأن سينتفع بالحضور في هذا المجلس أخرويًّا بالثواب الموعود، كما قد يستفيد دنيويًّا بالموعظة التي تذكر في هذا المجلس، والمعلومات والمعارف التي يلقيها الخطيب.

وتأكد الجانب الأول من النية مهم، فإنّه قد لا يحصل الجانب الثاني،

مثلا لو كان مستوى الخطيب دون مستوى المستمع من الناحية العلمية، وهذا قد يحصل بالنسبة إلى العلماء وطلبة الحوزات، بل والأكاديميين أصحاب المعارف الدينية، فإذا كان يسعى لهذا المجلس بالدافع الثاني وهو الاستفادة العلمية فقد يشعر بأنه قد خسر هذا الوقت ولم ينتفع به، بينما لو كان يتحرك من خلال الدافع الأول، أو بهما معا، فلن يستشعر ذلك.

لقد رأينا علماء كبارًا، ومتخصصين مهمين، يحضرون مجالس خطباء ناشئة، وربما لا يكون في مد نظرهم دافع الاستفادة العلمية، بمقدار ما هو نية القربة وقصد الثواب.

٢/ أن يجعل الحاضر للاستماع فكرته، في أنه قد حضر «مجلس الحسين» بالدرجة الأولى قبل أن يكون مجلس «حاج فلان» ويترتب عليه أن يكتسب هذا المجلس قداسته من صاحب المجلس الأصلي «الحسين (عليه السلام)». فلو كان بينه وبين مقيم المجلس إحَنٌ ومشاكل باقية، فليجنّبْها جانبًا، وليأت بمنطق أنه «ضيف الإمام الحسين» ويراعي أخلاق وآداب الضيوف، وإن كان الواقف على الباب والمستقبل للناس هو مقيم المجلس فلان.

ولعلنا نستفيد مما ورد من أحاديث كثيرة حول حضورهم (عليهم السلام)[1] هذه المجالس هذا المعنى، فبأي نحوٍ فسرنا تلك الأحاديث يمكن أن نستفيد منها أنها تعبر عن حقيقة أنهم المالكون الحقيقيون لهذه المجالس والراعون لها. فينبغي للحاضر والمستمع أن يستشعر أنه في مجلس يتصدر فيه رسول الله، ويحضره أمير المؤمنين والزهراء البتول وأبناؤهم(عليهم السلام).

٣/ لا بد للمستمع أن يتعمد الاستماع والإصغاء للخطيب المتكلم، فيساهم بذلك في إنجاح المجلس، و«إحياء أمرهم (عليهم السلام)». فإن المستمع

(١) سيأتي في الفصل الخاص بالأسئلة ما يتعلق بهذا الجانب..

كما تقدم في صفحات سابقة يعد من الأعمدة الأساس في المجلس بل الموسم الحسيني، وعمله الأساس فيه هو إتقان الانصات والاستماع.

إن المستمع الذي يأتي فينشغل في وقت المحاضرة بالجوال والمحادثات أو لا سمح الله بمشاهدة كرة القدم أو متابعة لعبة معينة، ويكون في مرأى الخطيب، يفسد على الخطيب عمله، ويشتت ذهنه، ويفسد عليه موعظته وتعليمه. ولا أريد أن أقول إن عدم حضور هذا خير من حضوره، وإنما الذي نقوله هو أن يحضر ويستمع ويؤجل مكالماته ومحادثاته الكتابية عبر الهاتف، فضلا عن سائر الأمور إلى ما بعد نهاية المجلس، أو إذا كان الأمر ضروريا فليخرج لبعض الوقت وينتهي من حاجته وليعد إلى موقعه.

ومع أننا سنذكر في آداب الخطيب أن لا يتشنج أمام مثل هذا، وأن يتجاهل قدر الإمكان، وإن لم يتمكن فليوجه إلى ذلك بشكل عام وبمحبة! إلا أننا نلاحظ أن بعض الخطباء بحسب طبيعتهم قد يؤثر عليهم سلبًا ما هو دون ذلك، وربما أفسد عليهم محاضرتهم وأضاع عليهم تسلسل أفكارهم، أو شتت بعض محفوظاتهم.

فمن المهم جدًّا أن يلاحظ المستمع هذه الناحية، ويتقرب إلى الله ثم أهل بيته بالسعي لإنجاح المجلس وإحياء الأمر المعصومي، بمقدار ما يستطيع وهو هنا الإصغاء والاستماع.

٤/ بل قد يطلب من المستمع ما هو أكثر من ذلك وهو التفاعل فضلا عن الإصغاء والإنصات، بالالتفات إلى المتكلم واستحسان ما هو حسن من كلماته، واستغراب ما يستغربه المتحدث، وهكذا التعبير بلفتات وجهه ونظراته بذلك.

إننا نلاحظ في الموكب الحسيني والعزاء (اللطم) أنه كلما زاد التفاعل من قبل المعزين، والمشاركين، بالصوت والحركة يزداد إبداع الرادود، وينطلق في عالمه بشكل أفضل، بينما إذا كان المعزي بارد المشاعر، خانقًا لأحاسيسه، تجد العزاء واللطم لا روح فيه!

ونفس الكلام ينطبق على المستمع في المجلس الحسيني، سواء في المحاضرة والموعظة التي تحتاج إلى تفاعل من المستمع وتعبير عن كونه مع الخطيب. أو في الرثاء وهو أوضح فإن من الأشعار والأطوار التي يقرأها الخطباء ما يلزم معه الترديد مثلا لآخر الكلمات أو إطلاق «الوَنّة» مع قافية الأبيات، وبدونها يتعب الخطيب ويستهلك من غير أن يصل إلى مقصده من إيجاد أجواء الحزن، وإسالة دمعة المستمعين.

وقد عرفت بعض المجتمعات الشيعية بالتفاعل الواضح في قسم الرثاء، بحيث أنهم بمجرد بداية الخطيب في طور معين من الاطوار، ترى المجلس يضج بتفاعلهم.

٥/ من المناسب جدًّا أن ينظر المستمع في المجلس الذي يذهب إليه إلى الجانب الإيجابي فيه، فلو كانت المحاضرة مثلا مكررة بالنسبة له، بينما الرثاء جيد، أن لا يقوم ويقعد بالحديث عن المحاضرة المكررة وغير المفيدة، وإنما الأولى له أن يذكر أن رثاء الخطيب كان جيدًا، وفي هذا الأمر ابتعاد عن الغيبة لو انطبق هذا العنوان على بعض المصاديق، وأيضًا فإنه لن يكون هناك كلام وحديث (غير كلام الله ومن بعده أوليائه) خاليًا من الانتقاد والنقص. فلا ينبغي أن يتعود المستمع على أن يكون «لسان نقد وسوء» في كل مكان.

وقد قال النابغة الذبياني:

وَلَستَ بِمُستَبقٍ أَخاً لا تَلُمَّهُ عَلى شَعَثٍ أَيُّ الرِجالِ المُهَذَّبُ

وإذا كان لا بد من الحديث عن المجلس، بصدق فليذكر ما فيه من الحسنات، كأن يكون الرثاء جيدًا، أو أن الضيافة والاستقبال من أهل المجلس حسنة.. وهكذا.

إن البعض قد يفهم أن الإنتقاد لهذا وذاك، والتعليق السلبي على هذه الفكرة وتلك، وعدم الرضا عن هذا المجلس وذاك سوف يجعله في أعين الناس فاهمًا ومفكرًا، وأنه على مستوى عالٍ من المعرفة إلى حد أنه ينقد الجميع! هذا البعض يخطئ الطريق، وسيرى نفسه بعد مدة في أعين الناس متكبرًا «لا يعجبه العجب ولا الصوم في رجب». وقد يقع في نفس الحفرة التي حفرها عندما يدعى إلى كلمة أو محاضرة أو يكتب مقالاً، فيعتذر لأنه لا يستطيع أو يأتي بما هو أدنى مما كان ينتقده ويمزقه بسكاكين التخطئة!

هذا مع أنه في مواضع التقييم والاستشارة على وجه الخصوص لا مانع من ذكر صفات القوة والضعف لدى الخطيب، ضمن إطار المشورة والنصح. وبالكلمات المتوازنة.

✲ وأما آداب الخطيب:

فبالرغم من شيء من الحرج في الحديث في هذا الموضوع، لأن بعض الخطباء هم أساتذتنا، والبعض الآخر زملاؤنا المتميزون، وهكذا.. ولكن لا بد من ذكر بعض الملاحظات، وقد لا يكون الكاتب ملتزمًا بها بالضرورة.

فأولاً: أن تكون نيته من خطابته وتوجيهه نية خالصة لله سبحانه وتعالى، وبهدف إحياء أمر أهل البيت (عليهم السلام)، وإذا كانت نية القربة في

مقيم المجلس والمستمع مطلوبة مرة واحدة، فإنها في الخطيب مطلوبة مرات![1] بل قد يتوقف التأثير في المستمع على هذه النية.

وربما يصنف البعضُ الخطباء على عنوانين؛ الخطيب الرسالي والخطيب التجاري)،[2] وأظن أن التصنيف هذا راجع إلى غلبة أحد جانبي النية؛ الإلهي القربي، والمادي الحياتي.

والحق: أن هذا الأمر ـ سواء بالنسبة للخطيب أو غيره ـ هو صعب مستصعب، لكنه في العمل الديني ـ والخطابة الحسينية منه هو أكثر صعوبة. وقد يكون ذلك لأسباب منها، أن الأدوات في الأعمال الأخرى دنيوية في الغالب، فعامل البناء يتعامل مع الطوب والاسمنت، والطبيب يتعامل مع الدواء والبدن، وهي منفصلة بما هي أدوات عن الأمر الديني، إلا أنه في الموضوع الحسيني والديني، نفس الأدوات هي «دينية» فهو يقوم بالموعظة، ويذكر الآيات، ويفسر الأحاديث وهي كلها «دينية» وهنا تكون إمكانية الاختلاط بحيث يكون غرضه ومقصده دنيويا بينما أدواته دينية!

---

(١) نقل الشيخ عبد العظيم المهتدي البحراني في كتابه قصص وخواطر ٢٣٦، عن الشيخ أحمد الرحماني قصته مع استاذه آية الله الهمداني وقد قرأ الشيخ أحمد بين يديه مجلسًا في بدايات عمره.. قال الرحماني: بعد اختتام المجلس دخل آية الله الهمداني مكتبة المدرسة ودخلنا خلفه، فأطرى عليَّ كثيراً، وكنت مبتدئاً في القراءة المنبريّة حينذاك، ثمّ سألني سماحته: أتريد أن تصبح منبريّاً؟

قلت: نعم، فقال: يجتمع الإخوة ليالي الخميس ويصعدون المنبر، (كناية عن أنه يدعوني لأحضر معهم).

فقال: إذا أردت أن تصبح خطيباً لا تنسَ شيئين:

الأول: اصعد المنبر بنفس القصد والنيّة التي تصلّي بها ركعتي صلاة لله تعالى.

الثاني: اعلم أنّ الناس الجالسين تحت المنبر قد وضعوا أشرف أجزائهم تحت اختيارك؛ وهو العقل، فانظر ماذا تصنع في عقولهم.

(٢) داخل السيد حسن: معجم الخطباء ١/ ٣١.

ويصعب هنا تحديد مواضع الدنيوية وفصلها عن القربية الإلهية، لكن الإنسان بصير بنفسه، وقائم عليها.

وثانيًا: من المهم جدًّا أن يهيأ الخطيب خطابه بما يفرغ معه من عهدة المسؤولية أمام الله سبحانه ثم أمام النبي والعترة الطاهرة. وليس لهذا قانون محدد بالساعات أو الأيام، وإنما قانونه أن يستشعر شهادة الله عليه، ثم إمام زمانه.

وذلك أن مقيم المجلس يعتقد في الخطيب أنه سيكون كلامه نافعًا ومعدًّا بشكل جيد، أو أن رثاءه سيكون بالمستوى المعروف عن هذا الخطيب، وهو قد اتفق معه على هذا الأساس الذي وإن لم يكن مذكورًا في الاتفاق لكنه مأخوذ فيه ضمنًا.(١)

والذين جاؤوا للاستماع هم في الغالب يأتون بدافع أن هذا الخطيب مثلا يقول كلامًا نافعًا، ويُعِدّ لمجلسه إعدادًا جيدًا.

والخطيب نفسه ينبغي أن يتأمل في هؤلاء الذين جاؤوا وسلموه أسماعهم وعقولهم، لمدة ساعة من الزمان أو نحوها، لكي يملأها فبماذا يملؤها؟ وأي شيء يضع فيها؟ وكلما كان العدد أكبر كانت المسؤولية أعظم، فإن حضور مئة شخص مثلا لمجلسه يعني أن هناك مئة ساعة، هو يملكها من وقت الناس، فما الذي ينبغي أن يصنع فيها؟

ولا يُصغَى إلى القول بأن الخطباء الكبار لا يُعدّون خطاباتهم! بل المعلوم هو خلاف ذلك، ولهذا أصبحوا خطباء كبارًا. وكذلك لا يصغى

(١) يذكر الفقهاء مثلا شرط السلامة في السلعة المباعة فإنها وإن لم تشترط في العقد إلا أنها مأخوذة فيه فلا يصح أن يحتج البائع عند تسليمه سلعة معيبة أن المشتري لم يشترط سلامة السلعة.

إلى القول بأنه بعدما يشتهر الخطيب فلا يحتاج إلى الإعداد والتحضير، فهو خطأ بل قد ينتكس هذا الخطيب ويفقد مركزه بعدما كان في الأعلى وينزل. وذلك أن الناس سيبقون يتوقعون منه إما الصعود إلى أعلى أو على الأقل البقاء في موقعه ذاك.

نعم الإعداد يختلف من شخص لآخر، بحسب سعته العلمية، فقد لا يحتاج واسع المعرفة إلا إلى استدعاء العنوان المطلوب، وترتيب الأفكار المرتبطة به والحوادث والآيات والروايات، وقد لا تستغرق هذه العملية منه وقتًا طويلا لوجود مخزون علمي كبير عنده، فما عليه إلا إن يرتب ما يرتبط بهذا الموضوع، ويمنهجه.

لكن غيره ممن لا يمتلك نفس المعرفة، يحتاج إلى النظر في تفسير الآية والأقوال فيها، إن كان يتحدث في التفسير أو الرجوع إلى المعاجم العربية لمعرفة معاني الكلمات، أو النظر في بعض المصادر التي تناولت هذا الموضوع لتوسعة آفاق البحث فيه، وهكذا.. ومثل هذا يحتاج إلى إعداد جيد وفترة كافية للتعرف على ما سبق.

إن الخطاب الإرتجالي من غير المعصومين، ومن في حكمهم، والعلماء الكبار ومن في مستواهم، هو مقتل الخطباء والمتكلمين. وقد يحصل عفوًا وصدفة، لمناسبةٍ لم يكن مستعدًا لها وليس في ذلك بأس، ولكن أن يكون سيرة ومنهجًا فإن هذا الخطيب يسير إلى حتفه بظلفه.

ثالثا: من متفرعات الخطيب «الرسالي المبدئي» أن لا يجعل منبره لافتة دعائية لشخص معين أو تيار خاص، إن عنوان هذا المنبر هو الحسين(عليه السلام)، وأهل بيت النبوة وينبغي أن يكون فيهم وفي ما يتصل بهم، وهو أيضا من متفرعات نية قصد القربة.

ومع أنه لا يمكن منع الأشخاص من تأييد هذا أو ذاك، والدعوة لهذا المرجع أو ذاك، والاعلام لهذا التيار أو ذاك فتلك قناعات يصعب المناقشة فيها بمقدار ما يصعب اتفاق الناس على شيء أو شخص واحد.. هذا كله واضح، ولكن المشكلةَ كلَّ المشكلة في أن يكون المنبر الحسيني هو الأداة في تلك الأمور. والصحيح أن ننزه المنبر والمجلس الذي ينصب باسم الحسين عن أن يكون لافتة إعلانية!

وقد يكون الشخص معروفًا بأن اتجاهه كذائي، أو أن هذا الموكب والمجلس لهذه الجماعة أو تلك، هذا شيء أيضا يختلف عن أن يقوم الخطيب بتطييف المنبر، وتسييسه بهذا المعنى! المنبر وسيلة إعلام لنهضة الحسين ومصيبته فلا ينبغي أن ينازع في ذلك وأن يزاحم بفلان وفلان، حتى وإن ادعي ـ وقد يكون صحيحًا ـ أن هذا يسير على نهج الحسين.

وقد يتصور بعض الخطباء أن هذا نحو من المعاصرة والدخول في التطبيقات الحياتية القائمة، أو أنه يقدم خدمة لمن يعلن تأييده له، إلا أن هذا يضر بمن يدعو له، أكثر مما ينفعه. فإن المستمعين قد يوافق قلة منهم كلام الخطيب ولكن العادة غير ذلك حيث أن الحاضرين من مشارب شتى، وتوجهات مختلفة. فيستثير ذلك فيهم حفيظتهم وعدم رضاهم.

ولو تصورنا الساحة الشيعية هكذا بحيث كان كلُّ خطيب يصعد المنبر ليسبح بحمد «شخصيته» ويقدس له، وباعتبار التوافق الاجتماعي أو عامل الغيرة، قام خطيب آخر ليفعل ذات الفعل مع شخصية أخرى، وثالث مع شخصية ثالثة لرأيت عجبًا بل ربما منكرًا.

نعم لا مانع من الإشارة إلى الأفكار والنظريات ونقدها بتصحيح بعضها وتخطئة بعضها الآخر وهو ما سيأتي الحديث عنه في رابعا.

رابعا: العادة عند كثير من الخطباء أن يكون منتميًا إما إلى فئة أو فكرة وتيار. فقد يكون مؤيدا للتيار التقليدي «بحسب الاصطلاح» أو التجديدي كذلك بحسب الاصطلاح، ونقول هذه الأسماء مع عدم قناعتنا بانطباق بعضها في ما قلناه وفي ما يأتي. وقد يكون مؤيدًا للتوجه الولائي الشعائري، أو مؤيدًا للتوجه الوحدوي الإسلامي، وفي تفاصيل العقائد قد يكون مؤمنًا بهذا النهج أو ذاك.

والغالب أن بعض الخطباء المنتمين يصعد إلى المنبر وهو مسكون بالاتجاه الذي يعتقده وينطلق منه، فلا تمر مناسبة في الحديث أو غير مناسبة إلّا وأشار إلى ذلك الاتجاه أو شخصياته أو نظرياته. وكأنّ من مسؤولياته تنبيه الغافل وتذكير العالم بذلك الخط والاتجاه. وتراه في مواضع الاختلاف في النظرية أو الفكرة بين تياره وغيره من التيارات، كأنه يخوض معركة كبرى لا بد أن تنتهي بالتغلب على الفكرة الأخرى لصالح فكرة تياره أو «جماعته».

ومع أننا نعتقد أنه قد لا يمكن للخطيب أو المؤلف أو غيرهما الانفكاك من مدرسته التي تربى عليها، ونشأ فيها، وتراكمت معلوماته يومًا بعد يوم على أسسها، إلا أننا أيضا نعتقد أن هذا النهج في الخطابة الحسينية غير صحيح. أو لا أقل ليس هو الاتجاه الصحيح. وإنما الاتجاه الصحيح هو ما أشرنا إليه في النقطة السابقة.

ونعتقد أن الطريق الصحيح هو أن يتحول المنبر إلى مدرسة علمية كاملة، يقدر فيها المستمع على المقارنة بين الأفكار والنظريات، ويرتقى بمستواه الذي أوصله إليه الخطيب بحيث يستطيع أن يرى نقاط القوة والضعف في كل واحدة من النظريات والأفكار.

أما أن يفرض عليه اتجاها واحدًا فيبين فيه كل نقاط القوة، ولا يعرض نقطة ضعف فيه، ويجمع فيه كل نقاط الضعف من غير إشارة إلى أي جهة قوة فيه، فهذا ليس تعليما حقيقيًّا ولا تثقيفًا راقيًا.

نعم لو كانت النظرية الأخرى تصنف على الضلال، والشبهة في الدين، فهذا أمر مختلف إذ لا بد من رد الشبهات وهي وظيفة العالم والخطيب، أما أن تكون ضمن دائرة المذهب والاعتراف بما ثبت لسادته وأئمته، فلا ينبغي أن يسلك الخطيب ذلك السلوك.

رابعًا: التطبيق العملي للأخلاق على المنبر: فإن الخطيب ـ كغيره ـ يعظ بسلوكه مثلما يعظ بمنطقه إن لم يكن أكثر، ولو خالف سلوكه منطقه فليقرأ على تأثير ذلك المنطق الفاتحة!

فلو فرضنا أن الخطيب رأى من ينشغل بجواله أو يعبث في شيء آخر، أو يصدر بعض الحركات في المجلس فقام بمهاجمته من فوق المنبر، ووجه الكلام إليه بعنف فلا ينبغي أن ينتظر من الناس تصديقه فيما بعد لو تحدث عن الصبر والتحمل، أو عن أن الكلمة الطيبة صدقة، أو ما شابه فإن تأثير هذا الموقف السابق غالب على تأثير كل موعظة أخرى، بل ربما كان مثل هذا الموقف هو المعرف للشخص! فإذا أريد تعريفه لأحد يقال هذا الذي فعل كذا وكذا.

هذا مع أننا قد ذكرنا في ما يرتبط بآداب المستمع لزوم الاصغاء وترك ما يؤدي إلى تشتيت فكر الخطيب عن موضوعه ورثائه.

وأوضح من ذلك لو حصل ــ لا سمح الله ـ هجوم على شخصيات الدين أو المؤمنين، فإنه يحصل أحيانًا أن يُنسى كامل الموضوع من الخطيب، وتبقى هذه الدقائق القليلة في ذاكرة الناس!

بل إننا ندعو إلى ما هو أكثر من ذلك، وهو أن يلاحظ الخطيب مختلف الملاحظات وأن يكون لديه الذكاء الاجتماعي، فلا يوجه اللوم والتوبيخ للمجتمع وأبنائه، وكأنه قاض في محكمة يخاطب مجرمًا، أو والدًا يقرّع ابنه الصغير بالتأنيب!

ولا سيما أن الحضور في هذه المجالس في الغالب ليسوا من أهل ارتكاب هذه الأمور، فكأنّ الذين يفعل المخالفات هو غير حاضر حتى يسمع العتاب واللوم، ومن هو حاضر في المجلس والسامع للعتاب والتقريع ليس هو مرتكب تلك المخالفات!

بل إن بعض الحاضرين هم من أعمار أب الخطيب وربما جدّه! فلا يناسب مثل ذلك الأمر.

على أن الخطاب التوبيخي المباشر ليس هو الأسلوب المثالي حتى لو كان المعنيون به حاضرين، فقد نقل عن النبي(ﷺ) أنه كان إذا أراد أن يلوم أو يوبخ سلك الطريق الآخر وهو أن يقول ما بال أقوامٍ[1] يفعلون كذا

---

(١) والموارد التي عبر عنها رسول الله(ﷺ) بتلك الطريقة «ما بالُ أحدكم، أو ما بالُ أقوام؟»، فمنها ما جاء في مصنف ابن أبي شيبة ٥/ ٩٦ من :«أن رسول اللَّه(ﷺ) رأى نخامة في قبلة المسجد، فأقبل على الناس بوجهه فقال: «ما بال أحدكم يقوم مستقبل ربه فيتنخع أمامه؟» ومنها ما جاء في سنن ابن ماجه ١/ ٦٧٢ من قول رسول الله على المنبر: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، مَا بَالُ أَحَدِكُمْ يُزَوِّجُ عَبْدَهُ أَمَتَهُ، ثُمَّ يُرِيدُ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَهُمَا»؟.

وفي السنن المأثورة للشافعي ص٤١٥ أنه «خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ(ﷺ) النَّاسَ، فَقَالَ: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ (عزوجل)، فَمَنِ اشْتَرَطَ شَرْطًا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَلَيْسَ لَهُ وَإِنِ اشْتَرَطَ مِائَةَ شَرْطٍ»!

وفي الطبقات الكبير لابن سعد» ١/ ٣٢٠: «أن نَفَرًا من أصحاب رسول الله،(ﷺ)، سألوا أزواج النّبيّ، عن عمله في السِّر فأخبروهم، فقال بعضهم: لا أتزوّج النِّساء، وقال بعضهم: لا آكلُ اللَّحم، وقال بعضهم: لا أنامُ على فِراش، وقال بعضهم: أصُومُ ولا =

ويقولـون كـذا.. وكأنّـه يتحدث عن أنـاس غائبين مـع أنهم بالفعـل حاضرون.

خامسًـا وأخيـرًا: فإنـي أنصح نفسـي أولاً بما سـبق ويأتي، وأنصـح من يقرأ هـذه السـطور مـن أهـل هـذا الصنـف بمطالعـة قصـص الخطبـاء الربانييـن، والمتحدثيـن الحسـينيين الذيـن قضوا أيـام حياتهم في الخدمة الحسـينية، ولم يتطلعـوا إلـى ثنـاء الناس فضلا عـن مراجعة أعـداد من يسـتمعون محاضراتهم ورثائهـم علـى اليوتيـوب! وفضلاً عـن التفكيـر في عـدد المعجبيـن بخطابته، فإنـه ينبغـي أن يكـون الأهـم عندهـم قبـول اللـه سـبحانه لعملهـم، وقبـول سـادتهم (محمـد وآلـه) إياهـم خدمـة مخلصيـن! جعلنـا اللـه وإياكـم منهـم، وحشـرنا وإياهـم في شـفاعة محمـد وآلـه الطاهرين.

= أُفطـر، فَحَمِـدَ اللـه النّبـيّ،(ﷺ)، وأثنـى عليـه ثمّ قـال: ما بالُ أقْـوام قالـوا كذا وكَـذا؟ لَكنِي أُصَلّـي وَأَنَـامُ وَأَصُـومُ وَأُفْطِـرُ وَأَتَـزَوّجُ النّسَـاءَ فَمَـنْ رَغِـبَ عَـنْ سُـنّتي فَلَيْسَ مِنـي.».. وغير ذلـك كثير.

بنية الخطاب والمنبر الحسيني

يلحظ المراقب للموسم الحسيني أن الخطاب والمنبر الحسيني له شخصيته المتفردة وبنيته الخاصة به، والتي لا يشبهها نحو آخر من أنحاء الخطابة، وحديثنا هنا ناظر إلى الخطاب باللغة العربية، فلم نطّلع على الخطاب الحسيني باللغات الأخر.

فلو نظرنا إلى خطب الجمعة[1] مثلا في مدرسة الخلفاء، لوجدنا لها بنية خاصة وطريقة معينة، يكاد يتبعها الجميع وحتى لو اختلفت في التفاصيل فإنها في البنية العامة متفقة.

فهي في العادة تبدأ بحمد الله سبحانه (ويتبعها عدد من الصفات الإلهية قد تستقى من آيات القرآن الكريم أو السنة النبوية، أو هي تأليف بينهما وبين ما يصوغه خطيب الجمعة من أفكار وصفات ترتبط بأسماء الله وصفاته).

وقد يكتفي البعض في ذكر الله بهذا المقدار بعد أن ابتدأ بالحمد، ولا يكتفي آخرون فيعطفون الكلام على الشهادة لله بالوحدانية؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له (ويذكر أيضا بعض صفات الله وأسمائه

(١) وقد تشابهها بعض مقدمات الكتب وما يسمى بخطبة الكتاب.

وقد يضمنها الخطيب ما يعتقده من أفكار ويؤمن به من عقائد، حتى وإن لم تأت في كتاب ولا سنة).[١]

ثم يذكر الشهادة لرسول الله المصطفى ويعدد بعض صفاته وأفعاله خصوصًا تلك التي تتناسب مع خطبة الخطيب فإن كانت حول الأخلاق أشار لأخلاق رسول الله وإن كانت عن العلم فيذكر علمه، وإن كانت عن العبادة فعنها وهكذا. وأحيانا يترك الصلاة مبتولة مبتورة عن الآل، بينما يأتي بها في نهاية الخطبة مقرونة بالآل والأزواج والأصحاب والتابعين إلى يوم الدين، وفي بعض الأحيان يتم ذكر الترضي على الخلفاء الأربعة والصحابة «العشرة المبشرين بأسمائهم».

ثم يوصي بتقوى الله، ويدخل في موضوع الحديث الذي أعدت الخطبة لأجله، فيستشهد بآيات القرآن أو أحاديث رسول الله أو سيرة المسلمين. ورأى البعض أنه لا بد أن يقول «أما بعد» لأنها سنة ثابتة عن النبي كما قالوا فلا يصح أن تترك! كما رأى بعضهم أن هذا الترتيب بالنحو الذي ذكرناه لازم ولا يصح تجاوزه بتقديم ما هو متأخر أو العكس.

ويلاحظ بعض الدارسين للخطب أنها في الغالب محكومة بالسجع في نهاية العبارات والترادف في الكلمات، باعتبار أن المأثور هو على هذا النهج.[٢]

---

(١) من ذلك ما قدمه ابن أبي الحديد في كتابه شرح نهج البلاغة ٣/١ من أنه يحمد الله الذي «قدم المفضول على الأفضل لمصلحة اقتضاها التكليف» ويعني بالمفضول (الخلفاء الثلاثة) والأفضل (أمير المؤمنين علي) انتصارًا لمذهبه والذي لا يوافقه عليه السنة غير المعتزلة ولا الشيعة.

(٢) للإطلاع بشكل مباشر على الكثير من الخطب يمكن البحث في الانترنت بعنوان خطب الجمعة المكتوبة، وبالطبع لا نستطيع إيراد نماذج منها هنا لدراستها لأن موضوعنا ليس فيها، وإنما بدأنا بالحديث عنها مقدمة للحديث عن بنية المنبر الحسيني.

وأما المنبر والخطاب الحسيني، فإن له بنيته المستقلة والمتفردة التي لا تشابهها بنية خطاب آخر.

وبالنسبة لما سبق من العصور وكيف كان يتم إحياء المجلس الحسيني، فقد تناول المرحوم آية الله شمس الدين في كتابه «ثورة الحسين في الوجدان الشعبي» الموضوع بشكل مفصل وأورد نماذج مما كان يقرأ في المجالس والمآتم الحسينية، وسجل ملاحظاته فيه، فليرجع إليه من أحب التفصيل.

وأما ما هو في عصرنا، وهو حتى الآن آخر ما وصل إليه المنبر والخطاب الحسيني من التطوير، فيمكن أن نجمله في العناوين التالية:

١/ ديباجة الخطاب الحسيني: ونعني بها المفتتح الذي يفتتح به الخطيب منبره ومجلسه.

والغالب فيها أنه يتلو بصوت مميز شجي، ولعله يشابه ما كان يشير إليه الإمام الصادق (عليه السلام) عندما قال لأبي هارون المكفوف، أن يقرأ «كما تقرأون؛ بالرقة»! فيتلو:

صلى الله عليك يا سيدي يا رسول الله وعلى أهل بيتك الطاهرين،

صلى الله عليك يا سيدي وابن سيدي ومولاي وابن مولاي يا أبا عبد الله الحسين،

ما خاب من تمسك بكم وأمن من لجأ إليكم، يا ليتنا كنا معكم فنفوز فوزًا عظيمًا.

وربما أضاف بعض الخطباء جملاً أُخر، نذكرها هنا كاملة:

بسم الله الرحمن الرحيم (باعتبار استحباب البسملة في الابتداء لكل أمر ذي بال)

صلى الله عليك يا رسول الله وعلى ابن عمك أمير المؤمنين وعلى أهل بيتك الطاهرين.

صلى الله عليك وعلى ابنتك الصدّيقة فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين.

صلى الله عليك يا سيدي وابن سيدي ومولاي وابن مولاي يا أبا عبد الله الحسين،

يا رحمة الله الواسعة ويا باب نجاة الأمة، يا غريب يا مظلوم كربلاء.

ما خاب من تمسك بكم وأمن من لجأ إليكم، يا ليتنا كنا معكم فنفوز فوزًا عظيمًا.

هذه الفقرات، أو بعضها المختصر، هو مما يميز الخطاب الحسيني، بحيث عندما يسمع المؤمن الموالي لأهل البيت (عليهم السلام) هذه الديباجة في مكان يعلم أنه يقام فيه مجلس حسيني. وهي «تتميز بأمرين هما:

١- تشمل فقرات خاصة بها تخرجها من أي مقدمة خطبة دينية أخرى.

٢- لا بد من تلاوتها بطور خاص وأسلوب معّين.

وفقرة المقدمة، من التطورّات الجديدة التي طرأت على المنبر الحسيني، حيث خلت الكتب الخطابية القديمة منها ولعل آخر ما وصل إلينا من تلك الكتب هو كتاب (المُنتخب) لفخر الدين الطريحي والذي يعرف (بالفخري) أيضاً».[١]

ولم يتسنّ لي معرفة الخطيب[٢] الذي رتّب هذه المقدمة والديباجة

(١) معهد سيد الشهداء للمنبر الحسيني: دروس في بناء المجلس الحسيني الكتروني منشور على موقع الحسنين https://alhassanain.org/arabic/?com.

(٢) قيل إنه الشيخ كاظم سبتي، وقيل غيره.

بهذا النحو، وهل هو واحد أو متعددون، ولكن أيًّا يكن فإنه قد سُدِّد وأُيِّد فليست هي مجرد كلمات تقال بل تحمل معاني مهمة، منها ما ولائي ومنها ما عقيدي.

فإنه بعد البسملة وهي التي يستحب الافتتاح بها في كل أمر مهم، يأتي ذكر الصلوات على رسول الله وأهل بيته الطاهرين، وهو أعظم الذكر، وورد فيه ما ورد من الفضل،(١) وتركيز اقتران الآل مع الأصل، والعترة مع النبي في الصلوات عليهم جميعًا دون سائر الخلق.

كما أن تخصيص الإمام الحسين (عليه السلام) بالصلاة مع أنه داخل في الآل والعترة، لما للحسين وتضحيته ومنبره من فضل على الخطيب والسامعين وصاحب المجلس، في إيصال الدين إليهم بصورته النقية، فأوجب هذا تخصيصه بالذكر، وبشيء من صفاته، حيث أنه رحمة الله الواسعة وأنه باب النجاة لهذه الأمة، وأنه صاحب المصيبة الراتبة، الغريب المظلوم في أرض كربلاء، وإن ذكره ليجعل القلوب تخشع، والأبدان تخضع وبالتالي تتهيأ للفقرة التالية للديباجة من ذكر القصيدة التي تؤرخ حادثة كربلاء.

وفي هذه المقدمة «الديباجة» تأتي فكرة عقيدية في غاية الأهمية، وتختصرها كلمات، وهي: «ما خاب من تمسك بكم وأمن من لجأ

---

(١) نقل المحدث القمي في كتابه سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار ٥/١٧٠؛ بعد ذكر آية الصلاة ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ الأحزاب:٥٦ وذكر جملة من الصلوات، بعض ما جاء عنهم في فضل الصلاة على محمد وآله، منها ما عن قرب الإسناد للحميري: عن أحدهما عليهما السّلام قال: أثقل ما يوضع في الميزان يوم القيامة الصلاة على محمّد وعلى أهل بيته. وما عن الخصال للصدوق، عن الصادق (عليه السلام) قال: ما من عمل أفضل يوم الجمعة من الصلاة على محمّد وآله، وما عن عيون أخبار الرضا للصدوق عن الرضا عليه السّلام: من لم يقدر على ما يكفّر به ذنوبه فليكثر من الصلاة على محمّد وآله فانّها تهدم الذنوب هدمًا..

إليكم» فهذا المعنى الذي طرقته عشرات الأحاديث عن رسول الله(ﷺ)، وعن المعصومين،[١] من أن أهل البيت هم سفن النجاة وأنهم حبل الله المتين، وأنهم العروة الوثقى التي من استمسك بها فقد نجى، وأن في منهاجهم الأمان.. هو نفسه اختصرته هذه المقدمة في عبارات تلغرافية سريعة، لكنها تنبئ عما بعدها.

وبعد هذه الفكرة العقيدية يردد الخطيب ومعه المستمع ويتمنى، أنه كان معهم ـ في موقعتهم تلك ـ إذن لفاز فوزًا عظيمًا.

وهذا التعليم هو من توصيات الإمام الرضا (عليه السلام) للريان بن شبيب في الحديث الطويل المعتبر والذي جاء في بعض فقراته: «إن سَرك أن يكون لك من الثواب مثل ما لمن استشهد مع الحسين بن علي (عليه السلام) فقل متى ذكرته: ليتني كنت معهم فأفوز فوزًا عظيمًا"[٢]وهو بدوره مرآة لحديث رسول الله(ﷺ) لجابر بن عبد الله الأنصاري، أن من أحب قومًا حشر معهم ومن أحب عمل قوم أشرك فيه.[٣]

---

(١) ومن أشهرها بين الفريقين حديث السفينة، والذي يوضح فيه نتيجة اتباعهم كما يوضح نتيجة التخلف عنه، وقد روي في كتب كثيرة بأسانيد صحيحة، وإن أصر بعض المتعصبين على أنه ضعيف بل قالوا إنه موضوع، وهذا طبيعي فإن ثبوته يعني تزلزلهم وصحته تعني سقم منهجهم فكيف يستطيعون تصحيحه، ففي المستدرك على الصحيحين ٣٧٣/٢ للحاكم النيشابوري بسنده إلى حنش الكناني قال: «سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ، يَقُولُ: وَهُوَ آخِذٌ بِبَابِ الْكَعْبَةِ: أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ عَرَفَنِي فَأَنَا مَنْ عَرَفْتُمْ، وَمَنْ أَنْكَرَنِي فَأَنَا أَبُو ذَرٍّ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ(ﷺ) يَقُولُ: «مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي مَثَلُ سَفِينَةِ نُوحٍ مَنْ رَكِبَهَا نَجَا، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ». قال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ» وأما في مصادر الإمامية عن المعصومين (عليهم السلام) فحدث ولن تبلغ الاستقصاء!

(٢) الشيخ الصدوق: عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ٢٦٩/١.

(٣) الطبري؛ محمد بن أبي القاسم: بشارة المصطفى ص ١٢٦.

كما جاء فقرة منه في مسند أحمد ١٩/ ٧١: وقد جاء أعرابي يسأل عن الساعة، فلما =

٢/ قصيدة الرثاء بعد المقدمة:

كما كانت ديباحة خطبة المنبر الحسيني متميزة بها عن سائر الخطب، فإن افتتاح الخطبة بقصيدة رثاء بصوت حزين، وبأطوار خاصة، بل بتدرج خاص يعلمه أهل هذا الفن،[1] وتدرسه المعاهد الخطابية الحسينية، هو مما تتميز به الخطابات والمنابر الحسينية.

فيقرأ الخطيب من قصائد الرثاء الشجية نفَسًا، والبليغة صياغة، والتامة وزنًا ما يناسب خطبة المجلس الحسيني، فقد تكون عامة لا ترتبط بمناسبة، وإنما هي تذكير لمصيبة الحسين وأهل بيته وأنصاره، وقد يكون المجلس خاصًا بأحد شهداء كربلاء كالعباس مثلا أو الأكبر، أو للأصحاب عموما، فينتخب من القصائد ما يناسب ذلك المجلس في الرثاء. أو قد يكون مجلسًا لشهادة الصديقة الزهراء أو أحد المعصومين فلا بد من انتخاب ما يناسب اسم ذلك المعصوم، وذكر القصيدة التي يرثى بها، أو يدخل فيها بعمومها.

وقد يكون المجلس في فاتحة أحد المرحومين فينتخب من القصائد تلك التي تتناول التزهيد في الدنيا، والوعظ بالموت، ولزوم الاستعداد للقائه، ثم تعطف على مصيبة الحسين في كربلاء.

*وينبغي أن نذكّر بالأثر المهم الذي أحدثه ويحدثه استماع قصائد الرثاء القوية في تشكيل الذائقة الأدبية لدى الكثير من شباب وشابات الشيعة،

= قضى النبي صلاته، قال: أين السائل عن الساعة؟ «قال: أنا يا رسول الله. قال: «وما أعددت لها؟ «قال: ما أعددت لها من كبير عمل، صلاة، ولا صيام، إلا أني أحب الله ورسوله. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «المرء مع من أحب» واختصره مسلم بن الحجاج في صحيحه ٤/ ٢٠٣٢.

(١) دروس في بناء المجلس الحسيني / ص ٤٣

وهـذا بالقطـع واليقيـن لا يحصـل فـي أي مجتمع آخر فـي المسـلمين، فضلا عـن غيرهم.

فـإن الشـاب الشـيعي لا يبلـغ الثلاثيـن مـن العمـر مثـلا حتـى يكـون قـد اسـتمع إلى مئات القصائد الشـعرية، ذات المسـتوى الأدبي والبلاغي العالي، لأسـاطين شـعراء العربية أمثال: الكميت الأسـدي، والسـيد الحميري، وسفيان بـن مصعـب العبـدي، ودعبل الخزاعـي، وابن العرنـدس، والشـريفين الرضي والمرتضـى، والسـيدين الحلييـن حيـدر وجعفـر، والشـيخ الكـواز، والكعبي، والدمسـتاني... وغيرهـم ممـن أبدعـوا فـي وصـف المصيبـة بقـدر مـا أبدعوا فـي رصـف الكلمـات المصيبـة للمعنـى. ولا يزال حبـل الحب والحـزن على جـرار الأدب ينتـج فـي كل يوم.

وقد كتب مؤلفون وأحسـنوا في جمع وشـرح قصائدهـم أمثال «أدب الطف للسـيد جـواد شـبر» وشـعراء الغـري والحلة وبغـداد للأسـتاذ علـي الخاقاني، والشـيخ محمـد باقـر الايراوانـي فـي كتابـه ديـوان شـعراء الحسـين. والشـيخ جعفـر الهلالـي، وحـذا حـذو مـن سـبقه المحقـق الكرباسـي، في موسـوعته دائـرة المعـارف الحسـينية فـي ترجمـة معجم الشـعراء في الحسـين(عليه السلام).

نقـول: يسـمع الشـاب الشـيعي والشـابة خـلال عشـر سـنوات مـن أوائـل شـبابه مئـات القصائـد البليغـة (بالفصحـى والعاميـة)، وفـي بعـض الأحيـان يحفـظ أقسـامًا منهـا لكثـرة مـا تـرددت علـى مسـامعه.

هـذا مـن جهـة ومـن جهـة أخرى فـإن ينبـوع الحـزن هـذا الـذي لا ينضب مَعينـه الـى الحـد الـذي تتحـدث عنـه الدكتـورة بنـت الشـاطئ فتقـول: «مـا أحسـب أن التاريـخ قـد عـرف حزنـاً كهذا طـال مداه حتى اسـتمر بضعة عشـر قرنـاً دون أن يفتـر فمراثـي شـهداء كربلاء هي الأناشـيد التـي يترنّم بها الشـيعة

في عيد حزنهم يوم عاشوراء في كل عام ويتحدّون الزمن أن يغيّبها في متاهة النسيان».[١] نعم! إن جمرة المصيبة التي لا تبرد حرارتها،[٢] تؤثر تأثيرًا كبيرًا في إذكاء الإحساس والتفاعل معها، فينتج هذان (استماع القصائد البليغة ووجود مشاعر الحزن الدائمة) في كل سنة شعراء متميزين، نلاحظ بعض شعرهم فنتعجب من قوته لا سيما وأن بعضهم لم يعرفوا من قبل في ميادين الشعر والأدب، وقصائدهم بالقياس إلى أعمارهم تعتبر متقدمة جدًّا.

وأظن أن هذا من الأمور التي لم تحظَ بدراسة وافية، في المجتمع الشيعي، ولو أتيح لبعض الباحثين أن يتعمدها بالدراسة لأنتج شيئًا حسنًا ومفيدًا.

٣/ الدخول في موضوع الخطاب الأساس:

بعد أن ينتهي خطيب المنبر الحسيني من إلقاء قصيدته بالطرق الحزينة الخاصة وبالأطوار المعروفة، ويتفاوت الخطباء هنا في قدرتهم على استدرار الدموع من المستمعين بحسب اختيار القصيدة الأكثر تأثيرًا، وبحسب جمال صوته وحزن نبرته، وقدرته على تصوير المصيبة الحسينية من خلال القصيدة التي يقرأها، يبدأ في بيان موضوعه، ويختلف هذا الموضوع بحسب اختلاف المناسبة الزمانية، والحضور المستمعين، وغير ذلك.

فقد يتحدث الخطيب في تفسير القرآن، ويختار آية ويفصل القول فيها.

---

(١) بنت الشاطئ؛ د. عائشة عبد الرحمن: آل النبي ص٧٦٥، وإنما ذكرناها هنا بالذات لأنها تنظر من الخارج، وفي بعض الأحيان يكون الناظر من الخارج أقدر على الملاحظة

(٢) البروجردي: جامع أحاديث الشيعة ١٢/ ٥٥٦، عن رسول الله(ﷺ) أنه قال: «إن لقتل الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد أبدا ثم قال (ﷺ) بأبي قتيل كل عبرة قيل: وما قتيل كل عبرة؟ يا بن رسول الله(ﷺ) قال لا يذكره مؤمن الا بكى."

وقد يبدأ بكلمة من كلمات رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) مثلاً في الأخلاق، أو بخطبة من نهج البلاغة لأمير المؤمنين (عليه السلام).

وقد يختار موضوعًا عقائديًّا، في البرهنة عليه كالنص على الأئمة مثلاً أو عصمتهم، أو في ردّ شبهة من الشبهات والتي قد يسربها بعض أعداء الدين. أو أنه يختار موضوعًا في السيرة والتاريخ، كسيرة المعصومين (عليهم السلام) وخاصة في ذكرى مناسباتهم (مواليد أو شهادات).

وربما رأى الخطيب أن هذه الجماعة تحتاج إلى موضوع أخلاقي، فيختار مفردة أخلاقية ويشرحها ويوجه إلى الالتزام بها.

وتبرز براعة الخطيب في الانتخاب المناسب للموضوع بحسب الزمان والمكان والمناسبة والحضور، فإنه ليس كل موضوع يكون مناسبًا في كل الأوضاع.. مع أنه قد يكون في ذاته موضوعا جيدًا، ولكن المناسبة لا تقتضيه أو الحضور.

كما تبرز أيضًا في عمق وغزارة المادة التي يعطيها للمستمع، فقد يتحدث اثنان في موضوع واحد ولكن يحلق بك أحدهما ويُسِف بك الآخر، وقد تكون نفس الآيات أو الروايات هي المستخدمة عند الاثنين، ولكن أحدهما يأخذ من نَهَر والآخر من وَشَل.

ومن أهم ما تبرز فيه براعة الخطيب طريقة عرضه للمعلومات، وهي في هذا تشبه بعض البقالات، فقد يكون هناك كل ما تحتاج إليه من مواد وتسوق لكنك لا تستطيع أنت ولا غيرك الوصول إليها، وإنما يعرف هو فقط كيفية الوصول إليها، وفي مقابل ذلك تجد متجرًا مرتبًا، يعرف كل أحد كيف يصل إلى المواد ويقتنيها بسهولة.

إن بعض المتكلمين والخطباء تراه يلف ويدور، ويتقدم ويتراجع، ويصعد وينزل، والمستمع عبثًا يحاول أن يفهم فكرته، فلا يجد إلا كلمات متقاطعة، ولا سيما إذا ضم إلى تلك «الفوضى غير الخلاقة» بعض الكلمات غير المفهومة لعامة المستمعين. فهناك يصبح مثال البقالة التي لا يعرف أماكن المواد فيها غير عامل البقالة وأما سائر الناس فلا تستطيع.

وترى الكثير بحمد الله وفضله، يصل إلى غرضه بسهولة، ويوصل فكرته إلى المستمع، بل ويمتعه بكيفية إيصالها السلس السهل إليه، فيوفر عليه كثيرا من الجهد الفكري، ويجذبه من فكرة إلى فكرة ومن فقرة إلى فقرة، حتى ليكاد المجلس أن ينتهي وهو لا يزال يتطلع للمزيد.

٤/ التخلص والكوريز:[١]

التخلص وبحسب التعبير المتداول في المجالس وبين روادها والخطباء، «الكوريز» بمعنى الانتقال السلس من الموضوع إلى المصيبة، ومن كون الخطيب في حالة حماس إلى دمعة على ما حصل في كربلاء، ومن موضوع أخلاقي مثلا إلى حزن تقتضيه المصيبة. هذا من مميزات الخطابة الحسينية بحيث لا تجد له مثيلا في سائر الخطابات، بعكس النقطة الثالثة التي قد تشارك فيها سائر الخطابات الخطابَ الحسيني والمنبرَ.

إن هذه الطريقة لا يعرفها إلا من يعرف الخطابة الحسينية.[٢] أو لاحظ

(١) الكوريز؛ وتقرأ الكاف فيها بطريقة الجيم المصرية، لها عدة معان في اللغة الفارسية؛ التخلص، والهرب، والنجاة.. وأنسب المعاني لها هنا هو التخلص.

(٢) وقد نقل مؤلف كتاب دروس في بناء المجلس الحسيني ص ١١١عن ماضي النجف وحاضرها للشيخ جعفر محبوبة؛ أن أول خطيب حسيني أخترع أسلوب التخلّص في المنبر الحسيني، كان الخطيب المشهور الشيخ كاظم سبتي رحمه الله .

الخطباء الحسينيين، وهي ضرورية للغاية لما سيأتي من أن قوام المجلس الحسيني لكي يكون كذلك هو بدايته والقصيدة الرثائية، ونهايته وذكر جزء من مصيبة الحسين أو مشهد من مشاهد الفاجعة، والطريق إلى ذلك هو الانفصال التدريجي عن الموضوع (العلمي والنظري وهو محل البحث من الخطيب) والتمهيد عبر كلمات أو فكرة للانتقال إلى المصيبة فيذكر المصيبة ويقرأ الرثاء، وينهي بذلك المجلس. وسنأتي في النقطة الخامسة على ذكر هذه الفقرة، وإنما كنا بصدد توضيح ما يسمى بالكوريز، والتخلص أو الانتقال من قسم إلى آخر.

إن بيئة الرثاء والتعزية وذكر المصيبة تقتضي أن يمارس الخطيب أقصى ما يستطيع من الفن في إبكاء المستمع، ومن المعلوم أن المستمع ليس آلة حتى تضغط فيها على زر الدموع فتنزل، وإنما هو إنسان صاحب مشاعر وعواطف فمتى استطاع الخطيب أن يحرك مشاعره برقة الصوت، وبإحداث بعض الصور المؤثرة في سمعه واستجاب قلبه لذلك فإنه سيخشع وبالتبع تستجيب عينه لتريق دمعتها.

وتتفاوت قدرات الخطباء في هذه الجهة، فبينما يستطيع البعض أن يحرك المجلس تمامًا ويهز حاضريه بجودة الانتقال وقوة الكوريز ثم إحسان التعبير عن المصيبة، وإتقان الصوت، فيرغب المستمع في خطابة هذا الخطيب، بل إن قسما من الناس يقصدون خطيبًا معينًا لأجل هذه الجهة في منبره وخطابه. نجد في المقابل خطيبًا آخر لا يستطيع أن يقوم بما ذكر فيكون مجلسه من هذه الجهة عاديًّا.

وللحصول على مزيد من التفاصيل والأمثلة أنصح بمراجعة الكتاب المذكور «دروس في بناء المجلس الحسيني» فقد أودع فيه ما ينفع الطالب.

٥/ الختام بالرثاء وذكر المصيبة:

كما أشرنا قبل قليل إلى أن شخصية خطاب المنبر الحسيني تتقوم بذكر مصيبة الحسين وأهل بيته وأنصاره، وبه يختلف عن سائر الخطابات، حتى في الدائرة الشيعية، فقد يلقي شخص موضوعًا في ندوة أو مسجد، ثم يلقيه في مجلس مع مقدمته وقصيدته، وتخلّصِه ويختمه بالرثاء والمصيبة، فيعد هذا الثاني مجلسًا حسينيًّا دون الأول. بل ربما لو لم يلق موضوعًا مفصلاً، واكتفى بذكر القصيدة في المقدمة والرثاء في الأخير فإنه يعتبر مجلسًا حسينيًّا.

ونحن هنا نحذر من بعض الدعوات الساذجة التي تذهب إلى تقليل جانب الرثاء، والمصيبة، والاقتصار على إشارة عابرة إلى ما حدث في كربلاء، من دون تفصيل وقائع المصيبة أو قراءة الشعر المناسب لها إن كان فصيحًا أو شعبيًّا، بزعم التحديث والتطوير.

ونعتقد أن بعض هذه الدعوات هي تخريب للمجلس والمنبر الحسيني، وإن كنا لا نتهم أصحابها بالضرورة، بل قد يكون ذلك سذاجة من هؤلاء، واغترارًا بما يلقيه بعض الأشخاص المسكونين بجنّ الحداثة وجنونها!

ونرى أن الشيء الأساس الذي أبقى هذه المجالس هو حرارة مصيبتها، وعمق عواطفها، وقوة صرختها.[1]

---

(١) الكليني: الكافي ٥٨٣/٤؛ عن معاوية بن وهب أنه دخل على الإمام الصادق (عليه السلام) وهو ساجد فوجده يدعو لزوار قبر الحسين (عليه السلام)، في دعاء طويل جاء فيه «اللهم...وارحم تلك الخدود التي تقلبت على حفرة أبي عبد الله (عليه السلام) وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمة لنا وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا وارحم الصرخة التي كانت لنا، اللهم إني أستودعك تلك الأنفس وتلك الأبدان حتى نوافيهم على الحوض يوم العطش ".

والـذي يهـوّن الخطـب فـي هـذه الدعـوات أنـه لا الخطيـب يسـمعها لأسـباب مختلفـة، ولا المسـتمع يتفاعـل معهـا، وإنمـا هـي تـدور فـي دائـرة نفـس الأشـخاص الذيـن يُسـمع بعضهـم بعضًا مـن غيـر أن يكون لهـم طريق لا لخطيـب المنبـر ولا للمسـتمعين! وربمـا وعلى أثر وجود وسـائل التواصل وامتـلاك هـؤلاء لهـا، تسـمع بالضجيـج ولا تـرى أثـر الطحيـن!

ولذلـك فمـا أن يهـل هـلال محـرم حتـى تتنافـس المجالـس والخطبـاء والقنـوات التلفزيونيـة الشـيعية فـي اسـتقطاب مـا هـو أكثـر حـرارة ومأسـاة، وتـرى عامـة النـاس يقصـدون نفس القصـد، ويتحركـون ضمن نفـس الحركة.

نعـم فـي الغالـب أن الخطيـب عندمـا يتخلـص مـن موضوعـه الـذي يلقيه إلـى بوابـة كربلاء، محكومًـا من خلال كوريـزه بالمصيبـة المتناسـبة معه، فإنه يذكـر تفاصيـل تلـك المصيبـة وصفًـا منثـورًا، ثـم يعقبه بشـعر مناسـب لذلك الوصـف قـد يكـون فصيحًـا أو شـعبيًّا، وقـد يسـتخدم الخطيب أكثـر من طور مـن الأطـوار وينوع فيهـا لعلمه بأن بعـض المسـتمعين قد يتجـاوب مع الطور الأول، وبعضهـم الآخـر مـع طور ثـان وهكذا!

وبهـذا القسـم الأخيـر ينتهـي المجلـس الحسـيني، ليعقبـه بالدعـاء العـام والدعـاء للسـامعين، ولصاحـب المجلـس المقيـم لـه.

الأحاديث وتعظيم المصاب الحسيني

١/ نعتقد نحن الإمامية أن المعصومين (عليهم السلام) قد أكرمهم الله بكرامة من ضمن كرامات كثيرة وهي أنهم وهم (عند ربهم يرزقون) يسمعون الكلام، وينظرون إلى الأعمال وهم شهداء على الخلق، وبالتالي فإنه لا تحدهم الحدود المادية التي يفرضها البدن والجسم، وهذا ثابت أولاً لسيدهم رسول الله(صلى الله عليه وآله)، ثم لعليٍّ أمير المؤمنين (عليه السلام) ولفاطمة الزهراء وباقي المعصومين، وأقرب الطرق للاستدلال على هذا، بعد ثبوته بالروايات الكثيرة المتظافرة، هو أن هذا في الجملة ثابت للشهداء بما نص عليه القرآن الكريم، من أن الشهداء أحياء، وأنهم يرزقون، وأنهم فرحون مسرورون، وأنهم يراقبون من بعدهم مستبشرين بمن سار على منهاجهم، وبالجملة فهم شهداء على الخلق.[1] ولا ريب أن رسول الله(صلى الله عليه وآله) والعترة أفضل من الشهداء، ومنهم أيضا شهداء بالمعنى الخاص. فإذا ثبت لغيرهم ثبت لهم بالمساواة بل بالأولوية.

---

(١) آل عمران ١٦٩- ١٧١: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (*) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (*) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

ويؤيده ما جاء في تفسير الآية المباركة ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ، وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.[١] فإن «بين أتباع مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، ونتيجة للأخبار الكثيرة الواردة عن الأئمة (عليهم السلام)، عقيدة معروفة ومشهورة، وهي أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة (عليهم السلام) يطلعون على أعمال كل الأمة، أي أن الله تعالى يعرض أعمالها بطرق خاصة عليهم.

إن الروايات الواردة في هذا الباب كثيرة جدًّا، وربما بلغت حد التواتر».[٢]

ويشير إلى خصوص تلك المراتب ما ورد من أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يسمع ـ بعد وفاته ـ من يكون قريبًا أو بعيدًا منه، ويدل عليه روايات معتبرة منها صحيحة عامر بن عبد الله، قال: قلت لأبي عبد الله (الصادق) (عليه السلام): اني زدت جمالي دينارين أو ثلاث، على أن يمر بي إلى المدينة، فقال: قد أحسنت ما أيسر هذا! تأتي قبر رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وتسلم عليه، أما إنّه يسمعك من قريب ويبلغه عنك من بعيد.».[٣]

وقد ثبت هذا الأمر لفاطمة الزهراء (عليها السلام) في أنها تنظر إلى زوار قبر ابنها الحسين (عليه السلام)، فعن داوود بن كثيّر عن أبي عبد اللَّه الصادق (عليه السلام) : «إنَّ فاطِمَةَ بِنتَ مُحَمَّدٍ(صلى الله عليه وآله وسلم) تَحضُرُ لِزُوّارِ قَبرِ ابنِهَا الحُسَينِ (عليه السلام)، فَتَستَغفِرُ لَهُم ذُنوبَهُم».[٤]

---

(١) التوبة:١٠٥.

(٢) الشيرازي؛ ناصر مكارم: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ٦/ ٢٠٧.

(٣) ابن قولويه: كامل الزيارات ص ٤٣.

(٤) المصدر نفسه ص ٢٣١. لا يقال؛ إن الرواية لجهة الإرسال فيها لا تكون حجة، فإنه بعدما قدمنا من كون علم المعصومين (عليهم السلام) بأعمال المؤمنين من العقائد التي دلت عليها الروايات المتواترة، فلا معنى للتوقف في هذه الرواية أو تلك. أو هذا التفصيل أو ذاك.

وأوضح منه وفي خصوص الإمام الحسين (عليه السلام)، ما ذكره شيخ الطائفة الطوسي في كتابه الأمالي عن محمد بن مسلم، قال: سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد (عليهما السلام) يقول: إن الحسين بن علي (عليهما السلام) عند ربه (عزوجل) ينظر إلى موضع معسكره، ومن حله من الشهداء معه، وينظر إلى زواره وهو أعرف بحالهم وبأسمائهم وأسماء آبائهم، وبدرجاتهم ومنزلتهم عند الله (عزوجل) من أحدكم بولده، وإنه ليرى من يبكيه فيستغفر له ويسأل آباءه (عليهم السلام) أن يستغفروا له، ويقول: لو يعلم زائري ما أعد الله له لكان فرحه أكثر من جزعه، وإن زائره لينقلب وما عليه من ذنب»[1] وكأن هذه الرواية هي الشرح التفصيلي للآية السابقة من سورة التوبة في أحوال الشهداء وكيف أنهم ينظرون ويراقبون ويستبشرون!

وبناء عليه فالروايات بعد الآية بل الآيات المباركات، تشير إلى حقيقة معرفة المعصومين بزائرهم والباكي عليهم والمنفق في سبيلهم وأنهم يسمعون كلام زوارهم[2] ويردون (عليهم السلام).[3]

ومن خلال ما تقدم فلا نحتاج إلى عناء كبير في إثبات حضورهم (عليهم السلام) في مجالس الحسين، فإنه يشابه في الجملة حضور المعصومين (عليهم السلام)

(١) الطوسي: الأمالي ص ٥٥.

(٢) ورد ذلك في كثير من الزيارات المروية وقد ذكر الشريف المرتضى في تفسيره نفائس التأويل ٢/ ٣٢ اتفاق الطائفة على ذلك فقال «اتّفقت الطائفة (حرسها اللّه)عليه بأن المُسلّم عند قبورهم مسموع الكلام مردود عليه الجواب، ولذلك يقولون عند زياراتهم أشهد أنك تسمع كلامي وترد جوابي».

(٣) اعتقاد اتباع مدرسة الخلفاء بأنه ما من أحد يسلم على النبي أو يصلي عليه إلا رد الله عليه روحه فرد (عليه السلام)، التزاما بما ورد عن أبي هريرة كما في سنن أبي داود ٢/ ٢١٨ :» أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ(صلى الله عليه وآله) قَالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عليه السلام» ولا يحتاج الإمامية إلى هذا التفسير والتوجيه الذي لا ينهي الإشكال، وإنما ينتهي بما قلناه أعلاه.

للمحتضَر المؤمن، والذي دلت عليه روايات كثيرة حتى بات أشبه بالمتواتر معنى وإجمالا.

وقد ذكرنا في ذلك الموضع[١] ما قاله العلماء في تفسير هذا الحضور.

وهناك قد تعددت أقوال العلماء فالشريف المرتضى قال إن حضورهم هو بمعنى وجود فائدة ولايتهم والتمسك بهم، وأن المؤمن يجد منفعة ذلك، وهو يشبه ما جاء في الآية المباركة التي تتحدث عن أن الناس - بمختلف فئاتهم - يجدون ما عملوا حاضرًا، فالمجرم يجد ما يسوؤه، والمؤمن يجد ما يسره و«أنه يعلم في تلك الحال ثمرة ولايته (عليه السلام) وانحرافه عنه، لأن المحتضر قد روي أنه إذا عاين الموت وقاربه، أري في تلك الحال ما يدله على أنه من أهل الجنة أو من أهل النار.

وإنما اخترنا هذا التأويل، لأن أمير المؤمنين (عليه السلام) جسم، فكيف يشاهده كل محتضر، والجسم لا يجوز أن يكون في الحال الواحدة في جهات مختلفة».[٢]

إلا أن الرأي الذي استقر عليه العلماء هو ما ذهب إليه غيره تارة، من أنهم يحضرون بأجسامهم المثالية، وهي لا تحد بحدود البدن والمادة، وهي في حركتها وحضورها أشبه بالروح التي لا تعرف الحواجز ولا تنحبس في البدن أو تعيقها المسافات. ومع ملاحظة نصوص الروايات تلك، والتي ظاهرها حضور المعصومين لا حضور ثمرة ولايتهم، كما في رواية «ما يموت موال لنا مبغض لأعدائنا إلا ويحضره رسول الله(صلى الله عليه وآله)

(١) سلسلة العالم الباقي؛ محاضرات شهر رمضان المبارك ١٤٤٥ هـ. وهي موجودة على اليوتيوب.

(٢) الشريف المرتضى؛ محمد بن الحسين الموسوي: رسائل المرتضى ١٣٣/٣.

وأمير المؤمنين والحسن والحسين (عليهم السلام) فيسرونه ويبشرونه»[١].

وقد عقد العلامة المجلسي في البحار بابا أورد فيه (٥٦) حديثًا، منها ما عن أبي بكر الحضرمي، عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام): إذا بلغت نفس أحدكم هذه قيل له: أما ما كنت تحزن من هم الدنيا وحزنها فقد أمنت منه، ويقال له: أمامك رسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام)».[٢]وذكر في نهاية ذلك الباب بعنوان تذييل ما خلاصته: أن حضور النبي(صلى الله عليه وآله) والأئمة صلوات الله عليهم عند الموت مما قد ورد به الأخبار المستفيضة، وإن إنكاره لمجرد الاستبعاد ليس صحيحًا. وردّ كلام الشريف المرتضى من غير أن يسميه، بأن عدم رؤيتهم لدى الموتى لا يلازم عدم وجودهم فقد يحجبهم الله عن أبصارنا لمصلحةٍ. وأنّه يمكن أن يكون حضورهم بجسد مثالي لطيف لا يراه غير المحتضر، كحضور ملك الموت وأعوانه..».[٣]

٢/ اشتهر بين الذاكرين والخطباء في ديباجة حديثهم؛ السلام عليك يا قتيل (يا صريع) العبرة الساكبة، وصاحب المصيبة الراتبة.

وقد يتصور البعض أن هذا من التعابير الأدبية التي ابتكرها الذاكرون أو الخطباء، لكن المتأمل الفاحص يجد أنها مما ورد في روايات المعصومين (عليهم السلام)، وسنعرض إلى ذكر بعض هذه الروايات ثم نشير إلى معناها.

فقد ذكر الشيخ الصدوق في كتابه الأمالي، أن هذا التعبير قد ورد على لسان الإمام الحسين (عليه السلام) نفسه، وذلك فيما رواه بسنده عن أبي بصير

---

(١) القمي، علي بن إبراهيم: تفسير القمي ٢٦٥/٢. بسند معتبر عن الإمام الصادق (عليه السلام).

(٢) المجلسي: بحار الأنوار ١٨٤/٦.

(٣) المصدر نفسه ٢٠١.

عـن الإمـام الصـادق (عليه السلام)، عـن آبائـه قـال: «قـال أبـو عبد اللـه الحسـين بن علـي (عليهما السلام): أنـا قتيـل العَبـرة، لا يذكرنـي مؤمن إلا اسـتعبر».[١]

وفـي روايـة أخرى، عبِّـر عن الحسـين (عليه السلام) بأنـه «عَبرة كل مؤمـن»، وذلك فيمـا جـاء عن أبـي عمارة المنشـد، قال: مـا ذكر الحسـين (عليه السلام) عنـد أبي عبد اللـه (عليه السلام) فـي يـوم قـط فرئـي أبو عبـد الله (عليه السلام) متبسِـمًا فـي ذلك اليـوم إلى الليـل، وكان (عليه السلام) يقول: «الحسـين (عليه السلام) عَبـرة كل مؤمن».[٢]

وتكتسـب هـذه الأحاديـث وهي كثيـرة[٣] أهميتهـا من عدة جهـات؛ القائل، وزمان القـول، ومعناه.

أمـا القائـل؛ فهـو سـيد الشـهداء الإمـام الحسـين (عليه السلام)، فإن هـذه الروايات فـي الغالـب عـن الإمـام أبي عبـد الله جعفـر بن محمـد الصـادق (عليه السلام)، وهو

---

(١) الصـدوق: الأمالـي ص ٢٠٠. وقـد جـاءت هـذه الرواية فـي كتب متعـددة ككامـل الزيارات وعـن رواة متعددين وبنفـس النـص، فمـن ذلك أنهـا رويت عن أبـي بصير، وعن إسـماعيل بـن جابـر وعـن هـارون بـن خارجـة، وفـي بعضها جـاء مختصـرا بحـدود: أنـا قتيـل العبرة، بينمـا فـي بعضهـا الآخـر مـع تفاصيـل مثلمـا عـن «هـارون بـن خارجـة.. كنـا عنـده فذكرنا الحسـين (عليه السلام)، فبكـى أبـو عبـد اللـه الصـادق (عليه السلام) وبكينـا، قال: ثـم رفع رأسـه، وقال..» وفـي نقـل رابـع فـإن شـرح الحديـث قـد اختلـف وجاء فيـه كما عـن هـارون بـن خارجة «: قـال الحسـين (عليه السلام): انـا قتيـل العبـرة قتلـت مكروبا وحقيـق علـي ان لا يأتينـي مكروب قط الا رده اللـه واقلبـه إلـى أهلـه مسـرورا». وتعـدد الـرواة والصياغـات يشـير إلـى أحـد أمرين فإمـا أن يكـون هـؤلاء جميعا فـي مجلس واحـد، وذكر الإمـام الصـادق هذا الحديـث فنقله كل واحـد منهـم إلـى رواتـه، أو يكـون الإمـام قد كـرر هـذا الحديث علـى سـمع كل واحد منهم !

(٢) ابـن قولويه: كامل الزيارات ص ٢١٤.

(٣) ومنهـا مـا ورد بصيغـة الدعـاء: كما فـي الملاحم لابن المنـادي، ص ٢٦٨: خرج إلى القاسـم بـن العـلاء الهمدانـي وكيـل أبـي محمّـد العسـكري (عليه السلام)أنّ مولانـا الحسـين (عليه السلام)ولـد يوم الخميـس لثـلاث خلـون من شـعبان، فصـم وادع فيه بهـذا الدعـاء: «اللّهمّ إنّي أسـألك بحقّ المولـود فـي هذا اليـوم... قتيـل العبرة..

ينقلها عن آبائه عن الإمام الحسين! وقد قلنا في موضع آخر أن نسبة الإمام القول إلى آبائه، قد يكون لأجل أن المخاطَب والسامع قد لا يعترف بإمامة الصادق (عليه السلام) ويتعامل معه على أنه راوٍ من الرواة عن آبائه عن رسول الله أو أمير المؤمنين.. فينسب الإمام القول إليهما أو إلى أحدهما جريًا على ما في نفس ذلك السامع.

وقد يكون السامع ممن يعترف بإمامة الإمام الصادق (عليه السلام)، ويرى حجية كلامه ككلام رسول الله وأمير المؤمنين، وفي هذه الحالة يكون الإمام قد نسب الحديث ومضمونه إلى آبائه ونقله عنهم للتأكيد على أهمية هذا المضمون وأنه تناقله آباؤه واحدًا بعد الآخر.

وبناءً على هذا فبالنظر إلى الرواة الذين نقلوا هذه الأحاديث نجدهم أنهم إماميون بل من علية الأصحاب، فلا يكون الاحتمال الأول قائما وإنما الثاني هو المتعين.. وهذا يضيف أهمية خاصة لها.

وأما زمن القول: فإن هذه الأحاديث قد قالها الإمام الحسين (عليه السلام) كما روى الإمام الصادق (عليه السلام) في أيام حياته وقبل أن تحدث واقعة كربلاء، وفي بعضها أن والده أمير المؤمنين (عليه السلام) خاطبه بهذا الخطاب[1] ومعنى هذا استباق الحدث، وإعداد من يسمع للبكاء والدمعة والعبرة. وهو في هذا يشابه ما نقل عن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) من أنه بكى على سبطه الحسين (عليه السلام) من أيام ولادته، وفيما بعد ذلك، وأخبر بعض نسائه وأصحابه، وعقد المأتم لأجله، وقد مر شيء من ذلك عند الحديث عن تاريخ المأتم والمنبر الحسيني.

---

(١) ابن قولويه: كامل الزيارات ص ٢١٤.. عن أبي عبد الله (الصادق) (عليه السلام)، قال: نظر أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى الحسين فقال: يا عبرة كل مؤمن، فقال: أنا يا أبتاه، قال: نعم يا بني !

وأما المعنى: فمن الواضح أن هذا التركيب متفرد، ولا نجده في أي شخصية أخرى لا في المعصومين ولا غيرهم، وهي في لفظيه أو ألفاظه ينتهي إلى: قتيل العبرة، أو عبرة كل مؤمن.

وتركيب الجملة الخبرية من المبتدأ والخبر، يفيد فيما يفيد: إثبات الخبر للمبتدأ بصدق في ما إذا كان القائل صادقًا وأوضح منه في ما إذا كان معصومًا.

بل قد يفيد في بعض الأحيان قصر الخبر على المبتدأ، وانحصار المبتدأ في الخبر، كما هو في الأحاديث المذكورة، فإن الحسين (عليه السلام)، هو شهيد الله، وقتيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقربان بقاء الدين.. وسائر الجهات التي لا تحد، ولكن الأحاديث تلك قصرته على العبرة، والدمعة وجعلته قتيل العبرة. بل إنه العبرة نفسها، في «الحسين عبرة كل مؤمن». والذي قد يعني أنه من لم يكن الحسين عبرته، ولم تكن عبرته في الحسين فلا إيمان له، ولو بالإيمان الكامل.

ومع تعدد الجهات في شخصيته سلام الله عليه، إلا أنه نُسب إلى العبرة والبكاء، وهذا ما أشار إليه العلامة المجلسي رحمه الله في البحار فقال شارحًا الحديث «قوله: «أنا قتيل العبرة» أي قتيل منسوب إلى العبرة والبكاء، وسبب لها..».[1]

إن ذلك مما يؤكد على دور الجانب العاطفي، والبكاء، وعظمة أجر الدمعة على الإمام الحسين (عليه السلام)، ويفسر بل يفسره ما ورد من أن الأنبياء(عليهم السلام) بكوا الحسين وسالت دموعهم عليه، ونستذكر هنا قصيدة الشاعر الشيخ صالح الكواز فقد أبدع في ذكر ذلك تأريخًا وتشبيهًا:

---

(١) المجلسي: بحار الأنوار ٤٤/ ٢٧٩.

كفى بيومك حزنا أنه بكيت ... له النبيون قدما قبل أن يقعا
بكاك آدم حزنا يوم توبته ... وكنت نورا بساق العرش قد سطعا
ونوح أبكيته شجوا وقلّ - بأن ... يبكي بدمع حكى طوفانه دُفعا
ونار فقدك في قلب الخليل بها ... نيران نمرود عنه الله قد دَفعا
كلَمت قلب كليم الله فانبجست ... عيناه دمعًا دمًا كالغيث منهمِعا
ولو رآك بأرض الطف منفردا ... عيسى لما اختار أن ينجو ويرتفعا[1]

وما ورد في أحاديث المعصومين عن أن البكاء على الحسين يغفر الذنوب العظام، وأنه بكى عليه الملائكة في السماوات وما يُرَى وما لا يرى. [٢]

ومن هنا نعتقد أن ما يُروَّج له من أن المجدي هو الدروس المستفادة من ثورة الحسين (عليه السلام) دون البكاء عليه، وأن المهم هو العِبرة (بكسر العين) لا العَبرة بفتحها، هو خاطئ وقد يكون ناشئا من أحد أمور:

أ/ شبهة أن البكاء لا يناسب الرجال، وإنما هو شأن النساء! أما الرجال فلا يبكون.

ب/ شبهة ان الحسين في الجنة فلماذا نبكي عليه، بل المفروض أن نفرح بشهادته بدل أن نسيل الدموع عليه.

---

(١) شبر؛ السيد جواد: أدب الطف أو شعراء الحسين (عليه السلام) ٧/ ٢٢٧.

(٢) ويكفي في ذلك ما ذكره الشيخ الأقدم جعفر بن محمد بن قولويه في كامل الزيارات ص ٢٠١ بسند معتبر إلى أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال: «كان علي بن الحسين (عليه السلام) يقول: أيما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين بن علي (عليه السلام) دمعة حتى تسيل على خده بوأه الله بها في الجنة غرفا يسكنها أحقابًا، وأيما مؤمن دمعت عيناه حتى تسيل على خده فينا لأذىً مسّنا من عدونا في الدنيا بوأه الله بها في الجنة مبوأ صدق، وأيما مؤمن مسّه أذى فينا فدمعت عيناه حتى تسيل على خده من مضاضة ما أوذي فينا صرف الله، عن وجهه الأذى وآمنه يوم القيامة من سخطه والنار».

ج/ أن البكاء قد يكون فيه خطر؛ أن نستبدل العمل والرفض الثوري للظالم بالبكاء على الحسين واللطم على الماضي وما حدث في التاريخ! فنترك الحاضر وننشغل بالماضي.

أما الشبهة الأولى؛ فنعتقد أن بيئة نشوئها بيئة صحراوية قاسية، وهي تتناسب مع بعض المذاهب والأفكار التي تتناسب مع هذه البيئة، فإذا كانت ترفض البكاء بالكامل، فهذا يعني أن البكاء من خشية الله لا يناسب الرجال! وأن البكاء على فقد الولد والوالدين والأحباب أيضا لا يناسب الرجل، بل لكي يكون رجلا كاملا في رأيهم لا بد أن لا يبكي لا من خشية الله ولا على أي من هؤلاء.. إن الرجل الكامل عندهم هو حجري الأحاسيس، لا يمتلك قلبًا فيه العاطفة! وبناء على هذا الفهم الصحراوي فقد «عاب» بعض الأصحاب على رسول الله !! أن يبكي ابنه إبراهيم! بل إن بعض هؤلاء قد ضرب النساء لما بكوا على رقية بنت رسول الله!

فإذا كان أصحاب هذه الشبهة يعيبون رسول الله في بكائه، فليقتدوا بمن اعترض على رسول الله(ﷺ)، وليتركوا لنا الاقتداء به.

وأما الشبهة الثانية: فهي تكتيك يستخدمه مخالفو المذهب والعزاء، للخداع فهم لا يريدون أن يقولوا اتركوا الحزن على الإمام الحسين (عليه السلام)، وافرحوا بمقتله تماما مثلما صنع بنو أمية والتابعون لهم، حيث تبركوا بهذا اليوم واتخذوه عيدا فيه الفرح ولبس الزينة وتوزيع الحلويات والتوسعة على العيال، ولا تزال بعض المجتمعات المسلمة تقوم بهذه الأعمال حتى لو لم تربطها بالفرح على قتل الحسين.[1]

(١) تعرضنا لتفصيل ذلك في المجتمعات المسلمة في كتابنا (أنا الحسين بن علي) وذكرنا هناك أنه من وسائلهم في تغييب القضية الحسينية ونفيها من ذاكرة الأمة.

فهم بدلا من ذلك، يقولون الحسين في الجنة فلا بد أن نفرح بذلك ولا نحزن عليه! ولا نبكيه! وفي هذا الكلام تخطئة الأنبياء والمرسلين وسيدهم رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وعليهم، وقد ذكرنا فيما سبق أن الأنبياء بكوه، وسيد الأنبياء أقام المأتم عليه[1] قبل حدوث الواقعة، فإذن.. كل ذلك سيكون خاطئًا وهنا نقول إذا كان كل أولئك الأنبياء ومعهم رسول الله قد أخطأوا فيه فنعم الخطأ هو ونحن نصر على اتباعه فيما زعمه أصحاب هذه الشبهة من كونه خطأ، بهذا يكون شيعة أهل البيت (عليهم السلام)، أتباع الأنبياء والنبي المصطفى، ودع غيرهم يتبعون من شاؤوا.

ويظهر أن هذه الشبهة ليست جديدة فقد ذكرها بعضهم وأجيب عليها شعرًا ونثرًا.[2]

وأما الشبهة الثالثة: فقد يذكرها بعض من يصنفون على مذهب أهل البيت، ومع افتراض سلامة النية فيهم، فلا ريب أنها نظرة من جانب واحد وهي غير صحيحة. وذلك أننا نتساءل ما هو وجه التخالف بين الحالة الثورية وبين البكاء على الحسين؟ وأي علاقة تضاد أو تناقض بين الأمرين؟ إننا نجد سيرة العلماء الثائرين والمجاهدين قائمة من جهة على الجهاد والعطاء إلى حدود القتال، وفي نفس الوقت نجد بكاءهم على

(١) قد مرّ في الصفحات الأولى من هذا الكتاب ذكر بعض الشواهد على إقامة رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وأمير المؤمنين المأتم والبكاء على الحسين. فليراجع.

(٢) فارجع إلى قصيدة المرحوم آية الله السيد محمد جمال الهاشمي، والتي يصور فيها محاورة بعضهم إياه عن أنه لا ينبغي إقامة مأتم الأحزان على الإمام الحسين بمقدار ما ينبغي الفرح لأجل شهادته، ودخوله الجنة!

ومستهزئ بالحزن عاثت بقلبه ... أضاليل آراء إلى الجهل تنتمي
يجادلني في مأتم السبط قائلًا ... من الظلم أن يحيا الحسين بمأتم
ولو قبل الجمهور قولي جعلت ... من محرم للأفراح أفضل موسم..

الحسين كثيرًا وعبرتهم فيه ساخنة، ودموعهم مسكوبة! بل ربما كانت في كثير من الحالات بمثابة الوقود لحركاتهم الجهادية. ولولا أن بناءنا على الاختصار لذكرنا أحوالهم في جانبي الجهاد والدمعة مما هو غير خافٍ.

والذي يسمع من هؤلاء شبهتهم يتصور أنهم لأنهم لا يبكون، هم مشغولون بالنهضة والثورة والحركة للأمة، بحيث لا يترك لهم ذلك فرصة للحزن ولا البكاء! والأمر كما ترى!

٣/ هناك من يتكلم في حجم الثواب المترتب على البكاء، والدمعة في شأن الحسين ومصائب أهل البيت (عليهم السلام)، تارة بأنها لا تتناسب مع العمل، فإن ما جاء في بعض الروايات من ترتب مغفرة الذنوب كلها، وسكن الجنة أحقابا، وما شابه مما مر بعضه، لا يتناسب مع حجم هذا العمل، بل قد يزيد بعض هؤلاء في القول بأن هذا يبعث الإنسان على ترك الأعمال الصالحة، واللازمة ويكتفي بسكب الدموع للحصول على الجنة.

ونحن قد أجبنا عن هذا في كتابنا «من قضايا النهضة الحسينية» والذي طبع حتى الآن خمس طبعات، ولذلك سوف ننقل ما كتبناه هناك من دون تغيير:

الجواب: هذا الأمر لا يختص بالموضوع الحسيني فإن هناك الكثير من الروايات لسانها ذلك اللسان.

فقد روي عن النبي أنه قال: «اعلم أنه من مات يشهد أن لا إله إلا الله، دخل الجنة»[1] و« بَشِّرِ النَّاسَ، أَنَّهُ مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللهُ دَخَلَ

(١)) بن حنبل؛ أحمد: مسند أحمد ١٩/ ٣٤٠.

الْجَنَّةَ»[١] وعنه(ﷺ) أيضاً: «مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ.»[٢].

ومثلها أيضاً في المجاميع الروائية لأهل البيت (عليهم السلام). ونظرا لكثرتها العظيمة في كتب الفريقين (السنة والشيعة) فلا ينبغي الخوض في أسانيدها على أن ما فيها من الأحاديث المعتبرة شيء ليس بالقليل.. فينبغي أن يكون الجواب عاما هنا وفي سائر المواضع. والجواب قد يمكن تمهيده عبر مقدمات:

١. أن الثواب عند الله سبحانه وتعالى لا حدود له، ومشكلة الإنسان أنه يقيس المعادلات الإلهية بمقاييسه هو وهي مقاييس صغيرة وحقيرة للغاية. وهناك مشكلة أخرى وهي أننا لا نعرف كيفية الارتباط بين الفعل الإنساني والجزاء الإلهي، نعم نعرف أن هناك ارتباطا بينهما ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾[٣]..لكن أي عمل هو الأفضل جزاء عند الله، هل هو الأطول زمانا؟ أو الأكثر تكلفة؟ أو الأصدق نية أو غير ذلك؟ فقد نرى في بعض المواقع أن عملاً لا يستغرق سوى وقت قصير ومع ذلك يترتب عليه ذلك الثواب العظيم، وقد نرى عملاً من أعمال الجوانح والقلوب، وهي لا تحتاج إلى بذل جهد ظاهري كبير، أفضل من حيث الثواب من بعض أعمال الجوارح والأعضاء مما يبذل لأجله جهد كبير.. وهكذا. فنحن لا نعرف ذلك إلا من خلال الإخبار الإلهي بواسطة الوحي.

ولذلك يتعجب الإنسان من مثل هذه الروايات لأنها تأتي في سياق خارج مقاييسه، فهو محدود وهي لا حدود لها، وهو بخيل وهي في نهاية

(١) التميمي، الموصلي؛ أبو يعلى أحمد بن علي: مسند أبي يعلى ٥/ ٥٦٧.

(٢) البخاري: الجامع الصحيح ٨/ ٨٦.

(٣)) الزلزلة :٧ـ ٨.

الكرم.. ومن جهة أخرى هو لا يستطيع إدراك قيمة هذه الأمور عند الله.

ب. أن هذه الآثار المذكورة هي عادة على نحو الاقتضاء في التأثير وليست بنحو العلية التامة، وإنما تقول أن هذه الآثار تترتب على تلك المقدمات ما لم يمنع مانع من تأثيرها، أو يلغي فاعليتها. وهذا أمر يمكن ملاحظته في الحياة العامة للإنسان فهو يذهب إلى الطبيب ويصف له هذا دواء رافعا للمرض المعين، ولكن ذلك ليس على نحو الحتم والعلية التامة وإنما ذلك الدواء يقتضي أن يرفع المرض وآثاره ما لم يكن هناك مانع عن تأثيره كتناول أدوية مضادة لتأثير الأولى، أو التعرض لمسببات جديدة تزيد من آثار المرض وهكذا..

ولعله إلى هذا يشير ما ورد عن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): من قال سبحان الله غرس الله بها شجرة في الجنة ومن قال الحمد لله غرس الله له بها شجرة في الجنة ومن قال لا إله إلا الله غرس الله له بها شجرة في الجنة ومن قال الله أكبر غرس الله له بها شجرة في الجنة فقال رجل من قريش: إن شجرنا في الجنة لكثير !! قال: نعم ولكن إياكم أن ترسلوا عليها نيرانا فتحرقوها وذلك إن الله يقول ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلا تُبْطِلُوا أَعْمالَكُمْ﴾[1]. فهذه الآثار تترتب ما لم يأت مانع فيمنعها أو رافع يرفعها.

ج. إنه لا يمكن التمسك بإطلاق هذه الروايات، بل لا بد من حملها على المقيدات، والنظر إلى سائر القرائن.. فليس صحيحا أن يقال مثلا: أن من قال كذا دخل الجنة ولو كان في قوله مستهزئاً، أو أن من بكى على الحسين دخل الجنة ولو كان غير مسلم.. الخ.

---

(١) الصدوق؛ محمد بن علي بن الحسين: ثواب الأعمال وعقاب الأعمال ص ١١.

وإنما ينبغي النظر إلى سائر الروايات والنصوص الإسلامية الأخرى التي تكون بمثابة القرينة على المقصود من هذه الروايات التي بين أيدينا، ويستفاد من سائر الروايات مثلا: أن القائل لهذا الذكر لا بد أن يكون معتقدا به ولو على نحو الإجمال، فإن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾[1]. فوصفهم بالكذب مع أن مقولتهم حقيقية، وربما يكون ذلك لأجل الاختلاف بين مقام التلفظ ومقام الاعتقاد.

وهكذا بالنسبة إلى هذه الروايات فإنها ينبغي أن تلاحظ مع سائر الروايات الأخرى التي هي بمثابة القرينة بالنسبة لها، حتى تنتج ما هو الصحيح.

د. إنه قد ينطبق عنوان ما على فعل من الأفعال، فيكون ذلك الفعل علامة الإيمان ومظهر الدين، وحينئذ فلا ينبغي التعامل مع الفعل باعتبار ذاته وإنما باعتبار ما يرمز إليه ويدل عليه، فإن (شق سنام الناقة في قران الحج أو تعليق نعل في رقبتها) أمر لو نظر إليه في حدود نفس الفعل لم يكن شيئاً مهماً، ولكن حين يكون عنواناً لشعائر الله، لا يجوز لأحد حينئذ إحلاله كما قال القرآن ﴿لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلا الْهَدْيَ وَلا الْقَلائِدَ﴾[2]. وحين يكون فعل من الأفعال عنواناً لشخصية الإنسان، أو كاشفا عن عمق الإيمان فإنه يثاب بمقدار أهمية المنكشف لا بمقدار قلة الكاشف. إن دمعة ندم واستغفار من مذنب في جوف الليل قد تستوجب من الثواب أضعاف ما يستوجبه مقدار كبير من النوافل والصلوات المستحبة التي تتجاوز تلك الدمعة من حيث وقتها وزمانها. وإن قول (لا إله إلا الله محمد رسول الله) بما هو إعلان للإيمان وكفر

(١) المنافقون: ١.

(٢) المائدة: ٢.

بالطواغيت يمهد الطريق للمرء للوصول إلى الجنان. ويحقن بواسطته دم القائل ويصون ماله وعرضه، وينقله من الظلمات إلى النور، مع أنه لا يستغرق من حيث الجهد والزمان إلا شيئاً يسيراً، ولكنه يعني الانتقال من عبادة غير الله إلى عبادة الله. فيعطي للقائل جميع حقوق الإنسان المسلم ويساويه بذلك الذي عبد الله منذ صغره وقام بالنوافل..

والبكاء على الإمام الحسين (عليه السلام) بما يمثل من إعلان موقف في الانتماء إلى خط الإمام (عليه السلام)، وإعلان صرخة الاستنكار والعداء لظالميه وقاتليه وبما هو كاشف عن استيعاب خطه المقدس يجعل ترتب ذلك الثواب عليه أمراً طبيعياً.

أسئلة في الموسم والمنبر

١/ هل ترون الاكتفاء في هذا العصر الحديث بالاستماع إلى الفضائيات والبث المباشر، عن الذهاب للمجالس بما توفره تلك الفضائيات من إختيار الخطباء الأفضل حتى لو كانوا في غير بلد المستمع، وأن الإنسان يختار الوقت المناسب له، في خصوص ما هو مسجل؟

الجواب: لا ريب أن التقدم التقني قد هيأ للقضية الحسينية ظروفًا في الانتشار لم تكن موجودة من قبل، ولهذا ينبغي الاستفادة منها بأقصى ما يمكن! لقد كان الاستماع في الستينات والسبعينات الميلادية للمقتل في إذاعة من الإذاعات الرسمية كان يحسب فتحًا وأي فتح.. فكيف بنا اليوم وأمامنا الوسائل المختلفة لنوصل القضية الحسينية إلى أبناء المذهب وعامة المسلمين بل بني البشر! هذا لا كلام فيه.

كما لا ريب أن بعض الأشخاص ممن لا يستطيعون أصلا أو يعسر عليهم الحضور المباشر، إما لارتباط عمل أو سفر أو لإعاقة صحة وحال، يمكن لهم الانتفاع بمثل الوسائل المذكورة بثًّا مباشرًا أو تسجيلاً، وكذلك بعض الفئات التي تبحث عن خطيب محدد أو مستوى معين ولا تجده قريبًا منها..

ولكن الأصل والتوجيه العام لكل أتباع أهل البيت (عليهم السلام) هو السعي في الذهاب إلى هذه المجالس المعينة في كل منطقة، و«إحياؤها» و«إحياء أمر أهل البيت (عليهم السلام) بها»، وهذا بالقطع واليقين لا يتحقق بالجلوس على الأرائك في البيوت، والاستماع أو المشاهدة! نعم فيمن ذكرنا من الاستثناءات لا مانع من ذلك.

إن الأصل في هذه المجالس هو الحضور المباشر، والازدحام في مواقع المآتم فهو الذي يحقق الإحياء، وهو الذي يجعل قضية الحسين(عليه السلام) ظاهرة، وتعرب عن نفسها.

إننا نشبه ذلك بالحج، فالحج وهو من العبادات التي يراد منها إعلان التوحيد والوحدة بين المسلمين، فهو يختلف عن صلاة الليل، فهذه قد أخذ فيها الإستتار والإسرار بها، بينما الحج مناسكه كلها قائمة على أساس الإظهار، فقد ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ﴾ وجعل (الصفا والمروة من شعائر الله) وأمر الناس بأن يلبسوا ثوبًا موحدًا يظهرون فيه بمظهر واحد، ويتحركون في زمان واحد وإلى مكان واحد، إن في طوافهم حول البيت أو في اتجاههم إلى عرفات ومزدلفة ومنى، وهكذا يقومون بأعمال مشتركة.

إن وحدة الزمان والمكان والأفعال والحركة بل واللباس والمظهر كلها يراد منها الإعلان، وبه تتحقق المنافع التي جعلها الله لهم.

الموسم الحسيني في هذه الجهات يشابه الحج، فعندما تقام المضائف لإطعام الطعام، والمواكب للعزاء، والحسينيات تعمل بأقصى طاقتها وفي أوقات مختلفة لمجالس متنوعة، والخطباء يتنقلون هنا وهناك وهكذا المعزون. والرايات والأعلام واللافتات التي تمجد الحسين وأصحابه

والديـن وأتباعـه، والنـاس فـي الغالـب قـد لبسـوا السـواد، من رجال ونسـاء! كل ذلـك يولـد طاقـة عظيمة مـن الارتبـاط بالإمـام الحسـين (عليه السلام)، في داخل المجتمـع الشـيعي. ويعلـن للعالـم كله مـا يقـال إن الإمام المهـدي عجل الله فرجـه عندمـا يظهـر سـينادي: يـا أهـل العالـم ألا إن جـدي الحسـين قـد قتل مظلو مًا .

إن هـذا الإعـلان المهـدوي هـو قائـم الآن وإن كان بدرجـة أقـل بكثير مما سـيحصل فـي زمان خروجـه (عليه السلام).

إن حـرارة العـزاء التـي لا تبـرد، وحمـاس اللاطميـن، وحمـاس الخطبـاء والمتكلميـن، والصرخـة التـي كانت لهم كمـا يقول الإمام الصـادق (عليه السلام) هي التـي تجعـل هذا الموسـم حيًّـا، فيحصل بـه إحياء أمرهـم وذكرهـم، والتحاق النـاس بهم.

ولـو تخيلنـا الصـورة المقابلـة، فـي أن يسـتبدل الحضـور الشـخصي المزدحـم، والتفاعـل الحزيـن بالصرخـات المتألمـة حيـن المصـرع وقـراءة المصيبـة، وأصبـح العـزاء واللطـم يعنـي مشـاهدة مـن يلطـم في أماكـن أخر، فـإن هـذا وأمثالـه لا يتحقـق به الإحيـاء، بل ربما انتهى بعد مشـوار مـن الزمان إلـى اغلاق الحسـينيات، وتراجـع المحاضرات والخطبـاء، وانتهـاء العزاء وبه يمـوت الموسـم، فهـل هـذا هـو الـذي أمـر بـه الأئمة شـيعتهم؟

إنهـم سـلام اللـه عليهـم، جمعـوا نسـاءهم وحريمهـم مـن وراء سـتار فـي نفـس المجلـس، ومـن المعلـوم أن النسـاء أكثـر رقـة وتفاعـلا فـي المصيبـة، فتعلـو أصـوات بكائهـن علـى بـكاء الرجـال، ولكـن مـع ذلـك روي عـن الإمامين الصـادق والرضـا (عليهما السلام) فعـل ذلـك!

إننـا لا نعتقـد أن مـن الصحيح اسـتبدال الحالـة الموجودة ليصبح الموسـم

انترنيتيًّا، والحزن عبر الماوس (فارة الكمبيوتر) إلا إذا صار الطواف حول الكعبة بواسطة الذكاء الاصطناعي!! وهو ما لن يحصل.

بل الصحيح أن يعظم الحزن في الموسم، وأن تكثر المجالس، وأن تفتح الحسينيات صغيرها وكبيرها، وأن تعم المضائف حتى لو كانت ضيافتها كأس ماء! وأن يعم السواد كمظهر للإنسان والمكان، وكل ما يصنع في هذا الطريق تشمله العمومات الواردة في حصول الأجر والثواب، وقد نتعرض لبعض تلك الأحاديث في صفحات أخر.

٢/ سؤال يلح على الجواب: لماذا لا يكون هناك جهة تعين الصالح للخطابة، وتمنع من ليس صالحًا من ارتقائه؟ إن أي عمل يستهدف الجمهور (كالطب، والتعليم وغيره) لا يتولاه إلا من يكون لديه شهادة تشهد له بكفاءته فيها؟ كدراسة بعض السنوات في الجامعة أو نحوها. وإلا لا يسمح له!

الجواب: سوف نذكر عدة نقاط تنفع في الإجابة على السؤال المذكور وشبهه:

أ/ إننا نعتقد أن قسمًا ممن يسألون هذا السؤال هم من المخلصين جدًّا لقضية الحسين، والمنبر الحسيني ويدفعهم ما يرون من إشكالات تحزنهم إلى ذلك السؤال، فهؤلاء يريدون الارتقاء بالمنبر الحسيني إلى مستويات عالية، تتناسب وعلو القضية الحسينية، وهم بهذا الدافع والنية مشكورون. ومع ذلك..

ب/ فإننا نعتقد أن ما يهدفون إليه غير ممكن، بل وغير صالح!

أما أنه غير ممكن: فلنسأل من هو الشخص أو الجهة التي ستقوم

بالسماح لهذا الشخص، وستمنع ذاك؟ بطبيعة الحال لن تكون الجهات الرسمية التي هي خارج دائرة المذهب غالبًا فلا تستطيع فهم معادلاته، ولو فعلت ذلك فإنها ستحكم القوة الجبرية، ومثل هذه الأمور العبادية وشبهها لا تنفع فيها القوة الجبرية. وبناء عليه فلن توجد جهة ذات صفة قابلة للسماح والمنع إلا المرجعية الدينية الشيعية لما تمتلك من ولاية شرعية، وحضور اجتماعي قوي.

إن المرجعية ـ بناء على هذا ـ هي التي ستقوم بذلك لما تملكه من الولاية الشرعية والحضور الاجتماعي، لكن المشكلة أن المرجعية ليست واحدة! وإنما توجد في كل عصر مرجعيات لجماعات مختلفة من الشيعة، وكل جماعة تخضع لمرجعيتها الخاصة ولا ترى أمر المرجعية الأخرى نافذا في حقها!

نعم توجد مرجعية عليا في كل عصر! ولكنها لا تنفي سائر المرجعيات. فلا تستطيع إذن القيام بهذا الدور.

وأما أنه غير صالح: فحتى لو فرضنا أن بإمكان المرجعية أو أي جهة أخرى، القيام بذلك فإنه قد لا يكون صالحًا فإن أحسن ما سيكون عليه التنظيم والترتيب والإدارة هو ما نشاهده في مدرسة الخلفاء من تنظيم خطب خطباء الجمعة والمتحدثين هنا وهناك، وتلحظ النتائج المترتبة عليه. فتصور ما سيكون حال المنبر الحسيني لو وصل إلى ذلك النحو!

ج/ بالإضافة إلى ما سبق فإن بإمكان جهة أو نظام سياسي أن يسمح وأن يمنع في حدود دائرة قدرته، فالمركز أو المؤسسة التي تشرف عليها هذه الجهة وتصرف عليها، وتعطي للمتصدي مصاريف ميزانيتها وللخطيب أجرة خطابته من الممكن أن تضع شروطها فتسمح لهذا وتمنع ذاك لأنها

هي التي تتحمل مصروفات هذا المكان وميزانيته. لكن الأمر في أكثر من ٩٥ ٪ إن لم يكن أكثر أنها ليست كذلك، بل هي إنفاقات شخصية، وتبرعات من صاحب المكان أو بإضافة ما يعطيه سائر الناس، فهل من المعقول أن تجبر شخصًا هو ينفق على حسينيته ويصرف من جيبه حاصل تعبه على أن يأتي بخطيب لا يرغب فيه هو أو الجمهور الذي يحضر إلى هذه الحسينية؟ هذا غير ممكن!

د/ إن مذاقات الناس في الاستماع للخطيب مختلفة، فما يراه البعض قمة في الخطابة لأجل أن بحوثه علمية مثلا، قد لا يراه آخرون كذلك، لأنهم لا يريدون مثل هذه المواضيع بمقدار ما يريدون الزيادة في الرثاء والجانب العاطفي، بل لو أعطيت ثلثي الوقت للرثاء بالنسبة لهؤلاء لوجدوه قليلاً! وهذا كما هو صادق في عموم الجمهور هو صادق في أصحاب الحسينيات وأرباب المآتم! فلو منعت الأول لحرمت جمهوره، وكذلك لو منعت الثاني!

إن الخطباء يختلفون في مستوياتهم العلمية لجهة دراسة البعض حوزويا، وعدم دراسة البعض الآخر. كما يختلفون في مستوياتهم في الإبكاء لجهة الحفظ والتنوع في القصائد والمصائب التي يذكرونها، فلا يتساوون في هذه الجهة. ويختلفون أشد الاختلاف في جهات حسن الصوت وبراعة الأداء، فقد يحفظ خطيبان قصيدة واحدة ولكن شتان بين أداء الأول وحسن صوته وبين الثاني..

بل إن كثرة المجالس والمآتم في البلدة الواحدة الصغيرة، تجعل هذا العدد الموجود من غير منع ولا «فلترة» قاصرًا عن تغطية الحاجة القائمة، فكيف لو حصل منع لهذا، وحظرعلى ذاك؟

سؤال ٣/ واسمحوا لي بهذا السؤال: هل نبقى أمام هذه «الفوضى» مكتوفي الأيدي؟ ألا يوجد حلٌّ؟ لا سيما مع وجود طبقة من صغار السن ممن يرتقون المنبر لأن أصواتهم حسنة أو حفظهم كثير؟ ألا تستطيع الطائفة أن تقوم بشيء؟

جواب ٣/ من جهتي أيضا اسمحوا لي على صراحتي، بأنني لا اعتقد أن هذا «فوضى» وعلى فرض التنزل فمن قال: إن كل فوضى هي سيئة؟

ولنبدأ في الجهة التالية: فإن الغابة جمالها هو في عدم تنظيمها، فترى الشجرتين متعانقتين متغالبتين، وترى الزهرة الصغيرة إلى جانب النخلة الباسقة، وحشائش الأرض إلى جانب الأشجار الضخمة، وحين يأتي الإنسان بزعمه لينظم هذه الغابة، تفقد جمالها ودفئها وتصبح بلا روح. فيُهرَب منها إلى غيرها.

وترى نفس الشجرة إذا «حلقها» هذا الانسان وشكلها في صورة مربع أخصر أو مثلث أو دائرة، يهجره أول سكانها وهم الطيور، لأنها لم تعد شجرة حقيقة! وقد كان جمال الغابة في كونها «فوضى» وجمال الشجرة في كونها غير متناسقة وغير مهندسة!

وفي الجهة الأولى: نقول: من يقول هذه هي فوضى؟ إنما هي الحرية في الاختيار، وهذا من نتائجها! بينما كان هناك من يريد أن يكون شخص أو جهة تنتخب للناس اختياراتهم، وهو ما تمارسه الأنظمة الشمولية في المواقف السياسية والاقتصادية، ولا يحق لأحد أن يسير إلا بهذا النحو وضمن الإطار المرسوم له، وبين فكرة تتخذ الحرية ــ ضمن الأطر الدينية والأخلاقية ـ نظامًا للحياة.

ولقد انتخب مذهب أهل البيت (عليهم السلام) هذا الاختيار منذ يوم قال أمير

المؤمنين (عليه السلام) (... واجتهاد رأيي) وسار شيعته على هذا المنهج، بينما كان غيره يريد أن يسير هؤلاء ضمن خط مرسوم لا يرضى عنه أمير المؤمنين (عليه السلام).. ودفعوا حينها ولا يزالون ضريبة هذا الاختيار الحر.. فإذا كان في أصل المسار هناك اختيار حرٌّ أ فيكون في اختيار من أستمع إليه ومن يؤثر في روحي جبرٌ وتحكمٌ؟ ما دام ضمن الإطار السليم للدين والمذهب؟

وأما خارج اصطلاح الفوضى والرد عليه، فإننا نعتقد أنه نعم ينبغي أن يمارس المجتمع المؤمن والواعون فيه دورًا ترشيديًّا وليس دكتاتوريًّا بالمنع والحظر.

والدور الترشيدي هو أن يسارع المجتمع إلى إعداد البنية القوية المناسبة لتخريج الخطباء بالنحو المتكامل الذي يحمل إلى جانب الإبكاء والرثاء بما يستطاع من درجاته والصوت الحسن بأحسن ما يمكن، جانب المعرفة الدينية التخصصية ضمن المنهج الحوزوي والتعمق في الثقافة الإسلامية، فلو أمكن إعداد فقيه مجتهد[1] ليكون خطيبًا حسينيًّا مؤثرًا فهذا من أفضل الأعمال، أو أمكن تشجيع من هو مجتهد بالفعل ليسلك مسلك الخطابة الحسينية فهو رائع.

في المرحلة الثانية لا بد من الارتقاء بمستوى الخطابة والمستمع، وهذا حاصل بالفعل، فإن هناك فرقًا بين الجمهور الحسيني قبل خمسين سنة، وبينه اليوم، حيث يتطلب عادة مستوى متقدما من المعلومات

(١) لقد رأينا عددا غير قليل من الفقهاء ممن يصعدون المنبر الحسيني، وهم في الحالة الفارسية أكثر منهم في الحالة العربية، وقد يكون ذلك لما قدمناه في صفحات سابقة من اقتران الرثاء الحسيني والمنبر بما لا يتناسب مع التحصيل العلمي العالي والتخصصي، حتى كان إذا أريد أن يُهوَّن من مستوى شخص قيل: إنه روزه خون! مع أننا نجد في الفترة الأخيرة وجود خطباء عرب على مستوى متقدم من الدراسة العلمية والحوزوية، ونأمل أن تتنامى.

والتوجيهات، بل حتى في الرثاء أيضا.. ومع مرور الزمان وبناء الأرضية المناسبة لإعداد الخطباء كما ذكرنا في نقطة سبقت، سيكون الجمهور طالبًا للأفضل.

ومع هذا لا يضر الأمر وجود بعض صغار السن كما جاء في السؤال لو صعدوا المنبر في هذا البيت أو ذاك، أو هذا المأتم أو ذاك. فإن أُعجب الحاضرون بهم وبما يلقون فذلك المبتغى وإن لم يحصل هذا فسيصير هؤلاء إلى تنمية أنفسهم علميًّا وخطابيًّا ومع مرور الوقت سيكبرون وينضجون.

والحاصل أنني لا أراها مشكلة عظيمة، بحيث لا يحل موسم إلا وتطرح فيه! وأرى من الأفضل خصوصًا لمن ذكرنا أنهم يطرحون السؤال بنية حسنة وبرغبة صادقة في الإصلاح أن يتحركوا في الاتجاه الإيجابي، فبدلاً من لعن الظلام أشعل شمعة معهد خطابي أو تكفل بتشجيع خطيب متمرس على تدريب أولئك الذين لا ترى فيهم الكفاءة! أو شجع أولئك على أن يصعدوا بمستواهم بالارتباط بالحوزة أو الخطيب القادر.

رسالة شكر

للأخوات الفاضلات اللاتي ساهمن في كتابة أصول هذه المحاضرات وتحويلها من الصوت إلى التحرير فاختصروا عليّ وقتًا غير قليل جزاهن الله خير الجزاء، وأخص منهن الفاضلة سلمى بوخمسين والفاضلة هديل الزبيدي والفاضلة فاطمة الخويلدي والفاضلة أمجاد عبد العال.. وغيرهن ممن لم يرغبن في الإشارة لأسمائهن.

كما اشكر الأخ الفاضل علي السعيد لمساهمته كذلك.. شكر الله سعي الجميع.

المصادر

- بعد كتاب الله المجيد.
- تم الاعتماد بشكل أساس على تطبيق الشاملة بالنسبة لكتب مدرسة الخلفاء، وبالنسبة لكتب مدرسة أهل البيت فقد تم الاعتماد على موقع مكتبة آل البيت (عليهم السلام) https://ablibrary.net/_، وفي بعض الكتب على مكتبة مدرسة الفقاهة https://ar.lib.eshia.ir/، وربما كانت بعض الكتب لا توجد في أي منها فقد تمت الإشارة إليها بشكل خاص.
- اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)؛ شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي، ت السيد مهدي الرجائي، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) ١٤٠٤ هـ.
- أدب الطف، أو شعراء الحسين (عليه السلام)، السيد جواد شبّر، دار المرتضى - بيروت ١٤٠٩هـ.
- أضواء على الصحيحين، الشيخ محمد صادق النجمي، ترجمة: يحيى كمالي البحراني، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم ١٤١٩ هـ.
- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، دار إحياء التراث العربي بيروت.
- الأمالي، محمد بن علي بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ) مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، قم ١٤١٧ هـ.

- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي،
- كتاب الأم، محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤ هـ) دار الفكر - بيروت ١٤٠٣ هـ.
- أنا الحسين بن علي، فوزي ال سيف، دار المحجة البيضاء، بيروت ١٤٤٤هـ.
- أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى البَلَاذُري (ت ٢٧٩ هـ)، ت: سهيل زكار - رياض زركلي، دار الفكر - بيروت ١٤١٧ هـ.
- الأنوار الإلهية في المسائل العقائدية . آية الله العظمى الميرزا جواد التبريزي، دار الصديقة الشهيدة (عليها السلام)، قم ١٤٢٢.
- بحار الأنوار، المولى محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء بيروت.
- البداية والنهاية، إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤ هـ)، دار ابن كثير، دمشق - بيروت ١٤٣٤ هـ.
- بشارة المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) لشيعة المرتضى (عليه السلام)، أبو جعفر محمد بن أبي القاسم الطبري، ت جواد القيومي الأصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي قم ١٤٢٠ هـ.
- بلاغات النساء، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر ابن طيفور (ت ٢٨٠هـ)، ت أحمد الألفي، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول، القاهرة ١٣٢٦ هـ.
- بناء القادة في منهج أهل البيت (عليهم السلام)، فوزي آل سيف، دار البيان العربي بيروت.
- تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ)، ت محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف ١٣٨٧ هـ.
- تاريخ مدينة دمشق، علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي

المعروف بابن عساكر (ت ـ ٥٧١ هـ)ت عمر بن غرامة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٥ هـ.

- تاريخ النياحة على الإمام الشهيد الحسين بن علي، سيد صالح الشهرستاني، دار الزهراء، الكتروني في مكتبة مدرسة الفقاهة.

- تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي (ت ح ٣٢٩ هـ)، ت السيد طيب الموسوي الجزائري، مكتبة الهدى ١٣٨٧ هـ.

- تنبيه الخواطر ونزهة النواظر المعروف بـ(مجموعة ورام)، ورام بن أبي فراس الأشتري (ت ٦٠٥ هـ)، دار الكتب الإسلامية ١٣٦٨.

- ثورة الحسين في الوجدان الشعبي، الشيخ محمد مهدي شمس الدين: الدار الإسلامية بيروت.

- جامع أحاديث الشيعة، آية الله السيد حسين البروجردي، ت شيخ إسماعيل الملايري، المطبعة العلمية - قم.

- جامع المسائل، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ)، دار عطاءات العلم (الرياض) ١٤٤٠ هـ.

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ)، مطبعة السعادة، ١٣٩٤ هـ.

- الخصال، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت٣٨١ ه)، ت علي أكبر الغفاري، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية قم ١٤٠٣ هـ.

- دروس في بناء المجلس الحسيني، معهد سيد الشهداء للمنبر الحسيني، الكتروني منشور على موقع الحسنين

.https://alhassanain.org/arabic -

- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٥٨هـ) ت د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث ١٤٠٨ هـ.
- رسائل الشريف المرتضى، علي بن الحسين بن موسى الموسوي (ت ٤٣٦ هـ)، ت السيد مهدي الرجائي، دار القرآن الكريم - قم ١٤٠٥هـ.
- شرح نهج البلاغة، عبد الحميد ابن أبي الحديد المعتزلي (ت ٦٥٦) ت محمد أبو الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب العربية.
- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السِّجِسْتاني (ت ٢٧٥ هـ)، ت محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - لبنان.
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، السلطانية، ١٣١١ هـ.
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١ هـ)، ت محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة ١٣٧٤ هـ.
- صراط النجاة، آية الله العظمى الميرزا جواد التبريزي، نگين ١٤٢٧هـ.
- صفات الشيعة، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت٣٨١ هـ).
- طبقات أعلام الشيعة، آقا بزرگ الطهراني (ت ١٣٨٩هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٣٠ هـ.
- الطبقات الكبير، محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠ هـ)، ت د

علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤٢١ هـ .

- الطليعة من شعراء الشيعة، الشيخ محمد السماوي، ت كامل سلمان الجبوري، دار المؤرخ العربي بيروت ١٤٢٢ هـ.

- عصبة الإثم؛ قتلة الحسين، فوزي ال سيف، دار المحجة البيضاء، بيروت ١٤٤٦هـ.

- عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ) ت الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

- الفتوح؛ أحمد بن أعثم الكوفي، ت على شيري، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٤١١ هـ.

- قرب الإسناد، الشيخ عبد الله بن جعفر الحميري، ت مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، ١٤١٣ هـ.

- قصص وخواطر ممن أخلاقيات علماء الدين، الشيخ عبد العظيم المهتدي البحراني، (الجزء الثاني مخطوط).

- الكافي، ثقة الاسلام محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني (ت ٣٢٩ هـ)، ت علي أكبر الغفاري، دار الكتب الاسلامية، تهران ١٣٨٨هـ.

- كامل الزيارات، الشيخ جعفر بن محمد بن قولويه القمي، ت الشيخ جواد القيومي، مؤسسة النشر الاسلامي ١٤١٧.

- الكتاب سيبويه ؛عمرو بن عثمان: ٤ الكتاب، عمرو بن عثمان الحارثي الملقب سيبويه (ت ١٨٠هـ)، ت عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤٠٨ هـ.

- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقى (ت ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت ١٤١٤ هـ.
- لقد شيعني الحسين (عليه السلام)، ادريس الحسيني، الكتروني في مكتبة مدرسة الفقاهة. ٧٠٦٤٢/ ١/ ١٣ /https: / /ar.lib.eshia.ir
- مستدرك سفينة البحار، العلامة الحاج الشيخ علي النمازي الشاهرودي (ت ١٤٠٥ هـ) ت الشيخ حسن بن علي النمازي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم.
- المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، ت مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١١هـ.
- مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل الحاج ميرزا حسين النوري الطبرسي (١٣٢٠ هـ)، ت مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث قم.
- مسند أبي يعلى، أبو يعلى أحمد بن علي التميمي، الموصلي (ت ٣٠٧ هـ)، ت حسين أسد، دار المأمون للتراث - دمشق ١٤٠٤.
- مصباح المتهجد، شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي، مؤسسة فقه الشيعة، بيروت ١٤١١ هـ.
- مصنف ابن بي شيبة، عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي (ت ٢٣٥ هـ) ت سعد الشثري، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض ١٤٣٦ هـ.
- معجم الخطباء، داخل السيد حسن، المؤسسة العالمية للثقافة والاعلام بيروت ١٤١٦هـ.
- معجم خطباء المنبر الحسيني، محمد صادق الكرباسي، المركز الحسيني للدراسات، لندن.

- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني (ت ٣٩٥هـ)، ت عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ١٣٩٩هـ.
- مقتل الحسين (عليه السلام)، السيد عبد الرزاق المقرم، مؤسسة الخرسان للمطبوعات، بيروت ١٤٢٦ هـ..
- الملاحم، أبو الحسين أحمد بن جعفر بن محمد المعروف ب» ابن المنادي»، ت الشيخ عبد الكريم العقيلي، دار السيرة قم ١٤١٨ هـ.
- المنبر الحسيني؛ نشوؤه، حاضره، وآفاق المستقبل؛ د. فيصل الكاظمي دار المحجة البيضاء، بيروت ١٤٣١ هـ.
- من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ) ت علي أكبر الغفاري، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم.
- منهاج الصالحين، آية الله العظمى السيد علي السيستاني، مكتب السيد السيستاني، قم.
- موسوعة التاريخ الاسلامي، الشيخ محمد هادي اليوسفي الغروي، مجمع الفكر الإسلامي ١٤١٧.
- موقع مركز الأبحاث العقائدية ٧٠٣ / https: / /aqaed.net /faq.
- مهذب الأحكام في بيان الحلال والحرام، آية الله العظمى السيد عبد الأعلى السبزواري، مؤسسة المنار ١٤١٣ ه.
- ميزان الحكمة، محمد الري شهري، ت ونشر دار الحديث ١٤١٦هـ.
- النصائح الكافية لمن يتولى معاوية، السيد محمد بن عقيل العلوي (ت ١٣٥٠ هـ) دار الثقافة للطباعة والنشر قم.

- نصب الراية لأحاديث الهداية، عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي (ت ٧٦٢هـ)، ت محمد عوامة، مؤسسة الريان للطباعة والنشر - بيروت -١٤١٨هـ.
- نفائس التأويل، تفسير الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي (ت ٤٣٦ هـ)، ت مجتبى موسوى، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ١٤٣١ هـ.
- نهج البلاغة، خطب الإمام علي (عليه السلام)، الشريف الرضي محمد بن الحسين الموسوي، ت صبحي الصالح، بيروت ١٩٦٧م.
- هداية الأمة إلى أحكام الأئمة، المحدث محمد بن الحسن الحرّ العاملي (ت ١١٠٤ ق)، ت قسم الحديث في مجمع البحوث الإسلامية، مؤسسة الطبع والنشر التابعة للآستانة الرضوية المقدسة. مشهد - إيران.
- وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، المحدث الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي، (ت ١١٠٤ هـ) مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث.

فهرس المحتويات

الموسم الحسيني ٧

منافع الموسم الحسيني ١٣

المنفعة الأولى:..... ١٤

المنفعة الثانية: حركة في داخل أبناء الطائفة الشيعية: ١٦

المنفعة الثالثة:..... ١٧

المنفعة الرابعة:..... ١٨

المنفعة الخامسة: ٢٠

خطط الأعداء في تخريب الموسم ٢٣

الحسينيات والأوقاف الحسينية ٣١

الرادود والكادر والجمهور الحسيني ٤١

أما الرادود: ٤١

الكادر الحسيني: الخدمة لله وبأخلاق:..... ٤٦

لهؤلاء نقول:..... ٤٧

الجمهور الحسيني: ضيوف الحسين في بيته ٤٨

المنبر الحسيني تاريخ النشأة والتطور ٥٥

دور المنبر في المجتمع الشيعي..... ٧٥

١ - الإغراق في الغيبي:..... ٧٧

٢- التطرف في الطرح الطائفي:..... ٨٠

٣ - طغيان الجانب السياسي:..... ٨٣

٤- غير المألوف في العقائد:..... ٨٥

المنبر الحسيني مساحة الدور والإمكانات..... ٨٩

المنبر الحسيني؛ ميزاته ونقاط قوته ٩٥

هل توقعات الناس من المنبر صحيحة؟ ١٠١

المنبر الحسيني: بين التطوير والتكلس ١٠٣

مبادئ وآليات في التطوير: ١٠٨

مجالات التطوير المقترحة: ١١٠

مجال الرثاء والتعزية: ١١٠

مجال المواضيع والمضمون: ١١٤

الخطيب والمستوى العلمي: ١١٦

الالتزام بالاعداد المناسب للحديث: ١١٨

مجال الأداء والكيفية: ١٢١

تطوير الخطابة النسائية: ١٢٢

الخطابة للأطفال: ١٢٣

آداب المجلس الحسيني ١٢٥

فأما مقيم المجلس وصاحبه: ١٢٥

وأما بالنسبة للمستمع، فينبغي لهم ملاحظة ما يلي: ١٢٧

وأما آداب الخطيب: ١٣١

بنية الخطاب والمنبر الحسيني ١٤١

٢/ قصيدة الرثاء بعد المقدمة: ١٤٧

٣/ الدخول في موضوع الخطاب الأساس: ١٤٩

٤/ التخلص والكوريز: ١٥١

٥/ الختام بالرثاء وذكر المصيبة: ١٥٣

الأحاديث وتعظيم المصاب الحسيني ١٥٥

أسئلة في الموسم والمنبر ١٧١

رسالة شكر ١٨١

المصادر ١٨٣

يتضمن الموسم الحسيني من المحاضرات الدينية والأحاديث التربوية، ما يمكن تشبهه بمدرسة عظيمة يدرس فيها أتباع أهل البيت عليهم السلام على مدى عشرة أيام، معارف كثيرة؛ منها ما يرتبط بالعقائد ومعرفة الله جل اسمه ونعمه وصفاته، ومنها ما يتعرض لسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله، وتاريخ دعوته وتضحياته، وكذلك أخلاقه الكريمة، ومعجزته الخالدة، كتاب الله الناطق، والقرآن الصادق، والتعريف بالعترة المقترنة به والشارحة له من أهل بيت النبي المصطفى، لتنتهي إلى التذكير باليوم الآخر ترغيبا للناس في جنة الله، وتحذيرا لهم من غضبه وعقابه.

وإذا كان هذا يأخذ مساحة كبيرة مستحقَّة، فإن المساحة الأكبر هي ما يرتبط بالمناسبة، وهي نهضة والد التسعة من العترة الطاهرة، وخامس المعصومين، الإمام أبي عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام. فإن هذه المجالس بل بقاء الدين لم يكن لولا تلك التضحية السخية، والشهادة العظيمة التي أقدم عليها مع أهل بيته وأنصاره. وهذا الكتاب يلقي ضوءًا على الموسم والمنبر الحسيني وآثاره وفوائده .

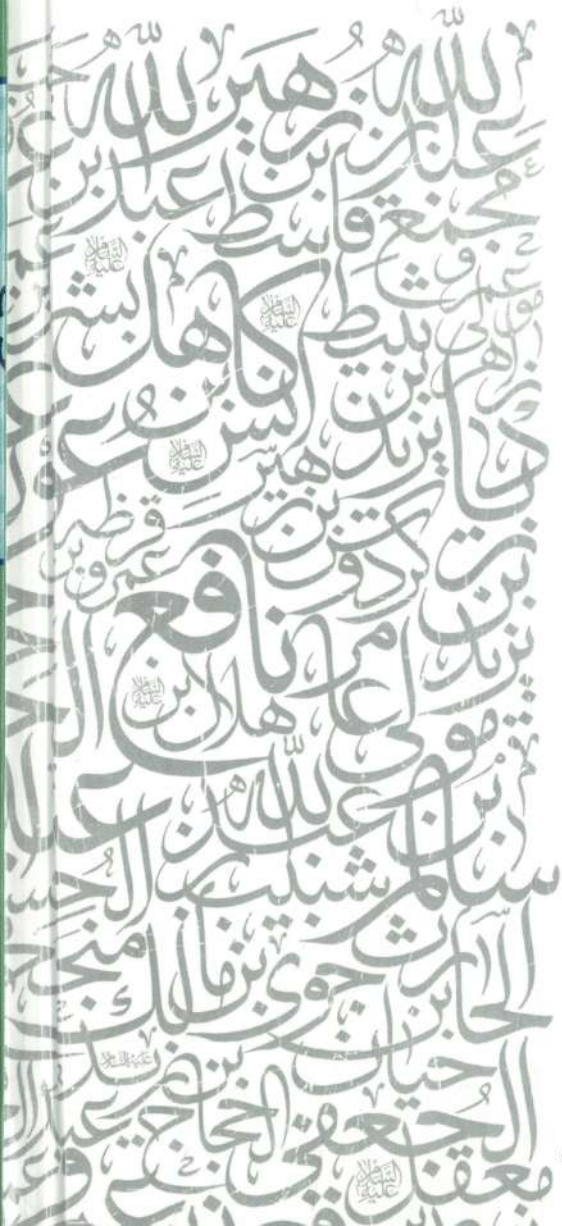

ISBN: 978-614-517-036-5

الرويس - خلف محفوظ ستورز - بناية رمال
ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠١/٥٤١٢١١-٠٣/٢٨٧١٧٩ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧
almahajja@terra.net.lb
info@daralmahaja.com
www.daralmahaja.com